

الانحراف في الأمة
أسبابه، آثاره،
سبل مواجهته

الانحراف في الأمة
أسبابه، آثاره، سبل مواجهته

تأليف
عبد العزيز بن أحمد البداح

مُحْفَوظٌ
بِمَتْنِ الْحَقِيقِ

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ

مزيدة ومنقحة

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:
فهذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب، أقدمها بزيادات وإضافات مهمة بعد
نفاد الطبعة الأولى في فترة وجيزة والله الحمد والمنة.
والله أسأل أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم مقرباً لديه في جنات
النعيم.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه:

عبد العزيز بن أحمد البдах
al.bedah@hotmail.com
١٤٣٣/٨/١ هـ

« يجب أن تؤرخ الفضائل والردائل لينفر سامعها
عن القبيح المأثور عن غيره، ويرغب في الحسن
المنقول عن من تقدّمه، ويتعظ بما سلف »
الأخلاق والسير، لابن حزم، ص (١٥٢)

« بيان من غلط في رأي رآه في أمر الدين من
المسائل العلمية والعملية، فهذا إذا تكلم فيه
الإنسان بعلم وعدل وقصد النصيحة، فالله تعالى
يشيئه على ذلك، لا سيما إذا كان المتكلم فيه داعياً
إلى بدعة، فهذا يجب بيان أمره للناس، فإن دفع
شره عنهم أعظم من دفع شرّ قاطع الطريق »
منهاج السنة، لابن تيمية، (١٤٦/٥)

المقدمة

الحمد لله وحده، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل وهو عليم
بذات الصدور، يضل من يشاء ويبتلي عدلا، ويهدي من يشاء ويعافي فضلا، لا
معقب لحكمه، ولا راد لأمره، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد
وآله وصحبه،
أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الخلق ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]، فطائفة تعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبين
النار إلا ذراع فتعمل بعمل أهل الجنة فتدخلها، وطائفة تعمل بعمل أهل الجنة
حتى ما يكون بينها وبين الجنة إلا ذراع فتعمل بعمل أهل النار فتدخلها.
وأسباب الهلاك والضلال كثيرة ضل بسببها من ضل، ومن يضل الله فما
له من هاد.

ويتأكد الحديث عن أسباب الزيغ في هذا الزمن الذي كثر فيه المتساقطون
في الفتن، وقويت فيه دواعي الانحراف، وأعلن فيه المنحرفون بانحرافهم،
وتداعى أهل الضلال للدعوة إلى باطلهم.

فلما رأيت هذه الحال كتبت هذا الكتاب في بيان أسباب الانحراف في الأمة وآثاره وسبل مواجهته.

وإني أرى أن هذه البلاد - حرسها الله بالإسلام - تواجه في هذه المرحلة من تاريخها غزواً فكرياً وعقدياً سافراً ومكشوفاً تواطأت فيه فرق وتمالأت عليه طوائف تمثلها: الرافضة والصوفية والمنافقون بمؤازرة جملة من المغفلين.. ترمي إلى هدم الأصول، وفك وثاق الدعوة والدولة، ورفع الغطاء الشرعي، ومحو الخصوصية الدينية.

فهذا الكتاب يكشف دعوات مشبوهة ويحذر من توجهات منحرفة ويعالج واقعاً قائماً ويؤرخ لمرحلة زمنية سقطت فيها الأقنعة وانتشى فيها أهل الزيف.

والمراد بالانحراف هنا: معارضة السلف الصالح في الاعتقاد أو منهجهم في الاستدلال ويدخل في ذلك الفرق والمذاهب والاتجاهات المنحرفة في القديم والحديث.

ولا بد من التوكيد هنا على أن الانحراف قد يكون توجهاً يكشف ملامحه مجموعة من المقالات.. أصحابها متبيانون فبعضهم لديه انحراف في المعتقد أو منهج الاستدلال، والآخر قد يكون مجتهداً لكن وافق المنحرفين في اجتهاده، وعلى ذلك فليس كل مقالة منحرفة يكون صاحبها منحرفاً.. وهذا منهج أهل السنة والجماعة في الحكم على المقالات كما هو مقرر في موضعه، وهذا لا يعني عدم التنبيه على ذلك الخطأ أو تلك الزلة.

قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨هـ): (فعلم بخبره الصدق أنه في أمته قوم

متمسكون بهديه، الذي هو دين الإسلام محضاً، وقوم منحرفون... وإن كان الرجل لا يكفر بكل انحراف، بل وقد لا يفسق أيضاً، بل قد يكون الانحراف كفراً، وقد يكون فسقاً، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأ^(١).

والتصريح بالأسماء في هذا الكتاب جاء للتحذير من مناهج أصحابها ومواقفهم وهو مسلك معروف عند أهل السنة اتبعوه في كتب الردود والفرق والتأريخ ولم يعرف له منكر.

وبعض الناس قد يحمله الورع البارد أو التعصب للأشخاص والتحزب للتجمعات على إنكار الرد على تلك الأسماء والشخصيات بحجة أنهم مسلمون أو دعاة...!!^(٢) وهذا يتعارض مع ما هو متقرر عند أهل السنة من لزوم الرد على المخالفين مما تجده مفصلاً في كتاب الشيخ العلامة: بكر أبو زيد: الرد على المخالف من أصول الإسلام.

وقد اضطررت لبيان هذا لما رأيت بعض الناس يفهم بعض الكتابات على نحو خاطئ لم يردده المؤلف أصلاً، إما بسبب قراءته المجتزأة، أو فهمه القاصر، أو قصده المدخول.

ومنهجي في هذا الكتاب يقوم على الآتي:

- الإشارة إلى الشواهد من غير دعوى الاستقصاء لتعذره.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨٢).

(٢) قال العلامة المعلمي: (من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، ومن أمضى أسلحته أن يرمي الغالي كل من يحاول رده إلى الحق بيبغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم). التنكيل (١/ ٦).

- الميل إلى الاختصار لتسهيل المطالعة وتخفّف القراءة ولأن الرسالة موجهة إلى العموم.
- تجنببت الشواهد التاريخية المشهورة وحرصت على المغمور منها طلباً للإضافة، ولإفادة القارئ بالجديد.
- يعالج الكتاب واقعاً قائماً بعد رصد وتتبع واستقراء لأحوال المنحرفين.
- رُبط أسباب الانحراف ومظاهره مع منهج السلف: أقوالاً ومواقف.
- حرصت على تدوين الوقائع والأحداث، لتكون تاريخاً لا ينسى.
- ما كان من نماذج وشواهد في كتاباتي السابقة أشرت إليه من غير إعادة ذكره لئلا أقع في التكرار، والشواهد المذكورة في هذا الكتاب جديدة لم يسبق لي تدوينها.
- أسباب الانحراف كثيرة لكنني اقتصررت على ما له شواهد من واقع المسلمين اليوم.
- وقد جاء هذا الكتاب في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وهي:
- التمهيد: وجوب الاستقامة والتحذير من الانحراف.
- الفصل الأول: أسباب الانحراف في الأمة.
- الفصل الثاني: آثار الانحراف على الفرد والمجتمع والأمة.
- الفصل الثالث: سبل مواجهة الانحراف.
- وهذه الدراسة تقوم: على استقراء الواقع، ورصد الأحداث، وتدوين الوقائع، وجرد دوواين الإسلام، وضم النظر إلى نظيره.

وحمل عليها النصيحة للناشئة، وفضح المنحرفين، والغيرة على التوحيد والسنة. وأملها الواجب الشرعي، والنصيحة الإسلامية، وفرض البيان. والله أسأل التوفيق في القول والعمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه:

عبدالعزیز بن أحمد البداح
al.bedah@hotmail.com
١٤٣٢/١٢/٢٩ هـ

التمهيد

وجوب الاستقامة والتحذير من الانحراف

أمر الله عباده بالاستقامة على أمره، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدْتُ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ الآية [فصلت: ٦].
وأمر رسوله بذلك، فقال: ﴿فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

ووعد المستقيمين بالوعد العظيم في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤].

والاستقامة: هي سلوك الطريق المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك^(١).

والعباد معرضون للوقوع في الانحراف من تأثير الشبهات والشهوات خاصة في زمن الفتن وغلبة الأهواء وذهاب العلماء...

(١) جامع العلوم والحكم، ص (٤٦).

وكان الصالحون والأئمة المهديون يخافون الانحراف ويخشون الزيغ، قال تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، أي: لا تُؤَلِّها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يدعو: [يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك] قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء. فقال: [ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه، أما تسمعين قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَلْوَهَّابُ﴾] ^(٢).

قال ابن أبي مليكة (ت: ١١٧ هـ): "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه"^(٣).

وقال الحسن البصري (ت:): "لا يخافه - يعني النفاق - إلا مؤمن، ولا يأمنه إلا منافق"^(٤).

وفي زماننا كثرت أسباب الزيغ وتعددت سبل الانحراف، ووقع في غوائلها من لم تدركهم رحمة ربهم نسأل الله السلامة.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٧/٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٩).

(٤) ذكره البخاري تعليقا، في كتاب الإيذان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، عن الحسن البصري، وقال ابن رجب رحمه الله: فهذا مشهور عن الحسن، صحيح عنه (فتح الباري ١/ ١٨٠).

وفي آخر الزمان يكثر الزائغون، في الحديث: [بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا]^(١).

فحري بكل مسلم يسعى لنجاة نفسه سواء أكان عالماً أم متعلماً داعية أم مدعواً أن يحرص على تفقد نفسه ومحاسبة أقواله وأفعاله محاسبة مستمرة لثلا يقع في حبائل الذين في قلوبهم مرض من أهل الزيغ والانحراف ويلجأ إلى الله ويدعوه ويسأله الثبات على الحق حتى الموت فإن هذا هو سبيل الأنبياء والصالحين كما هو ظاهر في آيات القرآن والسنة وسير سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

(١) أخرجه مسلم (١١٨).



الفصل الأول

أسباب الانحراف في الأمة



أولاً الإعراض عن الوحي

أنزل الله الكتاب نوراً وهدى للناس، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَاهُمْ رُسُلًا يَكْتُبُونَ فَمَنْ جَعَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلَّةٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

ولما أعرض فئام من الناس عن الوحي وقعوا في الحيرة والاضطراب وأصابهم الشك والارتباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغى، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك: أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى، والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فإن وافقه فهو حق وإن خالفه فهو باطل..)^(١).

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٣٥).

قال محمد بن مسلم الزهري (ت: ١٣٤هـ): (الاعتصام بالسنة نجاة)^(١).
وقال عبدالرحمن بن شريح (ت: ١٦٧هـ): (أقلوا المسائل، فإنها في غير ما
نزل تقسي القلب وتورث العداوة)^(٢).

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) معلقاً: (قلت: صدق والله، فما الظن إذا كانت
مسائل الأصول ولوازم الكلام في معارضة النص، فكيف إذا كانت من
تشكيكات المنطق، وقواعد الحكمة، ودين الأوائل؟ فكيف إذا كانت من حقائق
الاتحادية، وزندقة السبعينية، ومروق الباطنية؟)^(٣).

وأصل الضلال الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى، كما فهمه الصحابة
والتابعون ومعارضة ما دلّ عليه بما يناقضه وهذا من أعظم المحادة لله
ولرسوله^(٤).

وعامة من ضلّ أو عجز عن معرفة الحق فإنها هو لتفريطه في اتباع ما جاء
به الرسول، وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب
الله ضلوا^(٥).

ولهذا فالمنحرفون من رؤوس الضلال والبدع في القديم والحديث من
أجهل الناس بالكتاب والسنة.

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٣).

(٤) درء التعارض (٥/ ٣٨٣).

(٥) درء التعارض (١/ ٥٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (ومن المعلوم أن المعظمين
للفلسفة والكلام المعتقدين بمضمونها هم أبعد عن معرفة الحديث، وأبعد عن
اتباعه من هؤلاء، هذا الأمر محسوس، بل إذا اكتشفت أحوالهم وجدتهم من
أجهل الناس بأقواله ﷺ وأحواله، وبواطن أموره وظواهرها، حتى لتجد كثيراً
من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول وما لم
يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع
عليه... بل غالب هؤلاء لا يعلمون معاني القرآن، فضلاً عن الحديث، بل كثير
منهم لا يحفظون القرآن أصلاً... حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين
القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية، فقال: لا نسلم صحة الحديث! وربما قال:
لقوله عليه السلام كذا، وتكون آية من كتاب الله. وقد بلغنا من ذلك عجائب،
وما لم يبلغنا أكثر.

وحدثني ثقة أنه تولى مدرسة مشهد الحسين بمصر بعض أئمة المتكلمين
رجل يسمى شمس الدين الأصبهاني شيخ الايكي، فأعطوه جزءاً من الربعة
فقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم المص) حتى قيل له: ألف لام ميم صاد^(١).

وكان جهنم بن صفوان (ت: ١٢٨هـ) فصيح اللسان، لكن لم يكن له علم
ولا مجالسة للعلماء^(٢).

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (كان الإمام - يعني الجويني (ت: ٤٧٨هـ) -
مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب لا يدري الحديث كما يليق به

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٩٥-٩٦).

(٢) الإبانة (١/ ٣٩٠).

لا متناً ولا إسناداً...^(١).

وكان محمد بن كرام - رأس الكرامية - (ت: ٢٥٥هـ) قليل العلم^(٢).

وكان أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي (ت: ٣٢١هـ) من رؤوس المعتزلة من الجهلة بآثار النبوة برع في الفلسفة والكلام وما شَم رائحة الإسلام^(٣).

وذكر أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) في كتابه: (الإحياء) من الأحاديث الموضوعية وما لا يصح غير قليل وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل^(٤). وكان يقول: أنا مُرَجِي البضاعة في الحديث^(٥).

وأبو الحسين البصري وأمثاله من المعتزلة، وكذلك الغزالي والرازي وأمثالهما، هم أقل الناس علماً بالأحاديث النبوية وأقوال السلف في أصول الدين، وفي معاني القرآن، وفيما بلغوه من الحديث، حتى إن كثيراً منهم لا يظن أن السلف تكلموا في هذه الأبواب^(٦).

وكان أبو الوفا بن عقيل (ت: ٥١٣هـ) بارعاً في الكلام، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار^(٧).

(١) السير (١٨ / ٤٧١).

(٢) السير (١١ / ٥٢٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨ / ٥٩).

(٤) المنتظم، لابن الجوزي (١٧ / ١٢٦).

(٥) البداية والنهاية (١٦ / ٢١٤).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٣١).

(٧) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (٢ / ٤٨٧).

ويذكر عن حماد بن مسلم الرحبي الدباس الصوفي (ت: ٥٢٥هـ) أحوال ومكاشفات واطلاع على مغيبات وكان عرياً من العلوم الشرعية^(١).

والشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) لم يكن له خبرة بالحديث وآثار الصحابة والتابعين^(٢).

وبالجملة فأهل البدع لا يذكرون الحديث، بل ولا القرآن، في أصولهم إلا للاعتضاد لا للاعتقاد^(٣).

ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبر بقلبه: وجد فيه من الفهم والحلاوة والهدى وشفاء القلوب، والبركة والمنفعة، ما لا يجده في شيء من الكلام: لا منظومه ولا مثوره^(٤).

ولو تأملت حديث المنحرفين في السنوات الأخيرة ممن يكتبون في الصحف والمنتديات تجده خالياً عن العلوم الشرعية لأن حفظ نصوص الوحيين والتفقه فيها يحتاج إلى تطلب وجهاد، فأتجهوا إلى الفلسفة فأخذوا بطرف منها، فتحدثوا بما يجهله الناس مع تزويق الكلام وتحسينه بألفاظ غريبة ومفردات حوشية فاغتروا بهم وظنوا أنهم على شيء وهم جهلة بالمنقول والمعقول.

وهذا شأن أهل الأهواء في القديم أيضاً، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أصبح أهل الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلتت

(١) المنتظم (١٧ / ٢٦٦).

(٢) منهاج السنة النبوية (٦ / ٣١٩).

(٣) منهاج السنة (٧ / ٣٧).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٢٨٤).

منهم فلم يعوها فقالوا بالرأي»^(١).

ومن آتاه الله علماً وإيماناً، علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلا ما هو دون مستوى تحقيق السلف، لا في العلم ولا في العمل^(٢).

وهم بالحديث في الفلسفة وذكر أسماء الفلاسفة يجذبون من يبهره الجديد فينخدع بهم ويعظمهم، وهذا شأن المبتدعة في القديم أيضاً، فعن عبدالواحد بن زيد قال: (قال لي أيوب: قل للثوري لا تصحب عمرو بن عبيد. قال: فقلت ذلك له، قال: إني أجد عنده أشياء لا أجد لها عند غيره، فقلت ذلك لأيوب، فقال لي أيوب: من تلك الأشياء أخاف عليه)^(٣).

ومن صور الإعراض عن الوحي تقديم العقل على النقل، وهذا أول ضلال وقع في الخلق، قال الشهرستاني: (إن أول شبهة وقعت في الخليفة: شبهة إبليس ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر..^(٤)

وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر ربه حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]^(٥).

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الصغرى، ص (١٢١).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٤٣٦).

(٣) حلية الأولياء (٧/٣٣).

(٤) الملل والنحل (١/١٦).

(٥) شرح الطحاوية ص (١٦٩).

ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات.. ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم..^(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (من عارض آيات الله بمعقوله، فإنه لا علم عنده، إذ ذلك المعارض، وإن سماه معقولاً، فإنه جهل وضلال، فليس بعلم ولا عقل ولا هدى..).

وربما ظن البعض أن عند هؤلاء المنحرفين من موافقة العقل ما ليس عند المعظمين للنصوص، وهذا ظن فاسد، إذ اتباع النص موافق للعقل (ومن كان إلى السنة أقرب كان قوله إلى العقل أقرب)^(٢).

ووقع أناس في الشره والبحث عن كل جديد ولو كان ضاراً أو لا فائدة فيه فأقبلوا على كتب المنحرفين المعاصرين ككتب الجابري ومحمد أركون ومحمد صادق العظم وسيد القمني وعزيز العظمة وعبدالله العروي وحسن حنفي وبرهان غليون ممن هونوا من شأن النص الشرعي وسموه تراثاً وعملوا على نقده ومعارضته بالعقل^(٣).

(١) درء التعارض (٥/٢٤٤).

(٢) منهاج السنة (٢/٣٤١).

(٣) ينظر:

- التراث والحداثة، محمد الجابري، ص (٦٠-٦١).

- قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص (٢٨-٥٩).

- نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، ص (١٦-١٢).

- الأسطورة والتراث، سيد القمني، ص (٢٢٠).

والحديث عن التهوين من النص ومعارضته بالعقل ليس حديثاً عن الماضي، وإنما حديث عن الواقع، حيث هو أحد وجوه الزندقة التي ظهرت في المجتمع أخيراً... ولن أطيل عليك في ذكر الأمثلة والشواهد على هذا، ولكنني سأكتفي بمثال واحد:

تقول كاتبة: (لأننا جبلنا على الإيمان بالازدواجية وبممارسات لا عقلانية تقرن بين الأمر ونقيضه في الآن ذاته بدون نقاش... لكن الأمر أكثر نكراً من مجرد الازدواجية بين المفاهيم والتصرفات، هو وجود مفارقة بين حديثين متناقضين (كذا)، فالعقل هنا لا بد أن يتساءل: وأين الصحيح من العليل؟ فمقابلة حديث [الجنة تحت أقدام الأمهات] بحديث [أكثر أهل النار النساء]، يوقع في ازدواجية معاييرية وإنسانية...!!!^(١)

وهذا لا يعني تعطيل العقل وعدم الاستفادة منه، بل كمال العقل نعمة من نعم الله على العبد، يتقي به مواضع الزلل، ويوازن بين الأمور، ويجتنب ما فيه عطبه وهلاكه^(٢).

- دنيا الدين، عزيز العظمة، ص (١٨-٢٣).

- السنة والإصلاح، عبدالله العروي، ص (٣٨) وما بعدها.

- من النقل إلى العقل، حسن حنفي (٢/٢٥).

- التراث والتجديد، حسن حنفي، ص (١٧٩).

- اغتيال العقل، برهان غليون، ص (١٢٧) وما بعدها.

(١) مقال بعنوان: (يمر من تحت قدميها للجنة... ويعقها)، صحيفة الرياض، حصة آل

الشيخ، العدد (١٥٨٣٧)، التاريخ (١٢/٧/١٤٣٢هـ).

(٢) عن موقف أهل السنة من العقل، ينظر:

ولهذا أثنى على كثير من السلف لكمال عقولهم ورجحان فهمهم.

قال الوثيق بن يوسف: ما رأيت رجلاً قط أعقل من عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري (ت: ١٦٨هـ)^(١).

وقال عبدالرحمن بن مهدي: (ما رأيت رجلاً أحسن عقلاً من مالك (ت: ١٧٩هـ))^(٢).

وقال إبراهيم بن شماس: (لو تمنيت كنت أتمنى عقل ابن المبارك (ت: ١٨١هـ))^(٣).

وسئل عبدالله بن المبارك (ت: ١٨١هـ): ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: (غريزة عقل)^(٤).

وقال الإمام أحمد بن حنبل في وصف الإمام المحدث محمد بن شعيب (ت: ١٩٩هـ): (كان رجلاً عاقلاً)^(٥).

وقال آدم بن أبي إياس: ما رأيت أحداً أعقل لما يخرج من رأسه من ضمرة

- مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، أحمد القاضي، ص (٤٥٦).

- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي، ص (٢٩).

- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان حسن (١/١٥٥).

(١) تاريخ مدينة السلام (٨/١٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/٣٨٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/١٥١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/٣٩٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/٣٧٧).

بن ربيعة (ت: ١٧٩هـ) ^(١).

وقال أبو عبيد: (ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)) ^(٢).

وقال الذهبي عن سحنون (ت: ٢٤٠هـ): (كان موصوفاً بالعقل والديانة التامة والورع) ^(٣).

وقال الإمام الشافعي: (ما رأيت أعقل من أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)) ^(٤).

وقال أيضاً: (ما رأيت بمصر أعقل من أبي موسى يونس بن عبد الأعلى المصري (ت: ٢٦٤هـ)) ^(٥).

وقال إبراهيم الحري: (لو قُسم عقل بشر بن الحارث - العالم المحدث - (ت: ٢٢٧هـ) على أهل بغداد صاروا عقلاء) ^(٦).

وهؤلاء المعرضون عن الوحي تلاوةً وتعظيماً وتدبراً وتحاكماً أظلمت قلوبهم فاستوحشت من الحق وأهله، وألفت الباطل وأهله.

فإن القلب إذا استنار أقبلت وفود الخيرات عليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان، فما شئت من بدعة وضلالة واتباع هوى واجتناب هدى وإعراض عن أسباب السعادة واشتغال

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٥).

(٥) مرآة الجنان (٢/ ١٣١).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٦).

بأسباب الشقاوة فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب، فإذا فَقَدَ ذلك النور بقي صاحبه كالأعمى الذي يجوس في حنادس الظلام ^(١).

(١) الجواب الكافي، ص (١٢٦).

مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَرَتَّبَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَّوْهُ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [النساء: ١١٥]. ففي هذه الآية توعد الله أتباع غير سبيل المؤمنين، مما يدل على أن اتباع سبيلهم واجب، ومخالفتهم حرام^(١).

وقال تعالى في وصف هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠].

ففي هذه الآية دليل على أن إجماع هذه الأمة واجب، لأن الله أخبر أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، فلو اتفقوا على إباحتهم أو إسقاط واجب أو تحريم ضلال أو إخبار عن الله أو خلقه بباطل، لكانوا متصفين بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ليس من الكلم الطيب والعمل الصالح^(٢).

وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن لأحد منهم أن يبدل شيئاً من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله، فلا تجتمع الأمة على ضلال^(٣).

وهذه الأمة أجمعت على مسائل الاعتقاد في أبواب الإيمان بالله وتوحيده في أسمائه وصفاته وعبادته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومعرفة فضل الصحابة وتعديلهم.

وخالفوها في هذه المسائل الكبار فرق المبتدعة من الجهمية والمرجئة

(١) الفقيه والمتفقه، للخطيب (١/٤٠٠).

(٢) الاستقامة، لابن تيمية (٢/٢٠٦-٢٠٧).

(٣) منهاج السنة، لابن تيمية (٦/٤٦٧).

ثانياً

التولي عن سبيل المؤمنين

أمر الله تعالى بسلوك صراطه المستقيم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأمر عباده أن يسألوه الهداية لسلوك ذلك الصراط في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وهذا الصراط: هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون من أهل القرون المفضلة^(١).

فما أجمع عليه أهل ذلك العصر فهو الإجماع الذي ينضبط، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة. والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين^(٢)، وهذا متفق عليه بين عامة المسلمين^(٣).

وتوعد الله تعالى المعرضين عن سبيل المؤمنين فقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٥٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٥٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/٤٣١).

والخوارج والرافضة.

وهؤلاء المنحرفون وقعوا في الانحراف والزيغ لما فارقوا سبيل المؤمنين وخالفوا إجماع الأمة.

وفي زماننا خرج من يعارض إجماع الأمة في باب الإيمان، فظهر من يقول برأي الخوارج: تكفيراً للمسلمين بغير حق. وقابلتهم جماعات ذهبت إلى الإرجاء بأنواعه من إخراج العمل عن مسمى الإيمان، والقول بأنه لا كفر إلا بالاستحلال القلبي، وعدم تكفير اليهود والنصارى تورعاً زعموا!! وخرجت مقالات في الطعن في سلف هذه الأمة من الصحابة رضي الله عنهم... إلخ^(١).

ثالثاً

الأخذ بالفلسفة وتعظيم الفلاسفة

دين الإسلام مصدر الوحي (الكتاب والسنة) بفهم الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم وفي هذا الهدى والفلاح في الدنيا والآخرة، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون بعد ذلك ديناً، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ وقال جلّ وعلا: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صُدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِنُذِرَ بِهِ، وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) أَتَبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ^(٣) فمن لم يتبع الهدى الذي جاء به الوحي فقد ظل السبيل. ولذا لما ابتغى طوائف من الناس الهدى من غير طريق الوحي حذّروهم سلف الأمة، ومن ذلك تحذيرهم رحمهم الله من الدخول في الفلسفة والمنطق والتلقي عن أهل الكلام، وكلامهم في هذا كثير يصعب استقصاؤه بل أفردوا في ذلك مصنفات عديدة كذب الكلام وأهله للهروي، وصون المنطق والكلام عن علم المنطق والكلام للسيوطي وغيرها..

(١) ينظر: التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه، فتاوى لجنة الإفتاء بالمملكة،

وقد اتفق السلف والأئمة على ذمه وذم أصحابه وتجهيلهم^(١).

قال القاضي أبو يوسف (ت: ١٨٢هـ): (العلم بالخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم)^(٢).

وقال أيضاً: (من طلب الدين بالكلام تزندق...) (٣).

وقال الإمام عبدالرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨هـ): (من طلب الكلام . فأخر أمره الزندقة)^(٤).

وقال الشافعي (ت: ٢٠٤هـ): (ما ارتدى أحد الكلام فأفلح)^(٥).

وقال الإمام عبدالله بن داود الخريبي (ت: ٢١٣هـ): (ليس الدين بالكلام وإنما الدين بالآثار)^(٦).

وقال الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ): (لا يفلح صاحب الكلام أبداً)^(٧).

وصحب المحدث أبو بكر محمد بن عمر بن محمد الجعابي (ت: ٣٥٥هـ)

قوماً من المتكلمين فسقط عند كثير من أصحاب الحديث^(٨).

(١) بيان تلبس الجهمية (١/ ١٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٩).

(٣) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٦٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٩).

(٥) الإبانة (٢/ ٥٣٥).

(٦) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٣٨).

(٧) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٦٩).

(٨) السير (١٦/ ٩١).

قال ابن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ): (الفلسفة أس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيف والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين، من تلبس بها، قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم...) (١).

وقال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (إياك والنظر في كتب أهل الفلسفة الذين يزعمون فيها أنه كلما قوى نور الحق وبرهانه في القلوب خفي عن المعرفة كما يبهر ضوء الشمس عيون الخفافيش بالنهار، فاحذر مثل هؤلاء وعليك بصحبة أتباع الرسل المؤيدين بنور الهدى وبراهين الإيثار أصحاب البصائر في الشبهات والشهوات الفارقين بين الواردات الرحمانية والشیطانية العاملين العاملين، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]) (٢).

وقال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (لأن يعيش المسلم أخرس أبكم خير له من أن يمتلئ باطنه كلاماً وفلسفة)^(٣).

فالواجب على الإنسان أن يتحرز من الفتن ولا سيما مطالعة الكتب المنحرفة فكرياً أو خلقياً، لأن بعض الناس يقرأ الكتاب ويقول: أنظر ما عنده فإذا به يعصف به في الهاوية. ولهذا نحذر طالب العلم أن يقرأ كتب أهل البدع أو كتب أهل الضلال حتى يتزعزع ويعرف من العلم ما يدفع به شبهات هؤلاء^(٤).

(١) فتاوى ابن الصلاح ص ٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٩٧).

(٣) السير (٢١/ ٣٦).

(٤) التعليق على صحيح مسلم، لابن عثيمين (١/ ٤٦٨).

ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً، ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلاً، ثم يرد الصحيح عليلاً، فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه^(١).

وقل من أمعن النظر في علم الكلام إلا وأداه اجتهداه إلى القول بما يخالف محض السنة، ولهذا ذم علماء السلف النظر في علم الأوائل، فإن علم الكلام مولد من علم الحكماء الدهرية، فمن رام الجمع بين علم الأنبياء عليهم السلام وبين علم الفلسفة بذكائه لا بد وأن يخالف هؤلاء وهؤلاء..^(٢).

وكان أئمة السلف، لا يرون الدخول في الكلام، ولا الجدال، بل يستفرغون وسعهم في الكتاب والسنة، والتفقه فيهما، ويتبعون، ولا يتنطعون^(٣).

وهؤلاء المنحرفون الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك، وأن طريقة الخلف استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات^(٤).

والدخول في كلام المتكلمين أو الفلاسفة شر محض، وقيل من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ ببعض أوضارهم^(٥).

(١) تليس ابليس، ص (٨٠).

(٢) الميزان، الذهبي (٣/ ١٤٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٢٠).

(٤) الحموية، ص (٢٠٤).

(٥) فضل علم السلف على الخلف، ص (٣٢).

والفلسفة والمنطق ليس علماً معصوماً، بل لو كان علماً صحيحاً كان غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله أضعاف حقه، وفساده وتناقض أصوله واختلاف مبانيه توجب مراعاتها للذهن أن يزيغ في فكره؟! وهذا الشافعي وأحمد وسائر أئمة الإسلام وتصانيفهم، وأئمة العربية وتصانيفهم، وأئمة التفسير وتصانيفهم، لمن نظر فيها؛ هل راعوا حدود المنطق وأوضاعه؟ وهل صح لهم علمهم بدونه أم لا؟! بل هم كانوا أجل قدراً وأعظم عقولاً من أن يشغلوا أفكارهم بهذيان المنطقيين. وما دخل المنطق على علم إلا أفسده، وغير أوضاعه، وشوش قواعده^(١).

ومن ضلّ في القديم من رؤوس البدع وأصحاب المقالات فإنما بسبب الأخذ عن الفلاسفة.

فتلقى (غيلان الدمشقي) (ت: ١٠٥ هـ) رأس القدرية مذهبه في القدر عن سوسن أو سنسويه النصراني.

وأخذ (الجعد بن درهم) (ت: ١١٨ هـ) عن الصابئة الفلاسفة فكان رأساً في الضلال وإماماً فيه.

وأخذ (الجهم بن صفوان) (ت: ١٢٨ هـ) فلسفته عن بعض فلاسفة الهند - وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات - فكان إمام الجهمية في ضلالهم.

وعني (الخليفة العباسي المأمون) (ت: ٢١٨ هـ) بالفلسفة وعلوم

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٤٥-٤٤٩).

الأوائل ومَهَرَ فيها، فجره ذلك إلى القول الباطل بل الكفر وهو القول بخلق القرآن^(١).

ودخل (أبو نصر الفارابي) (ت: ٣٣٩هـ) حرّان وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته.

وارتحل (أبو العلاء المعري) (ت: ٤٤٩هـ) إلى اللاذقية ونزل دَيْرًا به راهب متفلسف، فدخل كلامه في مسامع أبي العلاء، وحصلت له شكوك لم يكن له نور يدفعها، فحصل له نوع انحلال دلّ عليه ما ينظمه ويلهج به^(٢).

وعُني (ابن حزم) (ت: ٤٥٦هـ) بعلم المنطق وبرع فيه ثم أعرض عنه وما أعرض عنه حتى زرع في باطنه أموراً وانحرفاً عن السنّة^(٣). ووقع في نفي الصفات مع تعظيمه للحديث والسنّة بسبب أنه أخذ أشياء من أقوال الفلاسفة والمعتزلة عن بعض شيوخه ولم يتفق له من يبين له خطأهم^(٤).

وتلقّى (أبو حامد الغزالي) (ت: ٥٠٥هـ) عن الفلاسفة، فدخل في أجوافهم ولم يخرج منها^(٥).

ومال (محمد بن عبد الكريم الشهرستاني) (ت: ٥٤٩هـ) إلى الإلحاد وتجنّب في الاعتقاد لإعراضه عن علم الشرع واشتغاله بظلمات الفلسفة^(٦).

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص (٤١٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/٢٦). البداية والنهاية (١٥/٧٤٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/١٨٨).

(٤) منهاج السنة النبوية (٢/٥٨٤).

(٥) البداية والنهاية (١٦/٣٦١).

(٦) السير (٢٠/٢٨٨).

واطلع (صدقة بن الحسين بن الحسن الحداد) (ت: ٥٧٣هـ) على كتاب الشفاء لابن سينا فتغيّر فكان يرمز إلى إنكار بعث الأجسام ويميل إلى مذهب الفلاسفة وتارة يعترض على القضاء والقدر^(١).

وأقبل العلامة الفيلسوف (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي) (ت: ٥٩٥هـ) على علوم الأوائل وبلاياهم حتى صار يضرب به المثل في ذلك حتى نسبت إليه أقوال رديّة^(٢).

وقرأ الأصولي الفيلسوف (فخر الدين إسماعيل بن علي بن الحسين المأموني الحنبلي) (ت: ٦١٠هـ) المنطق والفلسفة على (ابن مرقش النصراني) فكان يتردد على البيعة لأجل ذلك. وصنّف كتاب: (نواميس الأنبياء) يذكر فيه أنهم كانوا حكماء كهرمس وأرسطو، وكان متسامحاً في دينه، ويقع في رواة الحديث، ويقول: هم جهال لا يعرفون العلوم العقلية، ولا معاني الحديث الحقيقية، بل هم مع اللفظ الظاهر^(٣).

وتفنّن العلامة المتكلم (سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الآمدي) (ت: ٦٣١هـ) في حكمة الأوائل فرّق دينه وأظلم^(٤).

وكان من أسباب ضلال العلامة الأصولي الفيلسوف قاضي القضاة أبو حامد عبدالعزيز بن عبد الواحد الجيلي الشافعي (٦٤٢هـ) أن أمعن في علم

(١) المنتظم (١٨/٢٤٣).

(٢) السير (٢١/٣٠٨).

(٣) السير (٢٢/٢٩).

(٤) السير (٢٢/٣٦٤).

الأوائل فأظلم قلبه وقاله^(١).

وكان (الفخر بن البديع البندهي) (ت: ٦٥٧هـ) يتعاطى الفلسفة والنظر في علم الأوائل، فأفسد عقائد جماعة من الشباب المشتغلين^(٢).

واشترى (محيي الدين النووي) (ت: ٦٧٦هـ) كتاب القانون (لابن سينا)، قال: فأظلم علي قلبي، وبقيت أياماً لا أشتغل بشيء فتفكرت، فإذا هو القانون فبعته في الحال^(٣).

وبعد هذا:

تأمل ما جرَّ المنطق على أهله، من البلايا والمحن، وما أوقعهم فيه من التعطيل، والريب، والفتن، فكيف يستجيز من له أدنى عقل، أو دين، أن يقرأ كتب المنطق وعلوم اليونان؟ ويدع الاشتغال بعلوم السنة والقرآن؟! وهل هذا إلا زيف في القلوب، ومثل هذا لا يوفق لطلب العلم، من كتاب الله وفهمه^(٤).

ومن كان علياً بهذه الأمور: تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزد إلا بعداً^(٥).

ويَتَّبِعُ علم الفلسفة في إفساد العقائد وتحريم الاطلاع عليها كثير من

(١) السير (١٠٩/٢٣).

(٢) الذيل على الروضتين (١/١٣٥).

(٣) مرآة الجنان، اليافعي (٤/١٣٨).

(٤) الدرر السنية (٢/٣٤٢).

(٥) الحموية، ص (٥٥٣).

العلوم.. فالعلم الذي يحرم تعلمه ونشره علم الأوائل وإلهيات الفلاسفة وبعض رياضتهم، بل أكثره، وعلم السحر، والسيما، والكيمياء^(١)، والشعبذة، والحيل، ونشر الأحاديث الموضوعة، وكثير من القصص الباطلة أو المنكرة، وسيرة البطالين المختلفة، وأمثال ذلك، ورسائل إخوان الصفا، وشعر يعرض فيه إلى الجناب النبوي، فالعلوم الباطلة كثيرة جداً فلتحذر، ومن ابتلي فيها بالنظر للفرجة والمعرفة من الأذكياء، فليقلل من ذلك، وليطالعه وحده، وليستغفر الله تعالى، وليلتجئ إلى التوحيد، والدعاء بالعافية في الدين..^(٢)

فإياك - أيها الموفق - وكتب الفلاسفة والمناطق والباطنية وأهل الكلام فإنها داء عضال، وجَرَبٌ مُرِدٌ وسم قتال، فالحذر الحذر من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلا وقعت في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز، فليلزم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، وليتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام وأن يتوقى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين^(٣).

وعليك أخي بتدبر كتاب الله، وإدمان النظر في الصحيحين وسنن النسائي ورياض النواوي وأذكاره تفلح وتنجح، وإياك وآراء عباد الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة^(٤).

(١) المراد به نوع من السحر وليس العلم المعروف في عصرنا.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٦٠٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٤٠).

ومن أعرض عن القرآن والسنة وعلومها وأكب على كتب المنحرفين من الفلاسفة وغيرهم يوشك أن يهلك ويزيغ، وقرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا سَرَفًا﴾ [التوبة: ١٢٧]. فإن فيها أعظم رادع عن ذلك.

وفي زماننا ثقلت النصوص على طائفة، وأعياهم حفظها، وزهد أقوام في العلوم الشرعية، فراجت مقالة ضالة تدعو إلى قراءة الفلسفة وتعلمها^(١) وتدريسها في الجامعات الشرعية^(٢)، فأقبل بعض الناشئة على كتب الفلاسفة^(٣)، وأصبحوا يتزينون بها في مقالاتهم ومطاراتهم، وهذا مورد هلاك وفتنة.

ومما لاحظته أن صحيفة (الرياض) على وجه الخصوص تسعى إلى نشر الفكر الفلسفي من خلال عرض كتب الفلاسفة والكتابة عنها، ففي السنوات الأخيرة كُتب الكثير من ذلك^(٤).

(١) عرضت قناة الإخبارية في يوم الخميس الموافق (٢٠٢٨/٤/٢٠هـ) في برنامج (آفاق ثقافية) حلقة بعنوان: (الفلسفة والفكر الديني وممانعة الفكر الديني للفلسفة).

(٢) طالب (علي الشدوي) في محاضرة له في نادي حائل الأدبي بتدريس الفلسفة في التعليم العالي. صحيفة الرياض العدد (١٤٩٢٥)، التاريخ (٢٠٢٣/٣/١٠هـ).

(٣) تعقد حلقة (فلسفية) أسبوعية في نادي الرياض الأدبي.

(٤) ينظر مثلاً:

- مقال بعنوان: (الاغتراب في حياة ابن باجه)، العدد (١٥٠٢٥)، التاريخ (٢٠٢٣/٨/٢٢هـ).

- مقال بعنوان: (التأسيس الفلسفي للأخلاق)، العدد (١٥٠٠٤)، التاريخ (٢٠٢٣/٨/٢١هـ).

ويدعو بعض (الأكاديميين) طلابهم إلى قراءة الفلسفة والنظر فيها، وهم بهذا غشواهم ولم ينصحواهم.

وأصدق وصف للفلسفة أنها طعام فسد وتغير وأنتن، يؤدي بمن أكله إلى السقم أو الهلاك.

وإذا كان السلف قرروا تحريم النظر في كتب أهل الكلام^(١)، فإنه ينسحب على سائر كتب الضلال.

وإن المسلم ليستد ألمه عندما يرى الناشئة تقبل على كتب المنحرفين والضلال، ويعجب ممن ينشد المعرفة في كتب: محمد الجابري وأركون ونصر أبو زيد وعلي حرب وجمال البنا وغيرهم من رؤوس الضلال والانحراف.

فما يكتبه هؤلاء المنحرفون لا يستحق أن يقرأ فضلاً عن أن يعظم أو يفاد منه، إذ يقوم على أصليين:

الأصل الأول: عدم اعتبار الوحي أصلاً للمعرفة.

الأصل الثاني: رفض الوحي مهيمناً على الحياة.

وقرأت طائفة في زماننا في كتب الفلاسفة فضلت عن سواء السبيل، فقرأ (منصور النقيدان) كتب الجابري كما ذكر عن نفسه^(٢) وقرأ أيضاً في

- عرض لكتاب (محاورة ديكرات)، العدد (١٤٧٥٢)، التاريخ (٢٠٢٩/١١/١٥هـ).

(١) ينظر: تحريم النظر في كتب الكلام، لابن قدامة، ص (٤١).

(٢) صحيفة الرياض، التاريخ (٢٠٢٣/٧/٢٤م)، مقال بعنوان: (الكتاب حينما يكون عاملاً في صياغة التفكير).

كتب الفلسفة وتاريخ الفلاسفة^(١). واطلع (منصور المجلدة) على الفلسفة وكتب مقالات فيها^(٢)، وقرأ (نواف القديمي) فيها أيضاً^(٣). واطلع (إبراهيم البليهي) على كتبهم^(٤). وهؤلاء وغيرهم لم يخرجوا من الفلسفة والقراءة فيها إلا بشكوك وأوهام زادتهم تيهاً وضلالاً.

فمن رزقه الله بصيرة أبصر الحق والباطل عياناً بقلبه، كما يرى الليل والنهار، وعلم أن ما عداه من كتب الناس وآرائهم ومعقولاتهم: بين علوم لا ثقة بها، وإنما هي آراء وتقليد، وبين ظنون كاذبة لا تغني من الحق شيئاً، وبين أمور صحيحة لا منفعة للقلب فيها، وبين علوم صحيحة قد وعروا الطريق لتحصيلها وأطالوا الكلام في إثباتها مع قلة نفعها^(٥).

(١) مقابلة مع (منصور النقيدان) على قناة العربية في برنامج إضاءات، التاريخ (١٥/٩/٢٠٠٤م).

(٢) ينظر مثلاً: مقال بعنوان: (قراءة في كتاب إصلاح العقل في الفلسفة العربية من واقعية أرسطو...) صحيفة الرياض، التاريخ (١٣/٩/١٤٢٧هـ)، العدد (١٣٩٨٢).

كما شارك بورقة في ندوة في نادي حائل الأدبي بتاريخ (٢٢/٣/١٤٢٨هـ) بعنوان: (الفلسفة وعلاقتها بالدين).

(٣) المحافظون والإصلاحيون، نواف القديمي، ص (٢٥١).

(٤) البليهي في حوارات الفكر والثقافة، عبد الله المطيري، ص (٧).

(٥) إغاثة اللفهان (١/٧٠-٧١).

رابعاً ترك الصبر المأمور به

من قرأ التاريخ، وتدبر السير، وتأمل أحوال الناس وجد أن من أسباب الضلال: ترك الصبر المأمور به فيقع الإنسان في الفتنة.

والفتن تأخذ صوراً مختلفة، وهي تعظم في آخر الزمان، وتشتد على أهل الإيمان.

فمن تعريض الإنسان نفسه للفتنة إنكار المنكر وهو غير قادر على تحمل ما يصيبه من الأذى. إذ الأصل أن الأمر والنهي واجب في حق القادر مع أمن الفتنة، أما مع الفتنة فإن السلامة لا يعد لها شيء.

سئل الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): متى يجب علي الأمر؟ قال: إذا لم تخف سوطاً ولا عصاً^(١).

وسئل أيضاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلم؟ قال:

نعم، قال: فإن خشي؟ قال: هو واجب عليه حتى يخاف، فإذا خشي على نفسه

(١) مسائل الإمام أحمد برواية إسحاق بن إبراهيم، رقم (١٩٤٩).

فلا يفعل^(١).

وتكون الفتنة أعظم عند الإنكار على الولاة والسلاطين خاصة إذا كان الإنكار علانية وبتهييج العامة عليهم.

قيل: للإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ): متى يجب الأمر والنهي؟

قال: ليس هذا زمان نهي، إذا غيّرت بلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، فهو أضعف الإيمان، وقال لي: لا تعرض للسلطان، فإن سيفه مسلول وعصاه^(٢).

وقال وكيع بن الجراح في الأمر والنهي: مروا بها من لا يخاف سيفه ولا سوطه^(٣).

ومن ترك الصبر المأمور به الخروج على ولاة الجور بالسيف عند فشو المنكر أو الاستئثار بالمال، مما يخالف المقرر عند أهل السنة والجماعة.

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر فتوّلد منه ما هو أكبر منه^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (لا تقع الفتنة إلا من ترك ما أمر الله به، فهو سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر، فالفتنة إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر)^(٥).

(١) كتاب الأمر بالمعروف، للخلال، ص (٢٥).

(٢) مسائل الإمام أحمد برواية إسحاق بن إبراهيم، رقم (١٩٥٦).

(٣) كتاب الأمر بالمعروف، للخلال، ص (٢٩).

(٤) إعلام الموقعين (٦/٣).

(٥) الاستقامة (٣٩/١).

يقول ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ): (ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء، فإن كثيراً من المتحليين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله، فيكثر أتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغاء والدهماء، ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهلك، وأكثرهم يهلكون في تلك السبل مأزورين غير مأجورين لأن الله لم يكتب عليهم ذلك)^(١).

وقد خرج أقوام في التاريخ على ولاة الجور فأحدثوا فتناً عظيمة أضرت بهم وبالعامة، وبعض هؤلاء ندم وأسف على ذلك.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان؛ إلا وكان خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته)^(٢). فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا ديناً^(٣).

ففي سنة (٦٣هـ) كانت وقعة (الحرّة)، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا (يزيد بن معاوية)، فأرسل لهم (مسلم بن عقبة) فنزل شرقي المدينة في (الحرّة)، فاقتل القريقان قتلاً شديداً فهزم أهل المدينة إليها، ثم أباحها (مسلم بن عقبة) ثلاثة أيام، وقتل خلقاً من أشرفها وقرائها، وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شر عظيم وفساد عريض، وقتل سبعمئة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار،

(١) مقدمة ابن خلدون، ص (٢٨٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/٣٩١).

(٣) منهاج السنة النبوية (٤/٥٢٨).

وعشرة آلاف ممن لا يعرف من حر وعبد.

وقد وقع في هذه الأيام الثلاثة من المفاصد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحصى ولا يوصف مما لا يعلمه إلا الله عز وجل^(١).

وكان (عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث) (ت: ٨٤هـ) أميراً على (سجستان)، بعثه (الحجاج)، فثار هناك، وأقبل في جمع كبير وقام معه علماء وصلحاء لما رأوا على (الحجاج) من إماتة الصلاة، فقاتله (الحجاج) ودامت الحرب أشهراً، وقتل خلقاً كثيراً من الفريقين، ثم انهزم (ابن الأشعث) ومن معه، وقتل (الحجاج) منهم خلقاً كثيراً من القراء وغيرهم من خيار الناس، وغرق كثير منهم، ولما جاء (الحجاج) إلى معسكرهم قتل منهم نحواً من أربعة آلاف، ثم تتبعهم، حتى قيل: إنه قتل منهم بين يديه صبراً مائة وثلاثين ألفاً كان آخرهم التابعي الجليل (سعيد بن جبير)، ثم لاذ (ابن الأشعث) إلى رتبيل أمير الترك وكان كافراً، فسلمه (رتبيل) إلى (الحجاج)، فلما قرب (ابن الأشعث) من (العراق) ألقى نفسه من قصر خراب أنزلوه فيه فهلك^(٢).

قال أيوب: (لا أعلم أحداً قتل - يعني مع ابن الأشعث - إلا وقد رغب له عن مصرعه، ولا نجا إلا قد ندم على ما كان منه)^(٣).

وخرج (يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة) (ت: ١٠٢هـ) على (يزيد بن عبدالملك)، وغلب على (البصرة)، فاتبعه الرعاع، فسار لحربه (مسلمة بن

(١) البداية والنهاية (١١/ ٦١٤-٦٢٧).

(٢) السير (٤/ ١٨٣). البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٩).

(٣) أخرجه ابن سعد (٧/ ١٨٨).

عبدالملك)، فقاتل (يزيد) قتالاً عظيماً وتغللت جموعه، فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد، بل شجاعة وحمية، حتى ذاق حُمامه، نعوذ بالله من هذه القتل الجاهلية^(١).

وتواعد (محمد بن فروخ الفارسي المالكي) (ت: ١٧٥هـ) مع قوم للخروج على الأمير، فذهب (ابن فروخ) لمكان الموعد وتحلفوا، فلم يوافه منهم إلا رجلان فرجع. وكان (ابن فروخ) يرى الخروج على أئمة الجور، إذا اجتمع ممن يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدة أهل بدر، فلما خرج إلى (مصر) وشيعة الناس التفت إلى من شيعة، فقال: اشهدوا أنني رجعت عما كنت أقول به من الخروج على أئمة الجور، وتائب إلى الله منه^(٢).

وفي سنة (٢٠٢هـ) هاج أهل (ربض قرطبة) على (الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية الأموي) (ت: ٢٠٦هـ) أمير (الأندلس)، وقد اختلفت الروايات في سبب قيام الناس وهيجهم، فمنهم من يقول: إن ذلك الهيج كان أصله الأشر والبطر، إذ لم تكن ثم ضرورة من إجحاف في مال، ولا انتهاك لحرمه، ولا تعسف في ملكه، والحال تدل على صحة ذلك: فإنه لم يكن على الناس وظائف، ولا مغارم، ولا سُخر، ولا شيء يكون سبباً لخروجهم على السلطان، بل كان ذلك أشراً وبطراً، وملاً للعاية، وطبعاً جافياً، وعقلاً غيباً، وسعيّاً في هلاك أنفسهم، أعاذنا الله من الضلال والخذلان، وأسباب البوار والخسران.

(١) السير (٤/ ٥٠٦).

(٢) ترتيب المدارك، القاضي عياض (١/ ١٩٨).

ولما هاجوا وقاوموا السلطان، ناصبهم (الحكم بن هشام) القتال، وواضعهم الحرب، فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وتبّعهم في الأزقة والطرق يقتلهم، ونجا منهم من تأخر أجله ففر فلم يلو على أهل ولا ولد، وأخذ منهم ثلاثمائة رجل، فصلبوا، وكان منهم علماء ومحدثون^(١).

وخرجت الجماعة الإسلامية سنة (١٤٠٢ هـ) وقتلت (السادات) رئيس مصر فجاء (حسنى مبارك)، فكان نقمةً وعذاباً عليهم، فأعدم مائة منهم بأحكام استثنائية، وألفين منهم أعدموا بطريقة غير قانونية، وهذا كلام الدكتور (ناجح إبراهيم) من رموز الجماعة الإسلامية الذي أكد أن قتل السادات كان خطأ ولم يكن صواباً وأنه أضر بالدعوة الإسلامية، وقد كانت تعيش حرية قبل قتله^(٢).

وكثير ممن خرج على ولاية الأمور أو أكثرهم إنما خرج لينازعهم مع استشارهم عليه، ولم يصبروا على الاستئثار. ثم إنه يكون لولي الأمر ذنوب أخرى، فيبقى بغضه لاستئثاره يعظم تلك السيئات، ويبقى المُقاتِلُّ له ظاناً أنه يقاتله لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ومن أعظم ما حرّكه عليه طلب غرضه: إما ولاية، وإما مال^(٣).

(١) البيان المغرب (٢/ ٧٥-٧٧). نفع الطيب (١/ ٣٣٩) (٢/ ٦٣٩).

(٢) مقابلة مع الدكتور (ناجح إبراهيم) في برنامج (صفحة جديدة) على قناة (لايف المصرية) يوم الثلاثاء الموافق (٢٧/ ١١/ ١٤٣٢ هـ).

(٣) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٤٠).

وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولاية الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتال على الدنيا^(١).

ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبين له أنه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله، لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به^(٢).

وإذا التبس الحق بالباطل، ولم يتبين الحق والصواب، وماجت الفتن بأهلها فأقبل على نفسك، والزم جادة الراغبين في السلامة: عزلةً وصمتاً.

قال حذيفة رضي الله عنه: (إياكم والفتن فلا يشخص إليها أحد، فوالله ما يشخص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن، إنها مشبهة متصلة حتى يقول الجاهل هذه سنة، وتبين مدبرة، فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم وكسروا سيوفكم وقطّعوا أوتاركم)^(٣).

وذلك أن الفتنة تمنع معرفة الحق أو قصده أو القدرة عليه، فيكون فيها من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل، حتى لا يتميز لكثير من الناس أو أكثرهم، ويكون فيها من الأهواء والشهوات ما يمنع قصد الحق وإرادته، ويكون فيها من ظهور قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير.

ولهذا يُنكر الإنسان قلبه عند الفتنة، فيردُّ على القلوب ما يمنعها من معرفة الحق وقصده. ولهذا يقال: فتنة عمياء صماء. ويقال: فتن كقطع

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٥٢).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٤١٠).

(٣) الإبانة (٢/ ٥٩٤).

الليل المظلم، ونحو ذلك من الألفاظ التي تبين ظهور الجهل فيها، وخفاء العلم^(١).

والفتن على وجوه كثيرة وضروب شتى قد مضى منها في صدر هذه الأمة فتن عظيمة نجا منها خلق كثير عصمهم الله بالتقوى.

وجميع الفتن المضلة المهلكة المضرة بالدين والدنيا فقد حلت بأهل عصرنا واجتمع عليهم مع الفتن التي هم فيها التي أضرموا نارها وتقلدوا عارها الفتن الماضية والسابقة في القرون السالفة فقد هلك أكثر من ترى بفتن سالفة وفتن آتية اتبعوا فيها الهوى آثروا فيها الدنيا فعلامة من أراد الله به خيراً وكان ممن سبقت له من مولاه الكريم عناية أن يفتح له باب الدعاء باللجأ والافتقار إلى الله عز وجل بالسلامة والنجاء ويهب له الصمت إلا بما لله فيه رضى ولدينه فيه صلاح وأن يكون حافظاً للسانه عارفاً بأهل زمانه مقبلاً على شأنه قد ترك الخوض والكلام فيما لا يعنيه والمسألة والكلام والإخبار بما لعله أن يكون فيه هلاكه، لا يجب إلا لله ولا يبغيض إلا لله، فإن هذه الفتن والأهواء قد فضحت خلقاً كثيراً وكشفت أستارهم عن أحوال قبيحة فإن أضوّن الناس لنفسه أحفظهم للسانه وأشغلهم بدينه وأتركهم لما لا يعنيه^(٢).

والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها وهذا شأن الفتن كما قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] وإذا وقعت الفتنة لم يسلم

(١) منهاج السنة (٤/٥٤٨).

(٢) الإبانة (٢/٥٩٦).

من التلوث بها إلا من عصمه الله^(١).

وذلك أن الفتن إنما يعرف ما فيها من الشر إذا أدبرت، فأما إذا أقبلت فإنها تُزَيّن، ويُظن أن فيها خيراً، فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر والمرارة والبلاء، صار ذلك مبيناً لهم مضرتها، وواعظاً لهم أن يعودوا في مثلها، كما أنشد بعضهم:

الحرب أول ما تكون فتيةً تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولّت عجوزاً غير ذات حليل^(٢)

والاستشراف للفتن يكون باللسان ويكون باليد... واستشرافها باللسان أشد وقعاً وأعظم أثراً. قال صلى الله عليه وسلم: «تكون فتن تستنظف العرب، اللسان فيها أشد من وقع السيف»^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ستكون فتنة عمياء صماء من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقع السيف»^(٤).

وكما قيل:

يصاب الفتى من عشرة بلسانه وليس يصاب المرء من عشرة الرجل
فعرثته في القول تذهب رأسه وعرثته في الرجل تترا على مهل

(١) منهاج السنة (٤/٣٤٣).

(٢) منهاج السنة (٤/٤٠٩) وهو في البخاري في كتاب الفتن.

(٣) أخرجه أبوداود (٤٢٦٥). والترمذي (٢٢٦٩).

(٤) أخرجه أبوداود (٤٢٦٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذبه»^(١).

وأسعد الناس مَنْ جُنِبَ الفتن، قال صلى الله عليه وسلم: «إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن»^(٢).

ومن أسباب الوقوع في الفتنة تصدر الصغار، وإذا رأيت جملة ممن فتنوا بأنواع الفتنة في زماننا وجدت أنهم ممن استعجلوا التصدر للتدريس أو الإفتاء أو الكلام في الشأن العام وهم بعد أحداث صغار.

ومما رآه الإنسان وبلغ به العجب غايته ما قام به (حمود بن نافع العنزي) من إنشاء سفر إلى ليبيا ليخطب في الناس هناك يدعوهم إلى طاعة القذافي متضمناً كلامه كثيراً من التلبيس والكذب والتضليل خاتماً خطبته بالدعاء للقائد القذافي بالتوفيق^(٣)، وهذا القذافي صدر قرار من علماء العالم الإسلامي منذ ثلاثين عاماً بتكفيره لإنكاره السنة وكلامه في القرآن الكريم^(٤).

وإذا عرّض الإنسان نفسه للبلاء لم يأمن الفتنة، خاصة إذا عديم رسوخ القدم: علماً وعبادةً ونيةً صالحة.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٦٣).

(٣) خطبة أذيعت على الفضائية الليبية في شهر شعبان ١٤٣٢ هـ أكثر من مرة.

(٤) الرد الشافي على مفتريات القذافي، رابطة العالم الإسلامي، ص (١١).

ولذا فكثير ممن عرّضوا أنفسهم للبلاء والفتنة ولم يوفقوا للصبر المأمور به نكصوا على أعقابهم مدبرين وأصبحوا دعاة لما كانوا ينكرونه. فأحدهم يقول: لقد سقطت نصف قناعاتي يوم أغلق السجن باب السجن علي.

وآخر عزل من القضاء وسجن فتحول إلى بلاء وسوء فتنة، ففي برنامج (إضاءات) على قناة العربية هاجم الدعوة التجديدية الإصلاحية في هذه الجزيرة واعتبرها دعوة غالية، وقرر أن المصدر الشرعي القضائي شحيح وبخيل، وأن قاعدة (سد الذرائع) كبتت الناس وحجرت عليهم!!

ومثله من خرج في برنامج (إضاءات) على قناة (العربية) فاستنكر تقرير أهل العلم لقاعدة (سد الذرائع) ووصفهم بأشباه الفقهاء ووصمهم بضعف المعرفة، ودعا إلى إعادة قراءة كتب (قاسم أمين)، وسخر من كتاب: (حراسة الفضيلة)، وقرر أن (ابن تيمية) ساهم في تغذية الإرهاب.

ورابع: عزل من القضاء فسّل لسانه على أهل العلم تنقصاً وتجريحاً وصار رداءً للمنافقين في حربهم على أهل العلم والإيمان.

وهؤلاء إنما أوتوا من جهة جزعهم وعدم صبرهم، فلو لم يدخلوا في الفتنة لكان خيراً لهم.

فهذا شأن المفتونين ممن تعرضوا للفتنة فلم يصبروا، أما العلماء الصادقون والأئمة المهديون فهؤلاء إن فتنوا صبروا، ودونك سير التابعين والأئمة الأربعة وغيرهم شاهدة على هذا.

ولعلك تذكر أن الشيخ التقي (عبدالله بن حسن بن قعود) (ت: ١٤٢٦ هـ)

عُزل من وظيفته سنة (١٤٠٦هـ)^(١) فلم يزد ذلك إلا صبراً وثباتاً ولم ينقطع عن إفادة الناس تدريساً وإفتاءً، ولم يخرج رحمه الله رحمة واسعة في الصحف والمجلات والإذاعات ليصيح ويولول كما هو شأن المفتونين.

ولا تنس الشيخ الورع (عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين) (ت: ١٤٣٠هـ) الذي عُزل من وظيفته سنة (١٤١٦هـ) فلم يزد أن اشتغل بالتدريس وإفادة الناس.

هذه مواقف الصادقين ومقامات الصالحين.. أتعلم لماذا؟ لأنهم قوم صفت نياتهم وخلصت مقاصدهم نحسبهم كذلك والله حسيهم.

خامساً

الاغترار بالمنحرفين والانبهار بالجديد

يؤتى بعض الناس من القدرة والمكنة فتنة واختباراً لهم .. ما يغر بهم الناس فيتبعوهم.

فأحياناً يكون لديهم بلاغة وفصاحة وقدرة على الكلام وانطلاقة فيه، وأحياناً يكون لديهم ذكاء وفطنة، وأحياناً يكون عندهم عبادة وتنسك..

وقد تتبعنا تراجم طائفة من المنحرفين في القديم فوجدت أن فيهم بلغاء فصحاء وفيهم أذكاء وفيهم عباد متنسكون ..

أما الفصاحة والبيان فما اطلعت على ترجمة رأس من رؤوس البدعة والانحراف إلا رأيت أنه موصوف بشيء من ذلك.

يصف الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) (واصل بن عطاء المعتزلي) (ت: ١٣١هـ) فيقول: البليغ الأفوه^(١).

وقال أبو العيناء: (كان ابن أبي دواد - الداعية إلى القول بخلق القرآن -

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤).

(١) مقابلة مع أبناء الشيخ (عبد الله بن قعود) في مجلة (منارات)، العدد (١٣)، التاريخ (شوال ١٤٢٦هـ).

(ت: ٢٤٠ هـ) شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً، ما رأيت أفصح منه^(١).

ولُقّب عبدالله بن سعيد - رأس المتكلمين في زمانه - كُلاباً لأنه كان يجر الخنصر إلى نفسه بيانه وبلاغته^(٢).

وكان أبو الفتوح السهروردي الصوفي المقتول لزندقته (ت: ٥٨٧ هـ) فصيح العبارة^(٣).

ولهذا قال عمر بن الخطاب: «حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل منافق عليم اللسان»^(٤).

أما الذكاء والفتنة فندر أن تجد منحرفاً أو مبتدعاً وهو رأس إلا وله نصيب وافر منهما.

فالجهم بن صفوان رأس الجهمية كان صاحب ذكاء^(٥).

وكان عبدالله بن المقفع - أحد الزنادقة - (ت: ١٤٥ هـ) يتميز بفرط الذكاء^(٦).

وكان بشر بن المعتمر (ت: ٢١٠ هـ) شيخ المعتزلة ذكياً فطنا^(٧).

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٥).

(٣) وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه أحمد (١٤٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦).

(٦) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٩).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٣).

ووصف أبو الهذيل العلاف (ت: ٢٢٦ هـ): بأنه صاحب الذكاء البارع^(١).

وكان الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) مفرط الذكاء فأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام ومزال الأقدام^(٢).

وكان حسن بن عدي بن أبي البركات بن مسافر شيخ الأكراد المتصوف المنحرف (ت: ٦٤٤ هـ) من رجال العالم دهاء^(٣).

وكذا سائر المبتدعة من أهل الكلام والفلسفة.. فأبو بكر الباقلاني الأشعري (ت: ٤٠٣ هـ)^(٤) وأبو عبد الله الحلي الأشعري (ت: ٤٠٣ هـ)^(٥) وأبو الحسين

البصري المعتزلي (ت: ٤٣٦ هـ)^(٦) وأبو جعفر السمناني الأشعري (ت: ٤٤٤ هـ)^(٧) وأبو الفتوح السهروردي الصوفي الزنديق (ت: ٥٨٧ هـ)^(٨) وسيف الدين

الآمدي (ت: ٦٣١ هـ) وابن عربي الصوفي (ت: ٦٣٨ هـ)^(٩) وغيرهم وصفوا بأنهم أذكاء ودهاء بل يضرب المثل بذكائهم، بل منهم من كان من أذكاء العالم.

وساق الذهبي أسماء عددٍ من رؤوس المعتزلة فقال: وأشباههم ممن كان

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٢٣).

(٤) السير (١٧/ ١٩٠).

(٥) السير (١٧/ ٢٣٢).

(٦) السير (١٧/ ٥٨٧).

(٧) السير (٢٢/ ٣٦٤).

(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٥).

(٩) السير (٢٣/ ٤٨).

ذكاؤهم وبالأعلى عليهم، ثم بينهم من الاختلاف والخباط أمر لا يخفى على أهل التقوى، فلا عقولهم اجتمعت، ولا اعتنوا بالآثار النبوية، كما اعتنى أئمة الهدى، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ [الأنعام: ٨١] (١).

وقد أخبر الله في غير موضع من كتابه بالضلال والعذاب لمن ترك اتباع ما أنزله، وإن كان له نظر وجدل واجتهاد في عقليات وأمور غير ذلك، وجعل سبحانه ذلك من نعوت الكافرين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].
وكما قيل:

هتف الذكاء وقال لست بنافع إلا بتوفيق من الوهاب (٢)

أما الزهد والتقشف فبعض رؤوس البدعة والانحراف عبر التاريخ كانوا كذلك.

كان أبو الفضل جعفر بن حرب المعتزلي (ت: ٢٣٦هـ) عابداً ومن نساك القوم (٣).

وجاء في وصف محمد بن كرام السجستاني - شيخ الكرامية - (ت: ٢٥٥هـ) الزاهد العابد، لكنه خذل حتى التقط من المذاهب أرداها (٤).

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٥٦).

(٢) السير (١٨/٥٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/٥٢٣).

ووصف أبو مخالد أحمد بن الحسين المتكلم المعتزلي (ت: ٢٦٨هـ) بأنه ذو زهد وورع (١).

وكان الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي السمان المعتزلي (ت: ٣٤٠هـ) زاهداً ورعاً (٢).

ووصف أبو عبدالله الحسين بن عبدالله الغضائري (ت: ٤١١هـ) بالزهد والورع، وكان رافضياً (٣).

وقدم محمد بن أحمد بن موسى الشيرازي الواعظ (ت: ٤٣٩هـ) على بغداد وأقام بها مدة يتكلم على الناس بلسان الوعظ، ويلبس المرقعة، ويظهر عزوف النفس عن طلب الدنيا، فافتتن الناس به لما رأوا من حسن طريقته، وكان يحضر مجلس وعظه خلق لا يحصون، ثم إنه قبل ما كان يعطى بعد امتناع شديد كان يظهره من قبل، وحصل ببغداد مالاً كثيراً، ونزع المرقعة من الثياب ولبس الثياب الناعمة الفاخرة، وجرت له أقاصيص، وصار له تبع وأصحاب، ثم أظهر أنه يريد الغزو، فحشد الناس وصار معه من أتباعه عسكر كبير، ونزل بظاهر البلد من أعلاه وكان يضرب له بالطبل في أوقات الصلوات (٤).

وكذا أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري (ت: ٤٤٩هـ) كان يتزهد

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٥٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/٥٧).

(٣) السير (١٧/٣٢٨).

(٤) تاريخ مدينة السلام (٢/٢٢٧).

ولا يأكل اللحم ويلبس خشن الثياب على أنه رُمي بالإلحاد والزندقة^(١).

ودخل صدقة بن وزير الواسطي (ت: ٥٥٧هـ) بغداد ولازم التقشف زائداً في الحد ووعظ فأخذ قلوب العوام بالتقشف الخارج وكان فيه ترفُّص^(٢).

وبالجملة فالاغترار بعبادة المنحرفين دسيسة شيطانية، فابن عربي وابن سبعين وابن الفارض لهم عبادات وصدقات ونوع تقشُّف وتزهد، وهم من أكثر أهل الأرض^(٣).

إذن: فالذكاء والبلاغة والزهادة والعلوم الدنيوية مهما بلغت ليست معياراً لاستقامة الرجل أو صلاح حاله فضلاً أن يكون حقيقاً بالاتباع. قال الله تعالى عن المعارضين للرسول: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [غافر: ٨٣].

ويتبع الاغترار بالمنحرفين: الانبهار بالجديد الذي يهز القناعة ويضعف اليقين.

وهذا الجديد يتمثل في: شخصيات يجعلها أئمة له، أو كتب يطلع عليها، أو بلدان يسافر إليها يراها المرء الضعيف فتهاز يقينيته وتكون سبباً في انحرافه.

فالانبهار بالشخصيات لقدرتها على الحديث والبيان، أو لتمكنها من علوم الآلة كالأصول والنحو أو المنطق والفلسفة، أو لسعة محفوظها وكثرة مقروئها...

أما الكتب فقد صدر كثير منها في السنوات الأخيرة في ظل الانفتاح غير

(١) الأنساب (١/ ٣٥١).

(٢) المنتظم، لابن الجوزي (١٨/ ١٥٤).

(٣) مجموع الرسائل والمسائل النجدية، عبداللطيف بن عبدالرحمن (٣/ ٦٧).

المنضبط^(١) وكان لها أثرها وتأثيرها في نشر الانحراف...

فقد صدر كتاب: (محمد بن عبد الوهاب داعية وليس نبيا) للمبتدع الخبيث: حسن المالكي، وتلقفه بعض الأغرار وأخذوا ما فيه من غثاثة وأصبحوا يرددونها في مجالسهم ومنتدياتهم وقاعات الدرس أمام طلابهم، ولقد تبعت سيرة بعض هؤلاء المنحرفين فوجدت أنهم على ذلك، فمن كلماتهم: (دعوة بن محمد بن عبد الوهاب دعوة بدو!! محمد بن عبد الوهاب داعية وليس نبيا!! استقلت الدعوة النجدية بأفكار جديدة!! الدعوة الوهابية دعوة أعراب أجلاف!!...).

وراج بين بعضهم كتاب عنوانه: (القول التمام بإثبات أن التفويض مذهباً للسلف الكرام)^(٢)، من اقتناه منهم ظن أنه حاز صيداً ثميناً، فاعتقد ما فيه من الباطل وتحريف مذهب السلف.

وهذا الكتاب خلط فيه مؤلفه خلطاً عجيباً ووقع في جهالات فاضحة يختصرها طالب العلم المبتدئ في سطور ثلاثة:

أولها: عدم فهم المؤلف لمذهب السلف في الصفات - هذا مع حسن الظن -.

(١) عن الانفتاح الفكري المذموم، ينظر: الانفتاح الفكري، عبد الرحيم السلمي، ص (٨١).

(٢) ينظر للرد على هذا الكتاب:

- عثار القول التمام، عبد العزيز آل عبد اللطيف.

- انتقاد القول التمام، إبراهيم الحما.

- القول التمام.. عرض ونقد، الدرر السنية.

ثانيها: عدم التفريق بين تفويض الكيفية و تفويض المعنى. وهذا الخلط وقع فيه الدكتور يوسف القرضاوي في تقديمه للكتاب!!

ثالثها: خطؤه في نسبة مذهب السلف في الصفات إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته فحسب^(١).

ونشطت دور النشر المشبوهة في إعادة نشر كتب الملحد: (عبد الله القصيمي) التي هي تعبير عن شخصية شكّاقة ناقمة متحيرة.. فتلقّفها الشباب وظنوا فيها جديداً مفيداً!! وهل الإلحاد جديد؟!

ولهذا يمنع من لا يكون عنده نقد وتمييز من النظر في الكتب التي يكثر فيها الكذب في الرواية والضلال في الآراء ككتب أهل البدع^(٢).

ومن نوافذ الانبهار عند ضعفاء اليقين والبصيرة: السفر إلى الخارج، يشاهد هناك أحوالاً وطرائق وعادات تخالف ما نشأ عليه وعرفه من الدين الحق فيشك فيه ويستنكره ويرجع بغير الوجه الذي ذهب به، ويصل به الحال إلى أن يتهم العلماء بأنهم غيّبوه عن الواقع أو كانوا مغرّقين في المحلية، ولم يفتتحوا على الأقوال والأحوال الأخرى.

ولعلك تذكر أن أحدهم أصدر فتوى يهون فيها من شأن تغطية الوجه

(١) قال شيخ الإسلام: (ومعلوم أن أئمة الجهمية النفاة والمعتزلة وأمثالهم، من أبعد الناس عن العلم بمعاني القرآن والأخبار وأقوال السلف، وتجد أئمتهم من أبعد الناس عن الاستدلال بالكتاب والسنة، وإنما عمدتهم في الشرعيات على ما يظنونهم إجماعاً، مع كثرة خطئهم فيما يظنونهم إجماعاً وليس بإجماع..). درء التعارض (٢٩/٧).

(٢) منهاج السنة (٢/٤٦٨).

للمرأة بحجة أن تسعين بالمائة من نساء العالم الإسلامي لا يغطين وجوههن!!^(١) وهل الحكم الشرعي يبنى على عدد من التزم به أو تركه؟!

ويصوّر لك الأمر مقالة أحدهم التي جاء فيها: (لقد وجدت الصحوة نفسها في قلب عالم مليء بالمتغيرات والمتناقضات فبينما كانت مسارات التلقّي في الماضي تنحصر ما بين شريط كاسيت مدعوم، وكتيبات موزعة توزيعاً مدروساً وآخر عشوائياً، وفتاوى محصورة بشخصيات علمية وأخرى دعوية، إذ بالأبواب تفتح وتفتاحاً الصحوة بمثل ما فوجئت به عند حديثي لأحد الأصدقاء عندما رأيت ثوبه طويلاً، فقلت له بهدوء عبارة الفاروق: ارفع ثوبك... فضغط على زر في جهازه الصغير، وفتح لي ملفاً مليئاً بأقوال الفقهاء الأقدمين والمعاصرين عن الخلاف في هذه المسألة، مخرج الأحاديث، محقق الأقوال!! وهنا مربوط الفرس كما يقال)^(٢).

وبشّر عن بواذر التمرد على الطرائق النمطية في الدعوة، أو الانصياع لفتوى مقتنة^(٣).

بل إن أحد المفتونين بالجديد، سألني ذات مرة؟ هل سافرت؟ ولم لم تتغير؟ والجواب أن السفر زادني يقيناً بالحق الذي هديت إليه والحمد لله على نعمته وأسأله الثبات حتى الممات فإنه لا هادي ولا عاصم إلا هو سبحانه.

رأيت الجهل والخرافة والشرك الذي وضع العقل تحت الأقدام فحمدت

(١) صحيفة الوطن، العدد (١٣٠٩)، التاريخ (٢٦/٢/١٤٢٥هـ - ١٦/٤/٢٠٠٤م).

(٢) رؤية تطويرية للصحوة السعودية، علي العمري، ص (٩).

(٣) المصدر السابق، ص (١١).

الله على نعمة التوحيد والسنة.

ورأيت آثار الاختلاط بين الجنسين في أماكن العمل والتعليم فتأكد عندي ضرره وبأن أثره.

ورأيت كيف جعل التبرج والسفور من المرأة سلعة رخيصة محلاً للمتعة الحرام فتيقنت بوجوب الستر وصيانته للمرأة من الابتذال.

ورأيت كيف دخل على العلم الشرعي دخلاء لا علم ولا عمل فَحَوِّدْتُ حال علمائنا الراسخين الذين هم على جادة السلف الصالح: عقيدة وعبادة وسلوكاً.

سادساً

ظهور الشعارات وتعدد الرايات

في كل فترة من الزمن ترتفع رايات وتظهر شعارات لكل راية منهج ولكل شعار سبيل.

وهنا لابد للعبد أن يزن الأمور بميزان الشرع، وينظر في أساساتها ومآلاتها، والداعين إليها: أحوالاً وسيرة، وليستفد من عقله في تقويمها والبصيرة في حسناتها وسيئاتها.

قال بعض الحكماء: المؤمن الكيس شديد الحذر على نفسه، يخاف على عقله من الآفات من الغضب والهوى والشهوة والحرص والكبر والغفلة، وذلك أن العقل إذا كان هو القاهر الغالب ملك هذه الأخلاق الرديّة، وإذا غلب على العقل واحدة من هذه الأخلاق أو رثته المهالك، وأحلت به النقمة وَعَدِمَ من الله حسن المعرفة^(١).

ففي القديم ظهر من يدعي الألوهية أو النبوة أو المهديّة أو الإصلاح أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو يدعو إلى دعوة مخلّطة لا معنى لها، فتبعهم

(١) تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي (٢/ ٥٩).

الهمج والرعا، وأحياناً تزل أقدام بعض أهل العلم فيغترون بهم.

فقد خرج (محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب (ت: ١٤٥هـ) على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وكانت ثورته في (المدينة)، فَسَجَنَ متوليها وصار له شأن، ثم قُضي عليه^(١). ونهض معه الإمام المحدث العلامة (أبو محمد عبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن المخرمي) (ت: ١٧٠هـ) وظنه المهدي، ثم إنه ندم فيما بعد، وقال: لا غرني أحد بعده^(٢).

وذكر أن (سهل بن سلامة المطوعي) (ت: ٢٠٢هـ) كان مقيماً ببغداد، يدعو إلى العمل بالكتاب والسنة، فلم يزل كذلك حتى اجتمع إليه عامة أهل بغداد ونزلوا عنده، وصار ومن معه يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولكنهم جاوزوا الحد وأنكروا على السلطان، ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة، وصار باب داره كأنه باب سلطان عليه السلاح والرجال وغير ذلك من أهبة الملك، فقاتله الجند فكسروا أصحابه، فألقى السلاح وصار بين النساء، ثم اختفى في بعض الدروب، فأخذ وجيء به إلى إبراهيم بن المهدي فسجنه^(٣).

ودخل رجل صالح على الإمام أحمد، فقال: إن أُمي رأت لك مناما، هو كذا وكذا، وذكرت الجنة، فقال: يا أخي، إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا وخرج إلى سفك الدماء. وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره^(٤).

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٢) الكامل (٣/ ٥٦٣).

(٢) السير (٧/ ٣٢٩).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٤٣). تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١-٢١٠)، البداية والنهاية (١٤/ ١٢٣).

(٤) السير (١١/ ٢٢٦).

وفي سنة (٢٢٧هـ) خرج أبو حرب اليامي المبرقع بفلسطين وادعى أنه السفياي، فكان الناس يترددون عليه في الجبل فيذكرهم ويحرضهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويذكر السلطان ويعيبه، فكثرت أتباعه حتى بلغوا مائة ألف، فأرسل إليه الخليفة العباسي (المعتصم) جيشاً، فأسر وحبس فمات في حبسه^(١).

وفي سنة (٢٥٥هـ) ظهر رجل في البصرة يدعى (علي بن محمد بن عبدالرحيم)، وهو من من الشياطين الدهاة، كان طرقياً أو مؤدباً، له نظر في الشعر والأخبار، ويظهر من حاله الزندقة والمروق، ادعى أنه علوي، ودعا إلى نفسه، وشخص إلى (هجر) فاتبعه جماعة من أهلها وقتلوا دونه، ثم خرج منها إلى البادية ثم إلى (البصرة) فالتف عليه قطاع الطريق، والعبيد السود من غلمان أهل (البصرة)، حتى صار في عدة، وتحيلوا وحصلوا سيوفاً وعصياً، ثم ثاروا على أطراف البلد، فبدعوا وقتلوا وقبوا، وانضم إليهم كل مجرم، واستفحل الشر بهم، فسار جيش من العراق لحربهم، فكسروا الجيش، وأخذوا (البصرة) واستباحوها، واشتد الخطب، وصار قائدهم في جيش وأهبة، ودام البلاء بهذا الخبيث المارق ثلاث عشرة سنة، إلى أن قتل. وعرفت فتنته هذه بفتنة الزنج^(٢).

وفي سنة (٣٢٢هـ) ظهر بمدينة (باسند) رجل ادعى النبوة، فقصدته فوج بعد فوج، واتبعه خلق كثير، وحارب من خالفه، فقتل خلقاً كثيراً ممن كذبته، وكثرت أتباعه. وأرسل السلطان إليه جيشاً فقتل وقتل من معه، وكان يدعي أنه

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٢٦٩).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤١-٤٥٧).

متى مات عاد إلى الدنيا فبقي بتلك الناحية جماعة كثيرة على ما دعاهم إليه مدة طويلة ثم اضمحلوا وفنوا^(١).

وادعى التناسخ وحلول الإلهية فيه (أبو جعفر الشلمغاني) (ت: ٣٢٢هـ) وتبعه خلق واعتقدوا فيه، فقبض عليه، وأفتى الفقهاء بحل دمه، فصلب وأحرق بالنار^(٢).

وفي العصر الحديث صارت الأمور أشد تعقيداً، والأحوال أكثر التباساً.. فكثرت الرايات وتعدد الشعارات، فانخدع بها المغفلون، وانطلت على السذج، وسار خلفها الدهماء فأوردتهم المهالك ومواطن الفتنة فجنوا على أنفسهم وعلى أديانهم أعظم جناية.

فالمؤمن لا يكون مغفلاً ساذجاً فتسهل خديعته أو جرّه إلى ما فيه عطبه وهلاكه في الدنيا والآخرة. والمؤمن يغلب عليه عقله فلا يسبق إلى ما يمليه عليه غضبه أو شهوته الخفية أو هواه فيقع فيها يأسف عليه. والمؤمن العاقل كلماته معدودة، ومواقفه محسوبة، سمته التؤدة، وتحكمه الأناة، ويبصر العواقب والمآلات.

قال الشافعي (ت: ٢٠٤هـ): (العاقل من عَقَلَهُ عَقْلُهُ عن كل مذموم)^(٣).

وانظر إلى الرايات والشعارات التي رفعت في الثلاثين سنة الأخيرة وكيف سار خلفها فئام كثيرة ثم تبين ضلال تلك الرايات وانحراف أصحابها.

(١) الكامل (١٦٤/٥).

(٢) الكامل (١٦٥/٥).

(٣) مناقب الشافعي، البيهقي (١٨٧/٢).

ففي سنة (١٤٠٠هـ) خرج (جهيمان) ومن معه وادعوا أن معهم المهدي فتبعهم الدهماء وضعيفو النظر والإدراك فأصابوا المنكر ووقعوا في الضلال واستحلوا ما حرم الله.

بل من عجيب ما قرأت أن الكاتب (عبدالله بن بجاد) كان يعتقد أن المهدي ما زال حياً وأنه يعيش في اليمن أو رفع إلى السماء، وهذا المفتون انحرف فيما بعد، وأصبح داعية سوء وضلال^(١).

وجاء قوم إلى أحد الدعاة وادعوا أن معهم المهدي فناظرهم فلم يرجعوا ثم قبض عليهم فيما بعد ذلك وسجنوا^(٢).

وشاغب أحد المتسبين للدعوة سنة (١٤١١هـ) وما بعدها، وعمل على تهيج العامة، وإثارة الصغار، وواجه الولاية في زمان كانت السنة فيه ظاهرة والبدعة مقموعة والغلبة لأهل الحق، ثم انتكس، فتحول أعداء الأئمة أصدقاء اليوم، ومنكر البارحة معروفاً في صبيحتها.

وفي سنة (١٤١٦هـ) خرج (سعد الفقيه) وادعى أنه داعية إصلاح^(٣) وأقام بين ظهري الكفار وتعاون مع الأعداء وألب الناس فتبعه من لا بصيرة

(١) مقال بعنوان: إرهاب أكاديمي.

(٢) مقال بعنوان: إرهاب أكاديمي.

(٣) قال شيخ الإسلام: (ومما ينبغي أن يعلم أن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الناس على غاية ما يمكن من الصلاح، لا لرفع الفساد بالكلية، فإن هذا ممنوع في الطبيعة الإنسانية، إذ لا بد فيها من فساد. ولهذا قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]. ولهذا لم تكن أمة من الأمم إلا وفيها شر وفساد. منهاج السنة (١٤٩/٦).

عنده فلم يحن شيئاً.

وفي السنين المتأخرة ظهر التغريبيون وقويت شوكتهم وكانت لهم قنوات وصحف ومجلات فأغروا من يحب الظهور ويعشق البروز فلحق بهم من أدركته الغواية فكان أداة من أدواتهم يكتب ما يريدون: سباً للدين، وتعرضاً لأحكامه، وتنقيصاً من حملته.

وألّف شخص مشبوه يقيم في الأردن يدعى (أبو محمد المقدسي) كتباً في التكفير وجهها لأبناء هذه البلاد، فتلقفها الأغرار، وقرؤوها وانخدعوا بها وبعضهم سافر للقاءه والأخذ عنه، وتورط مجموعة منهم في تفجير مبنى سكني بالرياض سنة (١٤١٦هـ) فقبض عليهم وقتلوا.

وتكتل مجموعة المتكسين وسموا أنفسهم بالتنويريين وهم في الحقيقة ظلاميون؛ لأن من يعرض عن الوحي فهو في ظلام ﴿وَمَنْ لَّيَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] وهؤلاء يدورون حول قضايا معينة: دعوة والتزاماً، هي: التحامل على العلماء بوصفهم تقليديين جامدين، البراءة من التيار السلفي، الحديث عن قضايا المرأة بضعف وانهازية، ملاينة أهل البدع، الانفتاح على المنافقين، رفع شعارات: (الحرية، احترام الرأي الآخر، الحوار...).

وهؤلاء الظلاميون امتداد لمدارس عصرية في جوانب عديدة تجدها واضحة في كتاباتهم ومقالاتهم ومقابلاتهم.

وفي ظني أن هؤلاء خطر على الدعوة والناشئة لأنهم يهدمون الدين من الداخل ويقوضون أركانه.

وفي سنة (١٤٣٢هـ) ظهر دعاة الاحتساب المدني، والمقصود به دعوة

الأمة إلى الاحتساب على حكامها، لأنهم لم يقنعوا بإصلاح يقوده علماء مستسلمون، أو دعاة مخمليون، أو متفائلون بإصلاحات أخلاقية واجتماعية، لا يرون في نصائحهم سوى الكلمة الباهتة التي لا لون فيها ولا رائحة، لذا فهم يتطلعون لرؤية الشباب وهو يقفون أمام حكام الجور والاستبداد والفساد والظلم، وإقامة العدل والحقوق والنهضة بكل الوسائل السلمية، يتطلعون ليروا شهيداً يرتلون أمام جثمانه آيات البطولة.. وينثرون فوق رحي روحه الطاهرة قصائد الشرفاء تدوي في كل أرجاء الوطن وتسمع الشكالي والمقهورين أناشيد النصر والتمكين^(١).

والذي يتأمل تلك الحركات التي قامت في القديم والحديث يجد أن الدافع في كثير منها هو تحصيل شيء من الدنيا كمالٍ أو جاهٍ أو زعامةٍ أو سلطةٍ وإنما جعلت المذهب أو العقيدة ستاراً لها.

فقد قام الداعي الخبيث (الحسين بن أحمد بن محمد الصنعاني) (ت: ٢٩٨هـ) بالدعوة العبيدية، واستجاب له خلق من البربر، وحارب أمير المغرب (ابن الأغلب)، وهزمه غير مرة، ولما جاء عبيد الله المهدي وتسلم الملك، لم يجعل لهذا الداعي ولا لأخيه كبير ولاية، فغضب، وأفسدا عليه القلوب وحاربا، وجرت أمور، إلى أن ظفر بهما المهدي فقتلها^(٢).

ولما قدم (صلاح الدين الأيوبي) إلى (مصر) مدحه الشيخ (عمارة اليميني) (ت: ٥٦٩هـ) بقصائد، لكنه لم يجد ما أمّله في (صلاح الدين) من المكانة، فسعى

(١) الاحتساب المدني، محمد العبدالكريم، ص (٣٤).

(٢) السير (١٤/٥٨).

للخروج عليه مع طائفة من المبتدعة وإعادة دولة العبيدين المعروفة، فكشفهم صلاح الدين وقتلهم وصلبهم^(١).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) أن أذكى الفرق الباطنية يعلمون كذب رؤوس الدولة العبيدية وجهلهم، ولكن بسبب خدمتهم يحصل لهم من الرياسة والمال والشهوات ما لا يحصل بدون ذلك، فهم يعاونونهم كما يعاون أمثالهم من أهل الكذب والظلم لتنال بهم الأغراض^(٢).

فأياك أن تتخذ بما يرفع من رايات، والزم الجماعة، واتبع أهل العلم الراسخين فيه، فإنه لا يتورط مع أصحاب تلك الرايات إلا الهمج والرعاع، قال البرهاري (ت: ٣٢٩هـ): (واعلم أنه لن تجي زندقة قط إلا من الهمج والرعاع وأتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له)^(٣).

ورؤوس الضلال ودعاة الانحراف يرفعون شعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فتارة يسمون أنفسهم بدعاة الحقوق، وتارة أخرى بدعاة الإصلاح، وأخريات بحملة التنوير أو دعاة الوسطية... وهذا شأن المفسدين في الأرض من القديم، وأكثرهم كذبة في ذلك، وإنما غرضهم التقرب إلى العوام والجهال، واستباحتهم لهم، واستجلابهم إلى دعوتهم.

ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروناً بالظن، ونوع من الهوى الخفي، فيحصل

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب (٢/ ٥٣٢).

(٢) منهاج السنة (٣/ ٤٨٢).

(٣) شرح السنة، ص (٤٤).

بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين^(١).

قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨هـ): (ما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه طائفة أنها تفعله طاعة لله)^(٢).

وإذا ظهرت الرايات تعصب الغوغاء لأصحابها وغلوا في تعظيمها حتى يتخذوها صنماً يوالون ويعادون عليها^(٣).

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك الله وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً، إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً، إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين^(٤).

وتحزب طائفة بالتعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل حزبهم بالحق والباطل، من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله ﷺ^(٥).

ولذا فالمسلم لا ينضوي تحت جماعة ولا يسير خلف راية إلا جماعة

(١) منهاج السنة (٤/ ٥٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٧).

(٣) قال الوزير ابن هبيرة (ت: ٥٦٠هـ): (من مكابد الشيطان أن يقيم أوثاناً تعبد من دون الله، مثل أن يبين له الحق، فبقول: ليس هذا مذهبنا، تقليداً للمعظم عنده، قد قدمه على

الحق). الذيل على الطبقات (٢/ ١٥٦).

(٤) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٦١-٢٦٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٩).

المسلمين وإمامهم، ويتباعد عن الانتساب للجماعات والأحزاب التي تجعل نفسها محوراً للولاء والبراء وقاعدةً للانطلاق وقبلّةً للقصد والتوجه فتضيع أصول الإسلام الكبرى في التحزب والتعصب للجماعة أو الأشخاص.

فالولاء للمسلمين جميعاً بقدر إيمانهم، والتعصب للإسلام ورسوله وكتابه، والقصد والتوجه يكون لله والدار الآخرة.

وما نُكِبَت الدعوة ولا انحرفت الناشئة ولا ضعف العمل الإسلامي وقلّت بركته في بعض البلدان إلا بسبب هذا التحزب والتعصب لجمعيات وجماعات وعقّد الولاء على شخصيات.

واني استغرب أن يكون في بلادنا التي ظهرت فيها هذه الدعوة المباركة التي تعتبر أنموذجاً في نقائها العقدي وصفائها الفكري وسلامة منهجها التي أقامت دولة حديثة أخذت بأسباب الرقي المادي مع محافظة على أصولها الشرعية حتى فاقت مثيلاتها من الدول العربية التي ما زالت مرتتهن لمذاهب وأفكار وتوجهات غربية وشرقية عانت من آثارها وتجرعت غصصها.. استغرب من يتبنى الدعوة إلى تجمعات ومناهج لديها انحرافات عقدية وفكرية ظاهرة.. أستغرب من يتبنى دعوة الإخوان المسلمين المصرية أو دعوة التبليغ الهندية ونشرها في هذه البلاد.. ويزداد العجب عندما ترى من ينضوي تحت هذه الدعوات ويستجيب لأهلها..^(١)

(١) ينظر عن حكم الانتماء للجماعات:

- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد.

- وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، جمال بادي.

لقد استغربت كثيراً عندما قال أحدهم في برنامج: (البيان التالي) على قناة (دليل) إنه ينتمي للإخوان المسلمين فكراً!!

واستغربت عندما قال آخر في برنامج: (نقطة تحول) على قناة: (إم بي سي) إنه انتمى للإخوان المسلمين أربع سنوات.

وهل أرضنا مقفرة ورباعنا سبخة حتى نستجدي المناهج ونشخذ المبادئ ونستورد القيم؟ أليس في كتاب الله وسنة رسوله وهدي السلف الصالح غنية وكفاية؟! وهل الاعتزاء إلى مذهب السلف أهل السنة والجماعة أشرف وأحق أم الاعتزاء إلى مناهج وطرق محدثة؟!

وإن الله لن يغفل، والتاريخ لن يرحم من كدّر الصفو، وشوش الفكر، وحرّف المسار، وشتّت الجماعة.

وقد أثبت الواقع أن التعصب للشخصيات، والاعتزاز بالرايات، والانخداع بالشعارات في غير محله، إذ سقطت الرايات وتحولت الشخصيات وتغيرت الشعارات وأصبح الأتباع وقوداً للفتنة، وتكشفت الأمور عن دعوة قادها شخصيات تبعهم فيها أغرار ثم تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا.

ولم تحجل تلك الشخصيات من عورتها، ولم تستح من سوءتها، ولم تحاسب نفسها عن تبعة الأتباع الذين ألفت بهم في غياهب السجون وأتون الفتنة، فهي لا ترى في الأتباع إلا قطعاً تجره إلى هواها وأهوائها، فخرجت بمنهج جديد تهدم الدين وتقوض أركان الشريعة وتريد من المغفلين أن يطربوا لكلامها!!

وكان الأولى بهؤلاء أن ينكفئوا في أحلاس البيوت يعدون ذنوبهم،

ويستغفرون ربهم، ولكن.. مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى [إذا لم تستح فاصنع ما شئت].

ألا يكفي ما جنته الدعوة؟

ألا يكفي ما حصل من الشتات والفرقة؟

ألا يكفي ما وقع على الأتباع من السجن والتنكيل؟

أليس للبشر قيمة عند هؤلاء؟ كيف يهنؤون بنسائهم وأولادهم والأتباع محرومون منهم؟ وكيف ينعمون بقصورهم والأتباع في غياهب السجون؟

إن الأغيار على الدين لن يتركوهم يعبثون كما عبثوا، فإنهم في المرة الأولى أخذوهم على غرة، والمؤمن لن يلدغ من جحر مرتين.

بل عامة الناس أدركوا حقيقتهم لأنهم لا يثقون في المتلون ولا يركنون إلى المتقلب وإن ادعوا أنهم متصالحون مع أنفسهم.

لقد تكشفت الأوراق، وسقطت الأقنعة، وبان الزيف، وإنهم لو ابتغوا نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فلن يصلوا إلى مبتغاهم. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

سابعاً

ظهور المصطلحات والألفاظ المجملة

من أسباب الانحراف في الأمة ظهور المصطلحات المجملة والألفاظ الغامضة التي تحمل معنى حقاً وباطلاً فيلتبس الحق والباطل فيضل الناس.

ففي القديم ظهر مصطلح الجواهر والأعراض والأبعاض^(١)... فكانت سبباً في ضلال أقوام وانحرافهم في باب أسماء الله وصفاته.

قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): (وأما الخوض في الأعراض والأجسام كما خاض فيه المتكلمون، كقولهم: ليس بجسم ولا عرض ونحو ذلك، فأول من ابتدعه في الإسلام الجهمية وأتباعهم من المعتزلة)^(٢).

وفي زماننا ظهرت مصطلحات وألفاظ تحمل حقاً وباطلاً واستغلها أهل الباطل لترويج باطلهم ونشر انحرافهم.

فظهر مصطلح (التعددية الفكرية): دعوة إليها، واحتراماً لها، واعتبارها أنموذجاً يجب أن يطبق في المجتمع.

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية (٢/٥٢٧).

(٢) بيان تلييس الجهمية (٢/٥٥٨-٥٥٩).

ويقصدون بالتعددية: تعدد الأديان والمذاهب والطوائف والاتجاهات... فيجب احترامها وعدم التعرض لها ولا لأهلها ويدخل في ذلك الانحرافات الفكرية التي تكون من آحاد الناس إذ هي - بزعمهم - نوع من التعددية الفكرية. وجعلوا مقابل التعددية مصطلح (الآحادية): تنديداً به، وتشنيعاً على أهله. ويعنون به اجتماع الناس على قول أو منهج واحد في العقائد أو السلوك. ومقصودهم من هذا المصطلح: التمكن من نشر فكرهم، وعدم الاحتساب عليهم.

وهذا المصطلح بصورته التي يدعون إليها ويطالبون بها يتضمن تقويضاً لأصول الدين، فلا ولاء ولا براء، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، ولا دعوة إلى الله تعالى، مع إبطال حد الردة والتعزير للمنحرفين، والرضا بالانحراف ومنحه حق الدعوة وحماية أهله وكبت أهل الحق وعزلهم والتضييق عليهم. وشواهد هذه الآثار واضحة لمن تأمل.

وانجرف في الدعوة لهذا المصطلح بعض المنتسبين للدعوة جهلاً أو عمداً، فالجاهل لا يدرك حقيقته ومضمونه وآثاره، والعامد يرى فيه نافذة لنشر فكره الجديد الذي يبشر به.

واجتمعت الرافضة والصوفية والتغريبيون على هذا المصطلح، فكتبوا فيه مؤلفات ومقالات^(١).

(١) ينظر مثلاً:

- التعددية والحرية في الإسلام، حسن الصفار.
- الفكر الإسلامي: قراءات ومراجعات، زكي الميلاد.

ومن مصطلحات القوم: الوصاية: فلا وصاية على المرأة، ولا على المجتمع، ولا على أفرادهِ. والمراد: رفض الأحكام والتكاليف الشرعية والأعراف المستحسنة والإلزام بها، والتحلل من ضوابط الشرع، والآداب المجتمعية. وتتبع ما كتبه القوم في صحفهم فوجدت ما يزيد على مائة مقال خلال سنة واحدة تحمل هذا المضمون.

والسيء أن تسلل هذا المصطلح بمفهومه المنحرف إلى كتابات بعض المنتسبين إلى الدعوة، تضليلاً للناس وتلبساً عليهم.

ولن أكرر ذوقك اللغوي وغيرتك الشرعية بمقالات هؤلاء وكتاباتهم، لكنني سأكتفي بمقال بعنوان: (فهل أنتم مسلمون؟) كتبه أحدهم، جاء فيه: (وهذا هو السر في بدء الإسلام واهتمامه بقضية الإيمان، وتأصيلها، وتعميق جذورها في نفس المسلم، ذلكم أن الإيمان بالشيء، والقناعة به، وحبّه، هو أكبر حام له، وليست سياط الإرهاب الفكري، ولا يثبته قيود التحريم، ولا التشديد في الفتوى!

والإنسان بطبيعته يرفض الوصاية والاضطهاد الفكري، وتزيده التحديات شكيمة وقوة، وتنفخ فيه ليرقى إلى التطلع لكسر قيده ونيل حقوقه.

ولا عجب بعد هذا إذا ظهر فينا من يدعو إلى تيارات أجنبية عنا، وغريبة عن ثقافتنا العربية والإسلامية، ومحاولة أسلمتها، لأن أربابها وجدوا فيها متنفساً

- العنف والتنمية السياسية في المملكة، حمزة الحسن وفؤاد إبراهيم.
- رهانات خطاب الاعتدال والواقع المعاصر في المملكة، علي آل طالب.

لأنفسهم بعد أن أحكمنا الخناق عليهم ، وضيقنا عليهم أرضهم وسماهم.

فمن المهم أن تكون معالجة قضايانا الاجتماعية والدينية وغيرها مبنية على الاقتناع التام ، والحوار والقبول ، لا على ليّ الأذرع وإرهاب الفكر^(١).

فترى في هذا الكلام خلطاً واضحاً وقسراً للكلام ليوافق أغراض الشهبانيين والتغريبيين.

وباب: رفض الوصاية من أوسع أبواب المبتدعة والشهبانيين والمنحرفين لنشر باطلهم في مأمن عن بيان علماء الشريعة واحتسابهم.

وفي هذا المصطلح: ترويحاً والتزاماً تقويض لبناء الشريعة، وتحلل من تكاليفها، وإبطال لفريضة الأمر والنهي والاحتساب.

وهل الوحي إلا وصية؟ ﴿وَأَوْصِنِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].
وهل التقوى ومتعلقاتها إلا وصية؟ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وهل شرائع الرسل إلا وصية؟ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

ومن المصطلحات: مصطلح (النهضة)، ويعنون به سبل الرقي بالأمة والنهوض بها.

والنهوض عند هؤلاء بتعبيرات لهم مختلفة يكون: بتنحية الإسلام،

(١) صحيفة الرياض، عادل الكلباني، العدد (١٥٧٠٤)، التاريخ ١٤٣٢/٧/٢١ - ١٤٣٢/٧/٢٤ (٢٠١١م).

والأخذ عن الغرب، وإحياء الفلسفات الوثنية، وتغييب الثقافة الإسلامية، وتطبيق الليبرالية^(١)...

ورقي الأمة والنهوض بها في الإسلام يكون بالتزامها به عقيدةً وشريعةً ومنهج حياة.

وقد سبق هؤلاء في الدعوة إلى النهضة والرقي بالأمة: كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلماء الإسلام عبر تاريخ الأمة.

ومن المصطلحات: (الإصلاح الديني)، ويعنون به قسر الشريعة وتغيير أحكامها لتوافق الواقع وأهواء الناس ورغباتهم. ويكون الإصلاح عندهم: بتغيير الأحكام المتعلقة بالمرأة والكفار والمبتدعة في اتجاهاتها المختلفة. تجد هذه المفاهيم المغلوطة وغيرها في كتاب: (الحداثة والنص والإصلاح الديني)^(٢). و(إصلاح الفكر الديني أولاً)^(٣)، و(تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام)^(٤).

والإصلاح مصطلح شرعي جاء في القرآن والسنة لإصلاح العقائد، وتقويم الأخلاق، وتطهير العوائد حتى تستقيم الأمور وتنضبط الأحوال.

(١) ينظر:

- حصون التخلف... موانع النهوض في حوارات ومكاشفات، إبراهيم البليهي، ص(٣٣، ٤٨، ٥٠، ٦٦، ١٠٦).

- الإسلاميون رجال الهوية والنهضة، نواف القديمي، ص(١٥١-١٥٥، ٢٧٦، ١٧٩).

(٢) الحداثة والنص والإصلاح الديني، عبد العزيز القاسم، ص(٤٣، ٥٠، ١٧٢).

(٣) إصلاح الفكر الديني أولاً، يعقوب محمد إسحاق، ص(٢٠٩-٢٢٣، ٤٩٧).

(٤) تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام، يعقوب محمد إسحاق ص(١٥٠-١٥٢، ٢٣٠، ٢٣٣).

فالإصلاح في الإسلام يكون بالدين، والإصلاح عند القوم يكون للدين.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

ومن المصطلحات: (الحرية)، ينادون بها ويدعون إليها، وهي تتمثل عندهم: في حرية الفكر والتعبير.. وطريقها: الديمقراطية والانتخابات ورفع سلطة الشريعة وحرية الصحافة والتعبير... في تنظيرات وتحليلات تطول. تراها في مثل هذين الكتابين: ضد الحرية أنسنة الخطاب الديني والسياسي لسعود البلوي^(١)، وأشواق الحرية لنواف القديمي^(٢).

وهم في هذا يتكئون على المفاهيم الغربية والمذاهب التي استقت منها، فالليبرالية والشيوعية والرأسمالية وغيرها من المذاهب رفعت شعار الحرية.

وهذا المصطلح غريب على الإسلام، فالإسلام لما جاء بتكريم الإنسان ورعاية الحقوق والمحافظة على الحرمات متمثلاً في حفظ الضرورات الخمس، وتعظيم الدماء والأعراض والأموال، جاء أيضاً بالتكاليف الشرعية والأوامر والنواهي، وألزم بها، وقرر الحدود والتعازير لمن وقع في موجباتها، وأوجب الاحتساب على المخالفين، وهو ما يتعارض مع الحرية بمفهومهم وطرحهم.

ويلزم من المناداة بالحرية المطلقة تعطيل الحدود وخاصة حد الردة، وترك الاحتساب، والتهوين من الفرائض الشرعية.

وشاهد هذا أن (نواف القديمي) كتب مقالاً بعنوان: (هامش الحرية

(١) ص (٤١-٤٥، ٨٤، ٩٥، ١٩٣).

(٢) ص (٢٠، ٣٨، ٤٠، ٧٠).

وهوامش أخرى)^(١) أثار فيه شبهات وتساؤلات تنتهي إلى إسقاط حد الردة.

وأنكرت (حصة آل الشيخ) حد الزاني المحصن وسخرت من حد القذف

في مقال لها بعنوان: (مناهجنا الدينية بين قضايا الأخلاق وأوهام الفضيلة)^(٢).

وصرح بوق مأجور من أبواق الضلال وهو (رائف بدوي) - مما يوضح حقيقة ومآل الحرية التي يطالبون بها - بأنه من حق الملحد أن يقول ما يريد، من حقه أن يخرج على الناس ويصدق بصوته ويقول: أنا ملحد، وليس من حق أي أحد أن يحاسبه^(٣).

ومن ينتمي للدعوة الإسلامية من هؤلاء فقد تأثر بفكر رموز المدرسة المصرية المعاصرة (مدرسة العقل)، فقد صرح الدكتور (يوسف القرضاوي) في برنامج (في الصميم) على قناة (بي بي سي) أنه مع حرية المعتقد والأديان، مصرحاً بتقديسه للحرية، وأن الحرية مقدمة على تطبيق الشريعة.

ولما سأله المذيع: هل يعني هذا أن من حق المسلم أن يتنصر؟ سكت الدكتور القرضاوي ولم يجب!!^(٤)

وحديث القرضاوي هذا وعموم اجتهاداته منهج عام يلتزمه أصحاب مدرسة العقل.. ولذا أكد (راشد الغنوشي) في مقابلة معه على قناة دليل في شهر

(١) منشور في الصحف الإلكترونية ومواقع الإنترنت.

(٢) صحيفة الوطن، العدد (٣٤٠٣)، التاريخ (٢٨/٢/١٤٣١هـ - ٢٣/١/٢٠١٠م).

(٣) تجده على شبكة اليوتيوب بعنوان: (رائف بدوي يطالب بحقوق الملحد في السعودية).

(٤) تجده هذا البرنامج على اليوتيوب على شبكة الإنترنت بعنوان: (القرضاوي في الصميم).

ذي الحجة من سنة (١٤٣٢هـ) على أن الحرية هي الدين، وأن الناس هم الذين يطلبون الدين، لا أن الدين يطلب الناس.. كما أكد مرارا بأنه لا يجوز إلزام المجتمع المسلم بشيء من الإسلام وأحكامه.. وانتقد المجتمعات الإسلامية التي يجري فيها إلزام المسلمين بشيء من الأحكام الشرعية.

ومن المصطلحات: (الإرهاب)، إذ صرفوه من مفهومه: الاعتداء على الناس بغير حق^(١)، إلى اتهام: الإسلام، وشرائعه، وأحكامه... والسلفية وعلماء الإسلام ودعائه... بأنهم منبع الإرهاب ودعائه في استغلال لحوادث العنف، دفعهم ما تكنه قلوبهم من حقد وغيط وحنق على المجتمع وتدينه، وللأسف أن غالب مقالات الصحافة في الحديث عن موضوع الإرهاب لم تخرج عن هذا الإطار.

وستجد هذا في كُتُبِ اعتبارت شريعة الجهاد، والثقافة الإسلامية، والتعليم الشرعي، والمنهج السلفي، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأحكام القضائية، والحجاب، وتعدد الزوجات، والدعوة، وخطبة الجمعة، والقنوات الفضائية المنضبطة... إرهاباً!!!^(٢).

(١) الإرهاب: مفهومه، أشكاله، أسبابه، عبد الحليم بلال، ص (٦٩٣).

(٢) ينظر:

- الإرهاب في جزيرة العرب، إسحاق يعقوب، ص (٢٤، ٧٦، ٢٧٨).

- ثقافة التطرف، حمزة المزيني، ص (٣١، ٨٧، ١١٩، ٢٠٧).

- أيام الإرهاب في السعودية، يحيى الأمير، ص (١٥، ٦٨، ١٧٩).

- نحن والإرهاب، محمد المحمود، ص (٧٧، ١٧٠، ٢٠٣، ٣٠٦).

ثامناً ضعف التدين والتعبد

أعظم النعم على العبد: الإقبال على الله، والتعبد له، والانقطاع إليه، والتبتل إليه^(١).

وهذا شأن السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم: تعبد وتأله، وورع وتقوى، وعلم وعمل.

هذا شأنهم: العلم والعبادة، أما اليوم فالكثير لا علم ولا عبادة، بل تخييط ولحن، وتصحيف كثير، وحفظ يسير، وإذا لم يرتكب العظائم، ولم يخل بالفرائض فلله دره^(٢).

فما الظن إذا كان الواعظ ممن عبد بطنه وشهوته، وله قلب عري من الحزن والخوف، فإن انضاف إلى ذلك فسق مكين، أو انحلال من الدين، فقد خاب وخسر، ولا بد أن يفضحه الله تعالى^(٣).

(١) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (٣ / ٨٤٧).

(٢) السير (١٠ / ١٣٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٤١٠).

وهذا ما يمكن أن نسميه بالتدين الكاذب الذي يلجأ إليه صاحبه رغبة في الجاه أو المال أو المنصب وهو من أكثر الناس بعداً عن التدين: التزاماً بالفرائض وبعداً عن المحارم.

وعلاوة التدين الكاذب التحلل من التزام الفرائض والأخذ بالرخص والتساهل في أخذ المال.

ولذا فطالب العلم الموفق من أدرك ثلاث خصال: العلم، والدين، والورع. ويحوز الكمال إذا كان ذا مروءة تامة^(١).

وترى هذه الخصال الثلاث ظاهرة في سير العلماء الربانيين من الصحابة والتابعين.

ومن ضعف التدين والتعبد الذي يتلى به الإنسان: ترك الجماعة وهجر المسجد بل هو من أجلى صور النفاق وضعف الإيمان^(٢).

وهذا واضح في نصوص الوحيين التي جعلت الصلاة إيماناً ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني صلاتكم.

وجعلتها من صفات المؤمنين وخصالهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

(١) قال الشافعي: (لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربعة: بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة). ذم الكلام وأهله، الهروي (٧٠ / ٥).

(٢) ذكر شيخ الإسلام أن من علامات المنافقين التخلف عن الجماعة، واستشهد بقول ابن مسعود وفيه: (ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق). منهاج السنة (١٥٠ / ٧).

ومن خلال المتقين: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣].

والتهاون بها والتكاسل عنها من صفات المنافقين ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال ﷺ: [أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيها لأتوها ولو حبوا]^(١).

ولذا كان السلف الصالحون والأئمة المهديون من أشد الناس محافظة على الجماعة ورعاية لها: تعظيماً للدين وتمسكاً بالسنة وإظهاراً للشعائر وقفواً للأثر ومجانبةً لسبل النفاق.

سمع عامر بن عبدالله بن الزبير (ت: ١٢٠هـ) المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام المغرب، فركع ركعة، ثم مات^(٢).

وقال الإمام يزيد بن ربيعة: (ت: ١٢٣هـ): (ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد إلا أن أكون مريضاً أو مسافراً)^(٣).

وكان الإمام سليمان بن مهران الأعمش (ت: ١٤٧هـ) قريباً من سبعين سنة لم تفته تكبيرة الإحرام^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٢٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٤٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٢٨).

وقال العلامة أبو عبدالله محمد بن سماعه (ت: ٢٣٣هـ): (مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوم ماتت أُمِّي) (١).

وقال الشيخ الفقيه أبو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي (ت: ٣٧١هـ): (إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف فاطلبوني في المقبرة) (٢).

وهكذا شأن علماء الصلاح في العصور المتأخرة فابن باز وابن غصون وابن جبرين واللحيدان وابن فوزان وغيرهم لا تراهم في الصلاة إلا خلف الإمام.

وترك الجماعة وهجر المسجد وتضييع الفرائض علامة سوء ودليل فساد وباب إلى الخذلان.

إذ جرى الأمر أن من تهاون بالسنن عوقب بالحرمان من الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بالجرأة على الحدود والمحارم.

قال إبراهيم بن يزيد التيمي (ت: ٩٢هـ): (إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه) (٣).

فإذا كان هذا هو الشأن فيمن يتهاون في التكبيرة الأولى؟ فما الشأن إذن فيمن لا يرى في المسجد؟

وكيف يفتي أو يقضي أو يدرس أو يدعو إلى الله من أعرض وتولى ولم يرفع بالصلاة رأساً، ويقم لها وزناً.

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٦٤٧).

(٢) السير (١٦/٣٤٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٦٢).

قال البربهاري (ت: ٣٢٩هـ): (إذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى، وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة فاعلم أنه صاحب هوى) (١).

ولقد تتبعنا تراجم المنحرفين في القديم فوجدتهم ممن عرفوا بالتفريط في الصلاة أو التهاون بالجماعة.

فتغير المحدث الحافظ (أبو بكر محمد بن عمر بن محمد الجعابي) (ت: ٣٥٥هـ) وصحب قوماً من المتكلمين واتهم بترك الصلاة (٢).

وكان (علي بن أبي الحسن الحريري الصوفي) الموصوف بالزندقة (ت: ٦٤٥هـ) مستخفاً بأمر الصلوات (٣).

ومثله العلامة الفيلسوف الأصولي (عز الدين حسن بن محمد الإربلي الضرير) (ت: ٦٦٠هـ) إذ كان مخلاً بالصلوات (٤).

وعُرفَ (البدر المراغي الخلافي المعروف بالطويل) (ت: ٦٦٠هـ) بقلة الدين وترك الصلاة، مع اغتباطه بما فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين (٥).

واعتقد بعض الناس في الشيخ (سليمان التركماني المولّه) (ت: ٧١٤هـ)

(١) شرح السنة، ص (٥٢).

(٢) تاريخ بغداد (٤/٤٨).

(٣) البداية والنهاية (١٧/٤٤١).

(٤) السير (٢٣/٣٥٤).

(٥) الذيل على الروضتين (١/٣١٢).

وزعموا أنه رجل صالح وكان لا يصلي الصلوات ولا يأتيها^(١).

وادعى (إبراهيم الموله القميني) (ت: ٧٢٥هـ) الكشف، ولم يكن من أهل الصلاة، وقد استتابه تقي الدين ابن تيمية وضربه على ترك الصلاة^(٢).

وفي الزمان الحديث: رأينا رؤوس الانحراف لا يشهدون الجماعة ولا يقربون المسجد.

فأحدهم يسكن مكة هجر المسجد والجماعة فأصبح فيها بعد رداء للمنافقين وسنداً للتغريبيين في الدعوة للفساد وإباحة الاختلاط بين الجنسين...

وآخر يسكن في الرياض مثله في الدعوة إلى الفساد والانحراف.. تضايق جيرانه بجفائه للمسجد وهجره للجماعة فانتقل عنهم.

وذكر (خالد الفراج) وهو أحد وجوه الخط الأول من تنظيم العنف والتفجير في اعتراف له بث على التلفزيون بأن عادة أتباع النظام التساهل بالصلاة والنوم عنها!!

وكثير ممن ظهر انحرافهم كانوا يتساهلون في شأن الصلاة ولا يقيمونها في الجماعة، وهؤلاء سيذكرهم التاريخ كما ذكر من قبلهم.

وإياك أن تظن أن ضعف التعبّد ليس له علاقة بالانحراف الفكري والعقدي بل هو جزء منه أو سبيل إليه أو أحد ملامحه.

سئل عمرو بن سلم الزاهد (ت: ٢٦٤هـ) عن البدعة؟ فقال: (التعدي

(١) البداية والنهاية (١٨ / ١٤٠).

(٢) البداية والنهاية (١٨ / ٢٨٥).

في الأحكام، والتهاون بالسنن، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاقتداء والاتباع^(١).

واستطرادا لهذا: فقد رأيت بنفسني حال المبتدعة مع الصلاة لما كنت في مصر إذ كان يدرس معي جملة من طلاب العلم من بلاد الشام من المتصوفة فكان بعضهم يشهد الجمعة أما الجماعة فلا يشهدونها مطلقا، وغالبهم يؤخر الصلاة عن وقتها، بل من عجيب ما رأيت من حالهم أنهم دخلوا مجلس ذكر قبيل المغرب ولم يخرجوا منه إلا بعد منتصف الليل ولم يقم واحد منهم للصلاة!!

(١) ذم الكلام وأهله (٤ / ٣٨١).

تاسعاً

فساد النية وسوء القصد

إن سوء النية وفساد القصد تحرم العبد الخير وتكون سبباً لخدلانه وسبيلاً لانحرافه.

وأوجب ما تجرد فيه النية ويصلح فيه القصد: طلب العلم الشرعي: علم الكتاب والسنة.

(فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرّهم العلم إلى الاخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعد ذلك، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، فهذا أيضاً حسن. ثم نشره بنية صالحة.

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليثنى عليهم، فلهم ما نوا. قال عليه السلام: «من غزا ينوي عقلاً فله ما نوى». وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى.

وقوم نالوا العلم، وولوا به المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الفواحش والكبائر، فتبأ لهم، فما هؤلاء بعلماء.

وبعضهم لم يتق الله في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار.

وبعضهم اجتراً على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار.

وهؤلاء الأقسام كلهم روى من العلم شيئاً كبيراً، وتضلّعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انضموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله، لأنهم ما رأوا شيخاً يقتدى به في العلم، فصاروا همجاً راعاً..^(١).

وإذا وجد المتسبون للعلم ممن يلتمس الدنيا بعمل الآخرة فسدت أديان الناس وحُرّف الكلم عن مواضعه وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

قال ابن مسعود: (كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وتتخذ سنة، فإن غيّرت يوماً قيل هذا منكر، وقالوا: ومتى ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ذاك إذا قلت أمتاؤكم، وكثرت أمتاؤكم، وقُلّ فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم، وتفقه لغير الدين والتمست الدنيا بعمل الآخرة)^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء (٧/١٥٢).

(٢) الإبانة (٢/٥٩٤).

وقد ذكر الله سبحانه ما في المنتسبين إلى أتباع الرسل، من العلماء والعباد والملوك من النفاق والضلال في مثل قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصْذُوبُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَرِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفُضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] (١).

والذي يتخذ العلم الذي هو آلة الدين آلة الدنيا، يستجلبها به، ويتوسل بالعلم إليها، ويجعل البضاعة التي هي متجر الآخرة متجر الدنيا، فهذا ليس بأمين على حملة، ولا يجعله الله إماماً فيه قط، فإن الأمين هو الذي لا غرض له ولا إرادة لنفسه إلا اتباع الحق وموافقته، فلا يدعو إلى قيام رياسته ولا دنياه. وهذا الذي اتخذ بضاعة الآخرة ومتجرها متجراً للدنيا قد خان الله وخان عباده وخان دينه.. (٢).

وهؤلاء القراء قوم سوء تعظم فتنتهم في آخر الزمان فيكونوا دعاة للشر أبواقاً للباطل، قال صلى الله عليه وسلم: «إن مما أتخوف عليكم: رجلاً قرأ القرآن، حتى إذا رأيت بهجته وكان ردة الإسلام؛ اغتره الشيطان إلى ما شاء الله، فانسلك منه ونبذه وراء ظهره...» (٣).

وفي آخر الزمان يكثر هؤلاء القراء لا كثرتهم الله فتقترن بهم الفتنة، قال صلى الله عليه وسلم: «سيأتي على أمتي زمان يكثر القراء، ويقل الفقهاء، ويقبض

العلم، ويكثر الهرج...». الحديث (١).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه، وإن بعدكم زمانا كثير خطباؤه، والعلماء فيه قليل) (٢).

وهؤلاء معرضون لفتنة تصيبهم في أديانهم فيكونون عبرة تذكرونها الأيام ولا ينساها التاريخ. فاللهم رحماك.

قال صلى الله عليه وسلم: «يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، ويلبسون للناس مسوك الضأن من اللين، ألستهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله عز وجل: أبي يغترون؟ وعلي يجترئون؟ فبي حلفت، لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم فيها حيران» (٣).

وقد أخبر الله عن قوم أنهم أوتوا علماً ولم ينفعهم علمهم، فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم يتنفع به. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا...﴾ [الجمعة: ٥]. وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ النَّبَاَ الَّذِي أَنبَأْنَاهُ فَنَسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]. وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى...﴾ [الأعراف: ١٦٩] (٤).

وهؤلاء ليسوا من دعاة الدين، ولا من أئمة العلم، ولا من طلبته الصادقين في طلبه، ومن تعلق منهم بشيء منه فهو من المتسلقين عليه، المتشبهين

(١) أخرجه الحاكم (٤/٤٥٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم، برقم (١٠٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٤٤).

(٤) فضل علم السلف على الخلف، ابن رجب، ص (٤).

(١) مجموع الفتاوى (٩/٤١).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٣٩٢).

(٣) قال الهيثمي: (رواه البزار وإسناده حسن). المجمع (١/١٨٧). وقال ابن كثير: (هذا

إسناد جيد). تفسير القرآن (٢/٢٧٦).

بحملته وأهله، المدعين لوصاله، المبتوتين من حباله^(١).

والنفاق يكثر في هذه الطائفة، قال صلى الله عليه وسلم: «أكثر منافقي أمتي قراؤها»^(٢).

وهذا الصنف من الخلق تكون منهم الفتنة عن الدين، والصد عن سبيل المؤمنين، قال ابن المبارك (ت: ١٨٩هـ): (كان يقال: تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتها فتنة لكل مفتون)^(٣).

وقال أيوب السختياني (ت: ١٣١هـ): (لا خبيث أخبث من قارئ فاجر)^(٤).

وخذل هؤلاء في القديم والحديث فصرفوا جهدهم ووقتهم في نشر الانحراف والضلال.

فلقن (أحمد بن يحيى الرواندي) (ت: ٢٤٣هـ) المنسوب إلى الزيف والإلحاد، اليهود الاحتجاج على عدم جواز النسخ بزعمهم بنقل مفترى بأن قال لهم: قولوا أن موسى عليه السلام أمرنا أن نتمسك بالسبت، ما دامت السموات والأرض، ولا يجوز أن يأمر الأنبياء، إلا بما هو حق^(٥).

وصنف (محمد بن طاهر بن علي أبو الفضل المقدسي) (ت: ٥٠٧هـ) كتاباً

(١) مفتاح دار السعادة (١/٤٠١).

(٢) أخرجه أحمد (٦٦٣٤).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/٦٦٦).

(٤) السير (٦/١٧).

(٥) مرآة الجنان (٢/١٠٧).

في إباحة السماع، وصنف في جواز النظر إلى المرد؛ ولذا جرحه الأئمة ولم يحتجوا به^(١).

وكتب مظفر بن أردشير الواعظ (ت: بعد ٥٥٣هـ) رسالة في إباحة الخمر.

قال ابن حجر: (لم أكن أظن أن أحداً من المسلمين يستجيز جمع ذلك)^(٢).

أقول: تشابهت أحوال المنحرفين، فلا يزال المنحرفون يكتبون في الدعوة إلى الانحراف.

فكتب أحدهم أربعة عشر مقالاً في صحيفة سيّارة في الدعوة إلى الاختلاط بين الجنسين والتشكيك في تحريمه^(٣).

وآخر كتب كتاباً بعنوان: (جواز صلاة الرجل في بيته) يشرع فيه ترك الجماعة بحجج لا تقوى على معارضة أدلة الوحيين الصريحة.

وخرج (ثالث) على قناة الرسالة في برنامج (مذكرات سائح) في شهر رمضان سنة ١٤٣٢هـ يقول فيه بأن الألحان والأنغام من معاني التدين، ودعا في برنامجه المسلمين إلى الاهتمام بالتصوير والرسم وتعليمها لصغارهم. وخرج في قناة (إم بي سي) في برنامج (الجمال في الإسلام) ليقرر جواز الغناء والمعازف، وجواز غناء المرأة.

وندد (رابع) بموقف أهل العلم والغيرة من القضايا المتعلقة بالمرأة فكتب

(١) البداية والنهاية (١٦/٢٢٢-٢٢٣).

(٢) لسان الميزان، لابن حجر (٦/٥٣).

(٣) ينظر: مقال بعنوان: (انتفاض الاعتراض في مناقشة أدلة تحريم الاختلاط)، صحيفة

الرياض، العدد (١٥٥٢٧)، التاريخ (١/٢٢/١٤٣٢هـ-٢٨/١١/٢٠١٠هـ).

مقالاً في صحيفة الرياض بعنوان: (معاركنا الجانبية بين أكل لحم الجني ورياضة المرأة)^(١) ومقالاً آخر بعنوان: (فوبيا المرأة)^(٢).

واقراً مقالة معاذ بن جبل رضي الله عنه ستجد فيها توصيفاً دقيقاً لزماننا والمشاعين فيه حيث قال: (إن الله حكم قسط تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة، والحر والعبد، والصغير والكبير، فيوشك أن الرجل يقرأ القرآن، فيقول: قد قرأت القرآن فما بال الناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، ثم يقول: ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره. فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة..)^(٣).

صور فساد النية وانحراف القصد وعلاماته:

من صور فساد النية وفساد القصد طلب العلم الشرعي لأجل الشهادة والمنصب وتبوء الشرف والمكانة.

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من تعلم يتغني الدنيا والمباهاة، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتحازوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»^(٤). وقال أيضاً: «من تعلم علماً مما يتغنى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»^(٥).

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٥٧٢٥)، التاريخ (١٣/٨/١٤٣٢هـ - ١٢/١/٢٠١١م).

(٢) صحيفة الرياض، العدد (١٥٥٤٧)، التاريخ (١٣/٢/١٤٣٢هـ - ١٧/١/٢٠١١م).

(٣) أبوداود (٤٦١١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان (٧٧)، والحاكم (٨٦/١).

(٥) أخرجه أحمد (٨٤٥٧)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢).

ولما فسدت النيات ودخلت المقاصد وجدت السرقات والخيانات العلمية في الرسائل الجامعية، وأصبح بعض طلاب الدنيا يعمل الآخرة يسطون على جهود غيرهم وينسبونها لأنفسهم، بل بدت الصفاقة وتوارى الحياء عند بعضهم لما أصبحوا يأخذون الصفحات بهوامشها وينسبونها لأنفسهم. وآخرون يضربون في الأرض يبحثون عمن يكتب لهم^(١).

ومن علامات آخر الزمان أن يرفع العلم ويظهر الجهل بسبب فساد النيات، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل...»^(٢).

أما قلة العلم وظهور الجهل: فبسبب التفقه للدنيا^(٣). فيحرم المتفقه الفقه في الدين، وبركة العلم، وعائدة ميراث النبوة.

ومن علامات فساد النية والقصد غياب السمات والهدي الصالح وأخلاق النبوة عن هؤلاء.

فقد كان الناس يتعلمون الهدي الصالح والسمات الحسن من العالم في الرعيل الأول رضي الله عنهم. فيحضر عند الإمام أحمد خمسة آلاف، خمسمائة يكتبون، والباقي يستمدون من سمته وخلقه وأدبه^(٤).

فطالب العلم يكون متواضعاً متطامناً، مخبتاً وجلاً، يبذل علمه وينشر

(١) وقفت على رسائل علمية تفتقد للإمانة العلمية!!

(٢) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٣) الاعتصام (٢/٤٣٤).

(٤) السير (١١/٣١٦).

دعوته، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، صاحب عبادة وتآله، ينفع الناس ويجب الخير لهم، سليم الصدر مخموم القلب، ورعاً متعافاً. هكذا كان العلماء السابقون وهكذا يجب أن يكون التابعون لهم. بل هكذا يجب أن يكون حملة ميراث النبوة. ومن كان عرياً من ذلك فعلمه حجة عليه ووبالاً في الدنيا والآخرة.

ومن أحسن ما قرأته كشفاً لحال هؤلاء القوم ما قاله الذهبي: (ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والخيلاء، تحامق، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العجب، ومقتته الأنفس)^(١).

عاشراً تقحّم المسائل بغير علم

إن تقحّم مسائل الشريعة والحديث فيها بغير علم يؤدي بصاحبه إلى الهلكة في الدنيا والآخرة، وهو من صور الكذب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (من تكلم في الدين بلا علم كان كاذباً، وإن كان لا يتعمد الكذب)^(١).

وانظر رعاك الله إلى الذين يتصدرون للحديث في كل مسألة من غير هدى ولا أثارة من علم كيف جنوا على أنفسهم أعظم جناية، ولو حجزوا أنفسهم بحاجز الورع وقيدوها بعقال العقل لسلموا، إذ جرى الأمر أن العبد يُخذل على جرأته على أمر الله ويوكل إلى نفسه فتراه يسترسل إن لم يوفق إلى توبة فيتقحم مسائل الاعتقاد بعد مسائل العمل، والمسائل الكبار بعد المسائل الصغار وهكذا.. وإذا رأيت منهج السلف الصالح رأيت مبانياً لحال هؤلاء المفتونين أعظم مبانة إذ كان أولئك يتحرون السلامة وينشدون النجاة ويقفون عند حدود ما علموا، ولم يكن أحدهم يجد غضاضة في قول: لا أعلم، ولا أدري.

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٤٤٩).

(١) السير (٤/٤٠١).

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ): (ومن صفات علماء الآخرة أن لا يتسرعوا إلى الفتوى وأن لا يفتوا إلا بما يتقنون صحته من غير تردد، وقد كان السلف يتدافعون الفتاوى حتى يرجع إلى الأول).

ثم آل الأمر إلى أقوام يدعون العلم يسارعون الجواب في مسائل لو عرضت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر واستشارهم^(١).

وتصدّر الفتيا والمسارة إليها من صور طلب الشرف في الدنيا ولهذا كره السلف الصالح الجرأة على الفتيا والحرص عليها، والمسارة إليها، والإكثار منها^(٢).

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى (ت: ٨٢هـ): (أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة ما منهم من رجل إلا ود أن أخاه كفاه)^(٣).

ودخل رجل على ربيعة بن عبد الرحمن (ت: ١٣٦هـ) - شيخ الإمام مالك - فقال: ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، فقال له: أدخلت عليك مصيبة؟ فقال: (لا، ولكن استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم)^(٤).

فإذا كان ربيعة يبكي على ما حلّ بالمسلمين في زمانه من ظهور المتعلمين،

(١) منهاج القاصدين (١/ ٧٢).

(٢) شرح حديث (ما ذئبان جاععان)، ص (٥٥).

(٣) أخرجه ابن خيثمة في كتاب العلم، برقم (٢١) وابن سعد في الطبقات (٦/ ١١٠). وابن المبارك في الزهد، ص (١٩).

(٤) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (٢/ ٣٢٤).

فماذا نفعل في زماننا هذا؟

وقد كان السلف رحمهم الله على رسوخ قدمهم في العلم لا يجدون غضاظة في قول: لا أدري.

قال ابن مسعود (ت: ٣٢هـ): (إذا سئل أحدكم عما لا يدري، فليقل: لا أعلم، فإنه ثلث العلم)^(١).

وقال أيضاً: (إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون)^(٢).

وسئل سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ): عن شيء، فقال: لا أعلم، ثم قال: (ويل للذي يقول لما لا يعلم: إني أعلم)^(٣).

وقال الشعبي (ت: ١٠٤هـ): (لا أدري نصف العلم)^(٤).

وقال القاسم بن محمد بن أبي بكر (ت: ١٠٨هـ) الحافظ الحجة عالم المدينة في وقته: (لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم)^(٥).

وجاءه أمير من أمراء المدينة، فسأله عن شيء، فقال: (إن من إكرام المرء نفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه)^(٦).

(١) ذم الكلام وأهله، الهروي (٣/ ٢٩).

(٢) ذم الكلام وأهله (٣/ ٣٤).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٣٦).

(٤) ذم الكلام، الهروي (٣/ ٢٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٧).

(٦) المصدر السابق (٥/ ٥٧).

سئل عطاء بن أبي رباح شيخ الإسلام ومفتي الحرم (ت: ١١٤هـ) عن شيء، فقال: لا أدري^(١).

وكان سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ): (إذا سئل عن المسائل؛ قال: لا أدري، حتى يظن من رآه أنه لا يحسن من العلم شيئاً)^(٢).

وعن خالد بن خدّاش قال: قدمت على مالك (ت: ١٧٩هـ) بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس مسائل^(٣).

وقال سحنون (ت: ٢٤٠هـ): (أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً)^(٤).

وقال أيضاً: (ما وجدت من باع آخرته بدنياه غيره إلا المفتي)^(٥).

وكلام السلف في هذا المعنى كثير جداً يطول ذكره واستقصاؤه، وسبب مجانبة السلف للفتوى والتصدر لها أن زلة العالم فيها جناية على نفسه وعلى العامة، فكيف إذا كانت زلات من جهلة متعالمين؟

قال صلى الله عليه وسلم: «يهدم الإسلام ثلاث: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون»^(٦).

قد يقول قائل: إن هؤلاء المفتين لهم أسوة في مالك والشافعي وغيرهما من

(١) سير أعلام النبلاء (٨٦/٥).

(٢) ذم الكلام، الهروي (١٤٦/٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧٧/٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/٦٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٢/٦٦).

(٦) أخرجه الدارمي (٢١٤).

العلماء ممن تصدّر للإفتاء وهو صغير!!

فنتقول: وهل هؤلاء بلغوا علم مالك والشافعي؟ قال الإمام مالك: (ما أفيتت حتى شهد لي سبعون أفي أهل لذلك)^(١).

فمن شهد هؤلاء وزكاهم؟ بل على النقيض من ذلك، فقد ذكر الإعلامي (داود الشريان) في مقابلة معه أن أحد المتصدرين للفتيا في زماننا كان ممنوعاً منها في حياة الشيخ ابن باز رحمه الله!!

ومن عجيب ما سمعت أن بعضهم يجد ويجتهد ويبذل وسعه لكي يخرج في برامج الإفتاء!! هل هناك عاقل يبحث عما فيه عطبه وهلاكه!!

وهؤلاء المتسابقون إلى الفتوى والمسارعون إليها يجرمون التوفيق، نسأل الله السلامة.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ):

(قال بعض العلماء: قلّ من حرص على الفتوى، وسابق إليها، وثابر عليها، إلا قلّ توفيقه، واضطرب في أمره. وإن كان كارهاً لذلك غير مختار له ما وجد مندوحة عنه، وقَدِرَ أن يحيل بالأمر فيه إلى غيره: كانت المعونة له من الله أكثر، والصلاح في فتاويه وجوابه أغلب)^(٢).

وشاهد هذا الكلام حال كثير من المفتين الذين صدرت منهم فتاوى إما تخالف النص الصريح - الذي ليس له معارض - أو الاجماع.

(١) حلية الأولياء (٦/٣٤٥).

(٢) بدائع الفوائد (٣/١٢٨٦).

وأنقل لك نتفاً مما وقع فيه بعض هؤلاء مما فيه مخالفة للنص الصريح الذي ليس له معارض أو الإجماع.

الإفتاء بما يخالف النص الصريح:

فمن مخالفة النص الصريح إجازة أحدهم على قناة (إم بي سي) في شهر رمضان سنة (١٤٣٢ هـ) لرسم ذوات الأرواح باليد لأنه قول بعض المالكية!! وقول أحدهم في برنامج (قصة فتوى) على قناة دليل بأنه لا يحرم من النحت إلا ما كان ليعبد من دون الله^(١).

وقول أحدهم في خطبة له في مسجد قباء بأن الراجح أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الفترة يمتحنون في الآخرة.

ومن مخالفة النص الصريح إجازة أحدهم في صحيفة الجزيرة بداءة الكفار بالسلام لأن الله تعالى يقول: ﴿وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِن هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨-٨٩].

كان عبد العزيز بن عبد الله الداركي الشافعي إذا جاءته مسألة تفكر طويلاً ثم أفتى فيها، فربما كانت فتواه خلاف مذهب الشافعي وأبي حنيفة، فيقال له في ذلك، فيقول: ويحكم، حدث فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا، والأخذ بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة إذا خالفاه^(٢).

(١) ومن العجيب: أن حلقة (التصوير الفوتوغرافي) التي اجتمع فيها خمسة رجال هي تلخيص حرفي لكتاب: (الفن المعاصر.. صورته وآثاره) لعلي العمري!!

(٢) المنتظم (١٤/ ٣١٤).

الإفتاء بما يخالف الإجماع:

من مخالفة الإجماع^(١) قول الدكتور (قيس المبارك): بجواز حضور أعياد الكفار^(٢).

وقول الدكتور (مسفر القحطاني) في صحيفة الوطن: بجواز تهنئة الكفار بأعيادهم، حاكياً الخلاف في المسألة، ناسباً لابن تيمية القول بالجواز^(٣)، في جهل واضح بالمسألة، وخلط بين المناسبات العادية والأعياد الدينية.

وقول الدكتور (محمد النجيمي): بجواز تهنئة الكفار بأعيادهم ناسباً ذلك لابن القيم!!^(٤).

وقول (علي العمري) في كتابه: (بيت الخبرة)^(٥): بجواز الإقامة في بلاد الكفار للسياحة^(٦).

وتبعه آخر في برنامج للفتوى على قناة (دليل) وقال بعدم وجود دليل يمنع من الإقامة بين ظهري الكفار لغير حاجة!!

(١) نقل ابن القيم الإجماع على تحريم تهنئة الكفار بأعيادهم. (٣/ ١٢٤٥).

(٢) صحيفة عكاظ، العدد (٣٤٧٦)، التاريخ (١٧/ ١/ ١٤٣٢ هـ - ٢٣/ ١١/ ٢٠١٠ م).

(٣) صحيفة الوطن، العدد (٢٦٤٨)، التاريخ (٢١/ ١٢/ ١٤٢٨ هـ - ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٧ م).

(٤) النوازل الاجتماعية الناشئة خارج ديار الإسلام، ص ٢٨-٢٩.

(٥) ص (٦٩).

(٦) قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفَّارَ...﴾ [النساء: ٩٧]: (هذه الآية

الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهري المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع). تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٢١).

وقول طائفة: بإجازة الغناء والمعازف^(١).

وقول آخر بإباحة التأمين التجاري^(٢).

وأفتت لجنة شرعية في قناة فضائية بجواز عمل المرأة مقدمة للبرامج فيها^(٣).

وقال الدكتور (قيس المبارك) بجواز تمثيل الصحابة بضوابط^(٤)، خلافاً لما أفتت به المجامع الفقهية من تحريم ذلك^(٥).

وهؤلاء الذين يفتون على خلاف النص -السالم من المعارض- أو الإجماع لا يجوز تقليدهم ولا الأخذ عنهم، قال القرافي: (كل شيء أفتى فيه المجتهد فخرجت فتواه فيه على خلاف الإجماع، أو القواعد، أو النص، أو

(١) قال شيخ الإسلام: (فمن فعل هذه الملاحية على وجه الديانة والتقرب فلا ريب في ضلالتة، وإذا كان على وجه التمتع فمذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو حرام كلها، لما أخبر أنه يكون في أمته من يستحل المعازف، والمعازف: عند أهل اللغة: الملاحية. ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللهو نزاعاً، ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللهو على ثلاثة أقوال...). الفتاوى العراقية (٢/ ٧٤١). ونقل الشيخ الموفق: ذياب بن سعد الغامدي عن واحد وثلاثين عالماً نقلوا الإجماع على تحريم الغناء والمعازف. الريح القاصف، ص (١٦٣-١٧٣).

(٢) أفتت المجامع الفقهية المعاصرة بتحريم التأمين بأنواعه.

(٣) مجلة نون، العدد (٣١)، التاريخ رجب-شعبان ١٤٣٠هـ، ص (٦٧)، مقابلة مع (فهد الشميمري) رئيس مجلس إدارة قناة المجد.

(٤) صحيفة عكاظ، العدد (٣٤٩٠)، التاريخ ١٤٣٢هـ/٢/٦، ٢٠١١م.

(٥) أفتى المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، وهيئة كبار العلماء في السعودية بتحريم تمثيل الصحابة (رضي الله عنهم).

القياس الجلي السالم عن المعارض الراجح لا يجوز لمقلده أن ينقله للناس، ولا يفتي به في دين الله^(١).

تقحّم المسائل التي لها صلة بالسياسة الشرعية:

ومن تقحّم المسائل التي لها صلة بالسياسة الشرعية قول أحدهم في برنامج للفتوى على قناة (دليل) بجواز بيع العقارات على الرافضة^(٢).

وقول أحدهم بصحة ولاية الكافر النصراني على المسلمين وتحريم مقاومته!!

وقد أحصيت في السنوات الأخيرة ما يزيد على أربعين فتوى للمتصدرين لها في القنوات والمجلات تعارض النص الصحيح السالم من المعارض والإجماع، ولعلّ الله ييسر أفرادها في رسالة قياماً بواجب الاحتساب.

منشأ الخطأ عند هؤلاء:

لا عجب أن يخبط الواحد من هؤلاء في الفتوى ويخلط، فأكثرهم لا يعرف الفتوى: فقهاً وشروطاً، شاهد جهلهم: حكاية الخلاف في كل مسألة يستفتيهم فيها العوام، وهل العامي يفهم الخلاف أو يدرك معناه؟ وهل يستطيع الترجيح بين الأقوال حتى تعرضها عليه؟ أم تريد أن ينتقي منها ما يشاء؟ إن الفتوى: ذكر ما يعتقده المفتي. أما عرض الأقوال، وسرد المذاهب، فهذا في الكتب والمناظرات

(١) الفروق (٢/ ٥٤٦).

(٢) عن مخطط الرافضة في شراء العقارات في الخليج وعلاقة إيران بذلك، ينظر: حركة التشيع في الخليج العربي، عبدالعزيز البداح، ص (٢٥٢).

والدروس لا في الفتوى لأن عقول العوام لا تحتل ذلك.

وإذا عرض العامي نازلته على المفتي، فهو قائل له: أخرجني عن هواي، دلني على اتباع الحق، فلا يمكن والحال هذه أن يقال له: في مسألتك قولان، فاختر لشهوتك أيها شئت، فإن معنى هذا تحكيم الهوى دون الشرع^(١).

ومن أسباب الخطأ عند هؤلاء أيضاً احتجاجهم بالخلاف، والاعتماد عليه حجةً ودليلاً، وهذا غير سائغ (فربما وقع الإفتاء في المسألة بالمنع، فيقال: لم تمنع والمسألة مختلف فيها فيجعل الخلاف حجة في الجواز لمجرد كونها مختلفاً فيها، لا لدليل يدل على صحة مذهب الجواز، ولا لتقليد من هو أولى بالتقليد من القائل بالمنع، وهو عين الخطأ على الشريعة حيث جعل ما ليس بمعتد معتمداً وما ليس بحجة حجة)^(٢).

ومن أسباب وقوع هؤلاء في الغلط جرأتهم على الفتوى وتسابقهم عليها، (أو ما علموا أن المفتي مخبر عن الله تعالى، وأن من كذب على الله تعالى أو أخبر عنه مع عدم ضبط ذلك الخبر فهو عند الله تعالى بمنزلة الكاذب على الله؟ فليتنق الله امرؤ في نفسه ولا يقدم على قول أو فعل فيه عطبه وهلاكه)^(٣).

ومن أسباب وقوع هؤلاء في الغلط أن جعلوا أهواءهم حاكمةً على الشريعة: استحساناً، أو مسaireً ورضوخاً للواقع، أو تطلباً لرضا من يرجونه. وهذا مخالف لأصل الشريعة.

(١) الموافقات للشاطبي (٤/١٣٢).

(٢) الموافقات (٤/١٤١).

(٣) الفروق، بتصرف يسير جداً (٢/٥٤٥-٥٤٦).

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): (اعلم أن الشريعة موضوعة لإخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله)^(١).

ومن أسباب وقوع هؤلاء في الغلط دعوى أنهم مجتهدون وأن لهم النظر في الأدلة والترجيح بينها ولذا وقعوا في مخالفة المتقدمين.

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): (قلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين إلا ممن أدخل نفسه في أهل الاجتهاد غلطاً أو مغالطة)^(٢).

بل إنهم أصبحوا يطالبون في ندواتهم ومطارحاتهم بفتح باب الاجتهاد ودعوة الناشئة إلى النظر في الأدلة والترجيح والاستغناء عن العلم والتفقه على أهل العلم، وتجدها واضحةً في برنامجي: قصة فتوى، والأجر والأجران. ولسان حالهم يردد مقالة المنحرفين الأوائل: هم رجال ونحن رجال.

بل من عجيب ما سمعت أن أحدهم في حلقة بعنوان: (غلق باب الاجتهاد) في برنامج (قصة فتوى) على قناة دليل طالب بالاجتهاد في شروط الاجتهاد لأن بعضها يصعب تحقيقه!!

وهؤلاء لا يملكون من أدوات الاجتهاد والنظر شيئاً، وإنما غاية ما يملكونه شهادات لدراستهم مسألة جزئية في باب من أبواب الشريعة الواسعة.

وهنا لا بد من القول أن الشهوة الخفية أو الدافع النفسي تقف خلف الجهر برأي يخالف السائد أو يناقض المشهور... فأحياناً يكون نكايَةً بأهل العلم، أو رغبةً في الشهرة والظهور، أو لأنه لم يجد المكانة والشرف..

(١) الاعتصام (٣/٣٠٨).

(٢) الموافقات (٣/٢٨٦-٢٨٧).

ولذا فلا تشغل نفسك بالتقعر والبحث في مسائل الفروع والزم ما عليه الدليل، وما تكون به براءة الذمة، ولا تسترسل مع شهوة نفسك في حب الظهور بمفارقة المشهور عند أهل العلم أو ما عليه الفتوى، فإنه درك لا يزال ينزل به المرء حتى يصل إلى التخليط ومخالفة النص والاجماع.

وعموماً فإن المفتي لا بد أن يكون عالماً ديناً ورعاً، وإلا ففر منه فرارك من الأسد.

فإن لم يكن عالماً فهو جاهل، وإن لم يكن ديناً فهو فاسق، وإن لم يكن ورعاً كان متساهلاً.
وكما قيل:

وليس في فتواه مفت متبع ما لم يصف للعلم والدين الورع

وانظر إلى ذلك الرجل الذي بدأ بمخالفة المقرر في مسائل الفروع فأصبح يتتبع شواذ المسائل شيئاً فشيئاً حتى ألف كتباً في: مشروعية حلق اللحية، وجواز بقاء المسلمة مع زوجها اليهودي والنصراني، وإباحة المعازف مما هو مخالف للإجماع... وقد كان في عافية من ذلك، نسأل الله السلامة.

وهؤلاء المتساقطون امتداد للمدرسة المصرية (مدرسة العقل أو الرأي) التي تقوم على تقديم الاستحسان أو المصلحة المتوهمة أو مسامرة الواقع على النص الشرعي وتجد معالمها واضحة في كتب وفتاوى محمد الغزالي ويوسف القرضاوي خاصة.

ومما يدل على خطورة منهج هؤلاء وأنه لا ينضبط بضابط النص وينجح إلى مسامرة الواقع ما ذكره أحدهم في برنامج (قصة فتوى) على قناة دليل من أن شاباً

من هواة التصوير عرضت عليه قناة تويتز شراء صور منه بعشرة آلاف دولار... وعليه فيجب إعادة النظر في مسألة التصوير من نظرة مقاصدية!!

وهذا الكلام يدل على أن أهله غير مخولين بالفتوى وأنهم يتكلمون بأهوائهم وآرائهم لا بالأدلة الشرعية والقواعد العلمية المعتمدة.

ولهذا فهم يدعون الناشئة إلى الجرأة على أحكام الشريعة، والأخذ منها بما يوافق الأهواء ويسير الواقع.

فسود (أحدهم) كتاباً من مائة وست وعشرين صفحة عرض فيها جملة من المسائل الشرعية: (الاجتماع للذكر، الذكر الجماعي، كشف وجه المرأة، تخفيف اللحية...) عرض فيها الخلاف. وفي أول الكتاب خاطب الناشئة بقوله: (آن الأوان لبث الوعي، وتحريك الضمائر، وتنوير العقول، بعيداً عن التمسك بآراء أحادية، أو النهل من كتب محددة، أو تفنين الفتوى من جهات معينة!!)^(١).

وقال آخر بلغة أكثر صراحةً ووضوحاً: (فهم في وطني زرعوا في عقلي مذهباً فقهياً واحداً يميل للتشدد في فتواه، ويحيط المباح بدوائر متعددة من المحرمات، بناء على قاعدة سد الذرائع، حتى لا يتحول المباح إلى محرم أو يكون طريقة له، هكذا نشأت وتربيت لا أعرف إلا هو، ولا علماء عندي إلا علماءنا، ولكن بعد العولمة وثورة الاتصال عرفنا نحن المواطنين ما كان مجهولاً، وأدركنا أن لنا عقولاً، ولكن بعد فوات الأوان، فعندما اضطروا في وطني لبعض الفتاوى الميسرة، قال المجتمع: لا؛ لأنه تربى على الأقوال المتشددة، وهذا الخوف على

(١) قضايا دعوية، علي العمري ص (٧).

وطني، فوصية يا أولادي لا تؤجروا عقولكم لبشر...^(١).

حادي عشر حب الرياسة والتطلع إليها

النفوس مجبولة على حب الرياسة والتطلع إليها، لأنها من الجاه الذي يميل إليه الناس بطبعهم.

قال سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ): (ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة، حامى عليها، وعادى)^(١).

وقال إسحاق بن خلف: (والله الذي لا إله هو لإزالة الجبال الرواسي أيسر من إزالة الرياسة)^(٢).

وقال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): (آخر الأشياء نزولاً من قلوب الصالحين: حب السلطة والتصدر)^(٣).

وكما قيل:

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧٢).

(٣) الاعتصام (٢/ ١٧٥).

(١) مقال بعنوان: (مات المواطن المهزوم)، عبد الله الجميلي، صحيفة المدينة، التاريخ (١٩/

٤/ ١٤٣١هـ - ٤/ ٤/ ٢٠١٠م).

حب الرياسة داء لا دواء له وقلّ ما تجدد الراضين بالقسم^(١)
 وحب الرياسة والعلو في الأرض من أمراض القلوب، وهذا المرض
 مركب من مرض الشبهة والشهوة، فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد، وإرادة باطلة،
 كالعجب والفخر والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمتة وفضله وإرادة تعظيم
 الخلق له ومحمدتهم^(٢).

لكن طالب العلم يجاهد نفسه على قطع علائق الأمل بها، وذلك أن
 الرياسات إن لم تحصل بقي القلب منشغلاً بها، فيندفع صاحبها إلى التملق
 والتزلف طلباً لها، وربما باع دينه لأجلها، فإن لم يتحصل عليها مات كمداً وقضى
 غيظاً وحنقاً، وإن حصل عليها - بعد تطلب واستشراف - لم يعن عليها ووكّل
 إلى نفسه فكانت سيرته فيها غير مرضية نعوذ بالله من ذلك.

وشأن طالب العلم مع هذه الرياسات هو النهج النبوي المتمثل في
 الإعراض عنها وعدم الاستشراف لها فإن جاءته من غير مسألة ولا استشراف
 أعين عليها.

وهذا هو شأن السلف الصالح إذ كانوا يتباعدون عن الرياسات ولا
 يتطلبون المناصب.

(وذلك أن للرياسة سكرة كسكرة الخمر أو أشد، ولو لم يكن للرياسة
 سكرة لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٧٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٣٠٥-٣٠٦).

الخمر بكثير، ومحال أن يرى من السكران أخلاق الصاحي وطبعه..^(١).

والفتنة بالمال هي فتنة هذه الأمة؛ فعن كعب بن عياض رضي الله عنه؛
 قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة
 أمّتي المال)^(٢).

فما أكثر من يقع في حباله، فيتساهل في تحصيله وبأدنى الحيل، وأحياناً
 يكون العوض الذي يقدمه دينه وتقواه.

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (ما أقبح بالعالم والداعي إلى الله الحرص وجمع
 المال)^(٣).

والأصل في التحذير من طلب الشرف والرياسة قوله صلى الله عليه
 وسلم: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال
 والشرف لدينه»^(٤).

فهذا مثل عظيم جدا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساد دين المسلم
 بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد
 الغنم بذئبين جائعين ضارين باتا في الغنم قد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما
 يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من إفساد الذئبين المذكورين

(١) بدائع الفوائد (٣/١٠٦١).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٧١)، والترمذي (٢٣٣٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح
 غريب.

(٣) السير (١٧/٤٨٢).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٧٩٤)، والترمذي (٢٣٧٦).

والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا^(١).

وشاهد هذا: أنك ترى من أصحاب الرياسات - ممن حرم التوفيق والإعانة - يحرم الخير ويصرف إلى الشر، وتكون ولايته وبالأعلى عليه في الدنيا قبل الآخرة، وبعضهم يتصرف في ولايته تصرفات المجانين، لأن الرياسة غرته وخدعته. قال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ): (ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير)^(٢).

وشاهد آخر: أن صاحب الرياسة لم يصل إليها إلا بعد أن فقدوها من قبله إما بموت أو عزل أو عجز ومع ذلك لا يعتبر.

فهذا الإمام الحجة عالم الجزيرة ومفتيها ميمون بن مهران (ت: ١١٧هـ) يقول نادماً على الولاية: (إني وددت أن أصبغى قطعت من هاهنا، وأني لم أَلِ لعمر بن عبدالعزيز ولا لغيره)^(٣).

(١) شرح حديث [ما ذئبان صانعان] ص (٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٢).

ودعا الوالي الإمام محمد بن واسع (ت: ١٢٣هـ) فقال له: اجلس للقضاء، فأبى. فعاوده وقال: لتجلسن، أو لأجلدتك ثلاثمائة، قال: إن تفعل، فإنك مسلط، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة^(١).

وقال أيضاً: (وددت أن إحدى عيني ذهبت، وأني لم أَل عملاً قط)^(٢).

وامتنع منصور بن المعتمر الحافظ التابعي (ت: ١٣٣هـ) عن القضاء وجيء بالقيد ليقيد، فقيل للأمر: (لو نثرت لحمه لم يل القضاء فتركه)^(٣).

وحبسه الوزير ابن هبيرة شهراً على القضاء يريد به عليه، فأبى، وقيل: (إنه أحضر قيداً ليقيده به، ثم خلاه)^(٤).

وعرض الخليفة الرشيد على المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي (ت: ١٨٨هـ) قضاء المدينة وجائزة أربعة آلاف دينار فامتنع، فأبى إلا أن يلزمه ذلك، فقال: (والله يا أمير المؤمنين لئن يخنقني الشيطان أحب إلي من أن ألي القضاء، فقال الرشيد: ما بعد هذا شيء)^(٥).

وأقدم الرشيد الإمام عبدالله بن إدريس (ت: ١٩٢هـ) بغداد ليوليه قضاء الكوفة فامتنع^(٦).

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٢٢).

(٢) المصدر السابق (٥/ ٧٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠٦).

(٥) ترتيب المدارك، القاضي عياض (٢/ ١٨٥).

(٦) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣).

وقال أبو جعفر المسندي: (ودعت الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ)، فقلت: أوصني قال: كن ذنباً ولا تكن رأساً)^(١).

ويشهد التاريخ أن المتعلقين بالرياسات تتغير عليهم الأحوال وتقلب بهم الأيام وتنزل بهم الدوائر خاصة إذا كانوا غير محمودي السيرة.. معهم ظلم وسوء وفساد.

ذكر الذهبي أن العلامة شيخ الشافعية أبا المناقب محمود بن أحمد بن محمود الزنجاني عَزَلَ عن القضاء وغيره وَحْبَسَ وعوقب وصور على أموالٍ احتقبها من الحرام والغلول^(٢).

واتفق القاضي رفيع الدين عبدالعزيز بن عبدالواحد الجيلي (ت: ٦٤١هـ) مع وزير دمشق على أكل أموال الناس بالباطل بعد أن أحضره إلى دمشق وولاه قضاءها، فلما تبين ذلك، أشار الوزير على الملك الصالح إسماعيل بعزل القاضي لتبرأ ساحة الملك من شناعات الناس، فعزله، وأمر الوزير بنفيه خارج البلد، فأخرج ليلاً وَذُهِبَ به، فَسُجِنَ بمغارة، وقيل: أنه أُلْقِيَ من شاهق، وقيل: إنه خُنِقَ، فانظر كيف عامله الله بنقيض مقصوده، وأهلكه على يدي من كان سبب سعادته^(٣).

وهكذا فالدنيا الدنيّة، قريبة الرزيّة، ترفع أهلها تارة، وتخفضهم تارة أخرى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُ لَهُكَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٦٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٤٥).

(٣) البداية والنهاية (١٧/ ٢٥٠-٢٦٩).

ويدخل في حب الرئاسة والتطلع إليها حب الثناء والرغبة في المكانة والبحث عن الشهرة.

وقد صنّف أبو بكر الآجري (ت: ٣٦٠هـ) مصنفاً في أخلاق العلماء وآدابهم وصف فيه عالم السوء بأوصاف منها أنه فتن (بحب الثناء والشرف، والمنزلة عند أهل الدنيا، يتجمل بالعلم، كما يتجمل بالحلة الحسنة للدنيا..^(١)).

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ): (فهذا كلام الآجري في أواخر الثلاثمائة ولم يزل الفساد بعده متزايداً على ما ذكرناه أضعافاً مضاعفة فلا حول ولا قوة إلا بالله)^(٢).

والأصل في هذا أن يكون الداعية أو العالم داعيةً إلى الله وحده لا داعيةً إلى نفسه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٥هـ): (في الآية تنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه)^(٣).

ومن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة، بل إلى تعظيم الله وحده وإفراده بالعبودية والإلهية... وطلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد أفحش من طلبها بالمال وأقبح وأشد فساداً وخطراً فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من

(١) أخلاق العلماء، ص (٣٤).

(٢) شرح حديث (ما ذئبان جائعان)، ص (٣٨).

(٣) كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد، ص (١٠١).

الدرجات العلى، والنعيم المقيم، والقرب منه، والزلفى لديه. ومن يطلب بالعلم والعمل والزهد الرياسة على الخلق والتعاضم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعون له، ويصرفون وجوههم إليه، وأن يظهر للناس زيادة علمه على العلماء ليعلو به عليهم، فهذا موعده النار؛ لأن قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان^(١).

فقد يدعي بعض طلاب العلم معرفة الله وطلبه والإعراض عما سواه، وليس غرضهم بذلك إلا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم وإحسان ظنهم بهم وكثرة أتباعهم، والتعاضم بذلك على الناس.. فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد^(٢).

ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة، منهم أيوب السخيتاني وإبراهيم النخعي وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم من العلماء الربانيين^(٣).

وقال أيوب السخيتاني (ت: ١٣١هـ): (ما صدق عبد قط، فأحب الشهرة)^(٤).

(١) شرح حديث (ما ذئبان جائعان)، ص (٤٥) وما بعدها.

(٢) فضل علم السلف، ص (٤١-٤٢).

(٣) شرح حديث (ما ذئبان جائعان)، ص (٦٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/٢٠).

وقال أيضاً: (ذكرت، ولا أحب أن أذكر)^(١).

وقال شعبة (ت: ١٦٠هـ): (ربما ذهبت مع أيوب لحاجة، فلا يدعني أمشي معه، ويخرج من هاهنا، وهاهنا لكي لا يفطن له)^(٢).

وقال سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ): (السلامة في أن لا تحب أن تعرف)^(٣).

وقال عبيد الله بن الحسن العنبري (ت: ١٦٨هـ): (لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل)^(٤).

قال أبو هلال الراسبي (ت: ١٦٥هـ): (ما كان بالبصرة أعلم من حميد بن هلال ما أستثني الحسن ولا ابن سيرين غير أن الشهرة أضرت به)^(٥).

وقال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): (طوبى لمن أخل الله ذكره)^(٦).

وقال أيضاً: (أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف، قد بليت بالشهرة...) ^(٧).

وحب الظهور والبحث عن الشهرة واتخاذ العلم والدين سبيلاً لذلك من علامات ضعف الإيمان. وإيثار الخمول والتواضع من علامات التقوى

(١) سير أعلام النبلاء (٦/٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/٢٢).

(٣) السير (٧/٢٥٨).

(٤) تاريخ مدينة السلام (٩/١٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٥/٣١٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (١١/٢٠٧).

(٧) سير أعلام النبلاء (١١/٢١٦).

والفلاح.

قال إبراهيم بن أدهم (ت: ١٦٢هـ): (من طلب العلم لله، كان الخمول أحب إليه من التطاول)^(١).

قال علي بن إبراهيم الحصري الواعظ (ت: ٣٧١هـ): (وجدت من يدعو إنما يدعو إلى الله بظاهره، ويدعو إلى نفسه بباطنه، لأنه يحب أن يُعظم، وأن يُشار إليه، ويُعرف موضعه، ويُثنى عليه الثناء الحسن، وإذا أحب محبة الخلق له وتعظيمهم إياه فقد دعاهم إلى نفسه، لا إلى ربه)^(٢).

ومن صور حب الشرف والمكانة الرد على العلماء لغير غرض بيان الحق وإيضاحه.

إذ ما زال العلماء قديماً وحديثاً يرد بعضهم على بعض في البحث وفي التأليف، وبمثل ذلك يتفقه العالم، وتبرهن له المشكلات، ولكن في زماننا قد يعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته، ولطلبه الظهور والتكثر^(٣).

وحب الظهور يدفع صاحبه إلى الظهور بمظهر العلماء أو الصالحاء وتقمص هياتهم وهو ليس منهم.

والأسوأ من هذا أن ينفرد بقول أو يختار رأياً لم يسبق إليه ليصرف وجوه الناس إليه. قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (كل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم، فإنه يكون خطأ، كما قال الإمام أحمد: إياك أن تتكلم في

(١) السير (٧/ ٣٩٤).

(٢) المنتظم (١٤/ ٢٨٦).

(٣) السير (١٢/ ٥٠٠).

مسألة ليس لك فيها إمام)^(١).

ومن طلب الشرف والسؤدد مDAHنة المنافقين ومساندة المنحرفين حتى ينال رضاهم ويدرك دنياهم.

ومDAHنة المنافقين والكافرين سبيل لهدم الدين وقلب الموازين وتغيير مراسيم الشريعة. وهذا غرضهم ومرامهم. قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]. والمعنى: ودّوا لو تلين فيلينون لك^(٢).

وفي القديم والحديث مالاّ المخذولون المنافقين فارتدوا على دينهم بالعيب وعلى أهله بالذم مناة للمؤمنين ومساندة للمنافقين.

فالعلامة أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي كان مالكياً فارتد إلى مذهب الباطنية، ونبذ الدين وراء ظهره، وألّف في المناقب والمثالب، وردّ على أئمة الدين، وانسلخ من الإسلام، وصنّف في الرد على أبي حنيفة في الفقه، وعلى مالك، والشافعي، فعين قاضياً للدولة العبيدية، فسحقاً له وبعداً^(٣).

ويحمل العبد على ممالأة المنافقين واللاحق بالمنحرفين النكاية بأهل الحق لأنه يشعر أن لم يلق من المكانة والمنزلة عندهم ما يستحقه - في زعمه - فيعود عليهم ذماً وتنقيصاً.

وتأمل في حال المنحرفين ممن لحق بالمنافقين ستجد أنهم ذهبوا يبحثون عن الشهرة والظهور بعد الضمور والخمول، ويلتمسون التقدم والتصدر بعد

(١) الفتاوى (٢١/ ٢٩١).

(٢) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٣٠).

(٣) تاريخ الإسلام، حوادث (٣٥١هـ - ٣٨٠هـ) ص (٣١٦). السير (١٦/ ١٥٠).

التأخر. وذلك أن أهل النفاق يملكون الإعلام ووسائل الظهور فيبحثون من يبالغهم ويظهرون من يداهنهم. وكل من أراد الظهور فما عليه إلا أن يقدم القرابين على صخور النفاق والمداينة.

كان (يوسف) إماماً لأحد المساجد في جدة، و(ياسر) إماماً لمسجد في الرياض، و(تركي) يتردد على دروس المشايخ والعلماء، و(بدر) يشتغل بالدعوة فاستهوهم الظهور فذهبوا يبحثون عنه فلم يكن أمامهم إلا التخلي عن السيرة الأولى والطريقة القديمة!!

ف(يوسف) يكتب في الشرق الأوسط، و(ياسر) في صحيفة عكاظ، و(تركي) يعمل في قناة العربية، و(بدر) مسئولاً عن الملحق الثقافي في صحيفة الرياض.

ويجب أن يفهم هؤلاء وغيرهم ممن على شاكلتهم أن استكثابهم واستقطابهم لم يكن لكفاءتهم، فإن أهل الأهواء لا يبحثون عن الكفاءة ولا ينشدونها لأنهم ليسوا من أهلها.. وإنما شفعت لهم مقالاتهم التي سودوها في التعرض لأهل العلم وأحكام الإسلام.. فهم كالنائحة المستأجرة أجرتها على قدر عويلها.. ومتى ما انقضت حاجتهم منهم لفظوهم لفظ النواة.. ألا ما أبأس القوم ﴿وَمَنْ يُؤَيِّنْ اللَّهُ فَعَالَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

ومن صور حب الشرف والسؤدد تطلب الاتباع بمواجهة السلطة ومنازلة السلطان.

وليعلم هنا أن القبول والمكانة عند الخلق لا تباع ولا تشتري وإلا لاشتراها الملوك والأغنياء، وإنما هي منحة يمنحها الله للأولياء من عباده، وسبيلها الصدق

مع الله والإقبال عليه والزهد فيما أيدي الناس.

قال الإمام الرباني محمد بن واسع (ت: ١٢٣هـ) لرجل طلب وصيته: (أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة. قال: كيف؟ قال: ازهد في الدنيا).

وقال أيضاً: (إذا أقبل العبد بقلبه على الله، أقبل الله بقلوب العباد عليه)^(١).

والباحثون عن الشهرة واللاهثون خلف الظهور يتتبعون سراياً بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عند وفاه حسابه والله سريع الحساب، وحيث يندمون ولات ساعة مندم.

وسيدكر التاريخ ما سيؤول إليه أمر هؤلاء من الانزواء والخمول، والضيق والضمور، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومصدق هذا قول ابن عمر رضي الله عنهما: (إنما أهلك الناس العجب وطلب الرياسة، وهذا يضمحل عن قليل)^(٢).

(١) السير (٦/ ١٢٠/ ١٢١).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٣٥).

ثاني عشر

الدخول على السلاطين

يجوز للعالم الدخول على السلطان أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر أو واعظاً ومذكراً إن كان قادراً على ذلك مع أمن الفتنة من الاغترار بدنياههم، أو تحسين أفعالهم المخالفة للشرع، أو السكوت عن منكر يراه. أما الدخول لغير هذا المقصد فلم يكن من منهج السلف ولا عملهم. بل عظم تحذيرهم واشتد نكيرهم على من فعل ذلك؛ لأن الدخول على السلاطين من أسباب الافتتان، قال صلى الله عليه وسلم: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلاطين افتتن»^(١).

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (أبوابهم مواقف الفتنة)^(٢).

وعن سلمة بن نبيب الأشجعي قال: قلنا لأبي رضي الله عنه: ألا تأتهم؟ قال: (إني أخاف أن أشهد منهم مشهداً يدخلني النار)^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٣٣٦٢)، وأبو داود (٢٨٥٩)، والترمذي (٢٢٥٦)، والنسائي (٤٣٠٩)

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٣٨/١٥) وغيره.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٠/٦).

ومن المعلوم أن علماء أهل السنة، كمالك وأحمد وغيرهما، من أبعد الناس عن مدهانة الملوك أو مقاربتهم^(١).

قال ميمون بن مهران (ت: ١١٧ هـ): (ثلاث لا تبلون بها نفسك: لا تدخل على السلطان، وإن قلت أمره بطاعة الله)^(٢).

وقال سفيان (١٦١ هـ): (إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيت يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مرء، وإياك أن تخدع، ويقال لك: ترد مظلمة، وتدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس، اتخذها القراء سلماً)^(٣).

وقال عبدالرحمن بن القاسم - عالم الديار المصرية ومفتيها - (ت: ١٩١ هـ): (ليس في قرب الولاة ولا في الدنوم منهم خير)^(٤).

وقال أيضاً: (ما أعلم في فلان عيباً إلا دخوله على الحكام، ألا اشتغل بنفسه)^(٥).

وقال بشر الحافي (ت: ٢٢٧ هـ): (ما أقبح أن يقال: أين فلان العالم؟ فيقال: بباب الأمير)^(٦).

وقال سحنون (ت: ٢٤٠ هـ): (ما أقبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد

(١) منهاج السنة (٤/ ١٣٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٨٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢١).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢٢).

(٦) منهاج القاصدين (١/ ٤٠٥).

فيه، فيسأل عنه، فيقال: هو عند الأمير، هو عند الوزير، هو عند القاضي، فإن هذا وشبهه شر من علماء بني إسرائيل^(١).

وكان الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) رحمه الله لا يأتي الخلفاء ولا الولاة والأمراء ويمتنع من الكتابة إليهم مطلقاً، وينهى أصحابه عن ذلك مطلقاً^(٢).

وقال منها: (سألت أحمد (ت: ٢٤١هـ) عن إبراهيم الهروي؟ فقال: رجل وسخ. فقلت: ما قولك إنه وسخ؟ قال: من يتبع الولاة والقضاة فهو وسخ^(٣)).

وهذا هو دأب علماء الآخرة فإن من صفات علماء الآخرة: أن يكونوا منقبضين عن أهل الدنيا كالسلاطين، محترزين من مخالطتهم، فإن الدنيا حلوة خضرة، وزمامها بأيدي السلاطين، والمخالط لهم بعيد عن السلامة من وجوه؛ منها: أنه يجب عليه الإنكار، وقد يقدر عليه فلا يفعله، فيصير مدهاناً، وربما حسن أحوالهم القبيحة طمعاً في أموالهم الكدرة، وأقل الأحوال أن يرى نعيمهم فيزدري نعمة الله عليه^(٤).

وتورّع قوم عن الرواية عن المحدث طراد بن محمد بن علي بن أبي تمام (ت: ٤٩١هـ) لصحبته للسلاطين^(٥).

(١) ترتيب المدارك (١/٣٥٧).

(٢) الآداب الشرعية (٤/١٢٨).

(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح (٤/١٢٩).

(٤) منهاج القاصدين، لابن الجوزي (١/٧٠).

(٥) المنتظم، لابن الجوزي (١٧/٤٤).

وكان شيخ المالكية خلف بن أبي القاسم المغربي المالكي (ت: ٤٣٠هـ) مبغضاً عند أصحابه لصحبته سلاطين القيروان^(١).

وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مدهانتهم وترك الإنكار عليهم^(٢).

وفي القديم والحديث دخل أناس على السلاطين فلم يأمرهم بالمعروف ولم ينههم عن المنكر ولم يصدقوهم النصيحة، وهؤلاء مع مقت الله لهم وغضبه عليهم أدركهم مقت الناس وبغضهم.

وقد كان السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم ولاية الأمور لحاجتهم إليهم في الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا فتعلموا العلوم التي تصلح للأمراء وحملوها إليهم لينالوا من دنياهم^(٣).

والدخول على السلاطين هو الباب الذي دخل منه علماء الدنيا لنيل الشرف والرياسات فيها^(٤).

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (فتأمل هذه الكلمة الجامعة، وهي قوله: «الدين النصيحة»، فمن لم ينصح الله وللأئمة وللعمامة، كان ناقص الدين، وأنت لو دعيت: يا ناقص الدين، لغضبت. فقل لي: متى نصحت لهؤلاء؟ كلا

(١) ترتيب المدارك (٢/١٧).

(٢) تلييس إبليس، ص (١١٨).

(٣) تلييس إبليس، ص (١١٩).

(٤) شرح حديث (ما ذنبان جائعان)، ابن رجب، ص (٦١).

والله، بل ليتك تسكت ولا تنطق، أو لا تحسن لإمامك الباطل، وتجترئه على الظلم وتغشه.

فمن أجل ذلك سقطت من عينه، ومن أعين المؤمنين، فبالله قل لي: متى يفلح من كان يسره ما يضره؟ ومتى يفلح من لم يراقب مولاه؟ ومتى يفلح من دنا رحيله؟ وانقرض جيله، وساء فعله وقيله؟ فما شاء الله كان، وما نرجو صلاح أهل الزمان، لكن لا ندع الدعاء، لعل أن يلطف بنا، وأن يصلحنا^(١).

وجرى الأمر في القديم والحديث أن بعض المخذولين ينظر ما ترى السلاطين فيظهره ويدعو إليه وإن كان بخلاف الحق أو ما يعتقد.

وخذ على ذلك مثلاً فإنه لما جاءت الدولة النظامية في القرن الخامس التي تبنت المذهب الشافعي في الفروع والأشعري في العقيدة فعظم فيها شأن الأشاعرة قام كثير من أصحاب المذاهب بالنفاق، فتوثقوا بالمذهب الأشعري والشافعي طمعاً في العز والجرايات^(٢).

وشهد التاريخ أن المتقربين من السلاطين والولاة تحصل لهم نكبات فيقصون بعد أن كانوا يدنون ويبعدون بعد أن كانوا يقربون فيتحول الواحد منهم إلى شريد طريد لا يعأبه ولا يهتم له.

وكان القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي (ت: ٢٤٠ هـ) مقرباً من الخلفاء وهو الذي شَغَبَ على الإمام أحمد، وأفتى بقتله، فمرض بالفالج قبل موته بأربع سنين، وغضب عليه الخليفة (المتوكل) وأهله فَنَكَبَ وصودرت أمواله وأموال

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٥٠٠).

(٢) المنتظم، لابن الجوزي (١٧/٢٥).

أهله والحمد لله رب العالمين^(١).

وكان الشيخ الواعظ علي بن الحسين الغزنوي (ت: ٥٥١ هـ) ذا جاه عظيم عند السلطان فلما مات السلطان حُسِنَ الغزنوي ومُنِعَ من الوعظ.. وما زال يَلْقَى الذل بعد العز الوافي حتى إنه قال: من الناس من الموت أحب إليه من الحياة وهو يعني نفسه^(٢).

وكان الفقيه الواعظ زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الدمشقي الحنبلي المعروف بابن نجية (ت: ٥٩٩ هـ) ذا جاه وسؤدد واتصال بالدولة، اقتنى أموالاً عظيمة، وتنعم تنعماً زائداً، حيث كان في داره عشرون جارية للفراش، وكان يعمل له من الأطعمة ما لا يعمل للملوك، أعطاه الخلفاء والملوك أموالاً جزية، ومع هذا مات فقيراً ولم يخلف كفنًا فكفنه بعض أصحابه^(٣).

ومالاً القاضي أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي (ت: ٦٣٣ هـ) حكام زمانه، اجتاز (إربل) فوجد ملكها مظفر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد النبوي فعمل له كتاب (التنوير في مولد السراج المنير) وقرأه عليه فأجازه بألف دينار.

وخرج السلطان الكامل ملك مصر إلى (الشام) وخرج معه أبو الخطاب بن دحية فحضرت صلاة المغرب فقدم السلطان ابن دحية فصلى بهم المغرب

(١) مرآة الجنان (٢/٩٢).

(٢) المنتظم، لابن الجوزي (١٨/١٠٨-١١٠)، البداية والنهاية (١٦/٣٧٨).

(٣) مرآة الزمان (٨/٥١٥).

وقصرها، فلما أن فرغ، قال له شيخ معهم: ما أعلم أحداً من الأئمة يجوّز قصر صلاة المغرب في السفر. فقال ابن دحية: كيف لا وقد أخبرنا فلان عن فلان. وسرد إسناده إلى رسول صلى الله عليه وسلم أنه قصر المغرب في السفر. وقد كان الملك الكامل مقبلاً عليه فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث التي ولّاه مشيختها وأهانها^(١).

وخدم الإمام الكبير صاحب النظم الفائق جمال الدين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح الصعيدي (ت: ٦٤٩هـ) مع الملك الصالح نجم الدين وولي نظر الخزانة له لما تسلطن بمصر، ثم وزر له بدمشق، ثم عزله وتغيّر عليه^(٢).

وتغيّر السلطان على الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي (ت: ٦٧٦هـ) بعد شدة خضوعه عليه وانقياده إليه، وعقد له مجلساً، وأحضر له من خافقه، ونسب إليه أموراً فظيعة، وأشاروا فيها بقتله ثم حبسه إلى أن توفي^(٣).

وصحب الشيخ الفقيه أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني الشافعي (ت: ٨٧٠هـ) الأكابر من الأمراء والمباشرين فحظي عندهم، وبَعَدَ صيته، ورتبت له المرتبات، وصار يعد من الأعيان في القاهرة... ثم وُثِيَ به إلى السلطان فقبض عليه وسجن وضرب ثمانين سوطاً ونفي وأخرج من التدريس بالمدرسة البروقية وخرج بعد أن باع أثاثه وأخرجت وظائفه ومرتبته إلى دمشق^(٤).

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤). البداية والنهاية (١٧/ ٢٢٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٧٣).

(٣) مرآة الجنان (٤/ ١٤١).

(٤) عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران (١/ ٦١).

وهؤلاء الذين يستعملون الدين للوصول إلى الدنيا هم سفلة الناس، ولذا يشتد مقت الناس لهم، قيل لعبدالله بن المبارك، من السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم^(١).

وأذكر لزماً في هذا المقام شاهداً من زماننا، لما افتتحت جامعة (كاوست) وهي مختلطة بين الجنسين كيف تدافع المساكين إلى القول بإباحة الاختلاط، بل أعماهم التدافع: طمعاً وتزلفاً.. وافتروا على الشريعة إذ قالوا: بأن مصطلح الاختلاط مصطلح حادث غير معروف في الفقه الإسلامي!! ألا ما أقبح الكذب.

ولما حصل توسع في عمل المرأة وتعليمها على نحو يخالف الشريعة.. تدافع هؤلاء يزنون الباطل ويحسنون المنكر ويفتحون الأبواب.. على أن الفقه والسياسة والعقل والحكمة تقضي بالتشدد إذا حصل من الناس تساهل في أمر من الأمور!!.

فأحدهم: يفتي في صفحة عكاظ الأولى بجواز ممارسة المرأة للرياضة، وآخر: يميز تعيين المرأة عضواً في هيئة كبار العلماء، وثالث: يقرر بأن لبس المرأة للثوب الواسع كافٍ ولا حاجة إلى العباءة، ورابع: على صفحة الرياض الأولى يميز الرياضة في مدارس البنات.. وخامسهم: يرى أن تولي المرأة للمناصب القيادية أصبح ضرورة ملحة الآن في ظل الأوضاع الراهنة.

وهكذا في نماذج كثيرة...؟!.

(١) السير (٨/ ٣٩٩).

وهؤلاء الذين طلبوا العلو لن يزدادوا إلا سفالا؛ لأن السلاطين وغيرهم يعلمون أنهم كذّابون مدهنون، ومن طبيعة البشر أنهم يمتنون التزلف ويغضون أهله.

وقد ذكر شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨هـ) أن علامات أهل البدعة والفرقة والنفاق أنهم يصنّفون لأهل السيف والمال من الملوك والوزراء وغير ذلك، ويتقربون إليهم بالتصنيف فيما يوافقهم^(١).

فهم في انتظار تصرف الوالي لتبريره على ضوء الشرع المطهر حتى هزأ بهم كبار الأجراء، وقالوا: فتيا بفرخة^(٢).

وإنك لتشفق على هؤلاء عندما تراهم يبحثون عن العلو ويطلبون المكانة عند أبواب السلاطين وعتبات الملوك.. وغاب عنهم أن أمر الطالب والمطلوب بيد علام الغيوب.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) في كلام يهز المشاعر ويحرك القلوب: (رياء المرائين صير مسجد الضرار منزلة خربة ﴿لَا نُقَمُّ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨] وإخلاص المخلصين رفع قدر التفث (رب أشعث أغبر).. قلب من ترائيه بيد من أعرضت عنه، يصرفه عنك إلى غيرك، فلا على ثواب المخلصين حصلت ولا إلى ما قصدته بالرياء وصلت، وفات الأجر والمدح فلا هذا ولا هذا)^(٣).

(١) الاستقامة (٤٣/١).

(٢) التعامل، بكر أبو زيد، ص (٣٩).

(٣) الفوائد، ص (٣٩٥).

ثالث عشر الجدال والخصومة في الدين

نهى الله تعالى عن الجدل بغير علم، كقوله تعالى: ﴿هَاتُمَ هَؤُلَاءِ حَاجَتُهُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّوْا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦].

ونهى عن الجدل في الحق بعد ظهوره، كقوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ [الأنفال: ٦].

ونهى سبحانه عن الجدل بالباطل، فقال: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

ونهى عن الجدل في آياته، فقال سبحانه: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]^(١).

قال قوام السنة (ت: ٥٣٥هـ): (كيف يجترئ عاقل على المراء والجدال بعد قول الله عز وجل: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾)^(٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤٧/١).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٤٨٩/٢).

ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ: ﴿مَاصِرَتُوهُ لَكَ لِأَجْدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨] ^(١).

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة: أنهم يتقون الجدل في الدين والخصومات فيه ^(٢).

قال ابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ): (ومن السنة ترك الجدل والخصومات في الدين) ^(٣).

والمذموم شرعاً ما ذمه الله ورسوله، كالجدل بالباطل، والجدل بغير علم، والجدل في الحق بعدما تبين.

فأما المجادلة الشرعية، كالتي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء عليهم السلام وأمر بها، في مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُحُونَ قَدْ جَدَلْتْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا﴾ [هود: ٣٢].

وقوله: ﴿وَلَيْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقوله تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِلَاغٍ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وأمثال ذلك فقد يكون واجباً أو مستحباً وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع ^(٤).

وقد ذم السلف الجدل في الدين ورووا في ذلك أحاديث وهم لا يذمون ما

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٦٤)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث، الصابوني، ص (١١٣).

(٣) لمعة الاعتقاد، ص (١٥٩).

(٤) درء التعارض (٧/١٥٦).

هو الصواب ^(١).

قال عبدة بن أبي لبابة أحد الأئمة (ت: ١٢٧هـ): (إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته) ^(٢).

وقال الأوزاعي (ت: ١٥١هـ): (إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدل، ومنعهم العمل) ^(٣).

وقال معروف الكرخي (ت: ٢٠٤هـ): (إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل، وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عليه باب العلم، وفتح عليه باب الجدل) ^(٤).

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): كان السلف يزجرون عن التعمق، ويبدعون أهل الجدل ^(٥).

وجميع رؤوس الضلال كانوا أهل مرأى وجدال، فالجهم بن صفوان كان ذا جدال ^(٦)، وهشام بن الحكم الرافضي المشبه صاحب نظر وجدل ^(٧)، وهشام بن عمرو المعتزلي كان صاحب جدال ^(٨).

(١) الحجة في بيان المحجة، قوام السنة (١/١٠١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٢٢٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/١٢١).

(٤) الحجة في بيان المحجة، قوام السنة (٢/٤٥٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/٣٣٤).

(٦) سير أعلام النبلاء (٦/٢٦).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٣).

(٨) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٧).

قال أبو حامد الإسفراييني الشافعي (ت: ٤٠٦ هـ) لأحدهم: (لا تُعَلِّق كثيراً مما تسمع منا في مجالس الجدل، فإن الكلام يجري فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته، فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً، ولو أردنا لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تطاولنا في الكلام، وإن كنا في كثير من هذا نبوء بغضب الله، فإننا نطمع في سعة رحمة الله)^(١).

ولذا فلم يكن الجدل والمناقضة والخلاف والمباحلة والأهواء المختلفة والآراء المخترعة من شرائع النبلاء ولا من أخلاق العقلاء ولا من مذاهب أهل المروءة ولا مما حكى عن صالحى هذه الأمة من السلف ولا من شيمة المرضيين من الخلف وإنما هو لهُو يتعلم ودراية يتفكه بها ولذة يستراح إليها بمحق الأديان، وضراوة على التغالب واستمتاع بظهور حجة المخاصم، وقصد إلى قهر المناظر والمغالطة في القياس وبهت في المقابلة وتكذيب الآثار وتسفيه لأحلام الأبرار، ومكابرة لنص التنزيل، وتهاون بما قاله الرسول ونقض لعدة الاجماع وتشيت الألفة وتفريق لأهل الملة وشكوك تدخل على الأمة وضراوة السلاطة وتوغير القلوب وتوليد الشحناء في النفوس^(٢).

ومما أنكره أئمة السلف الجدل والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضاً ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام، وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها، وكل ذلك محدث لا أصل له، وصار ذلك

(١) طبقات السبكي (٤/٦٢).

(٢) الإبانة (٢/٥٣١).

علمهم حتى شغلهم ذلك عن العلم النافع، وقد أنكر ذلك السلف^(١).

وما سكت من سكت من كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلاً ولا عجزاً ولكن سكتوا عن علم وخشية الله، وما تكلم من تكلم وتوسّع من توسّع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم ولكن حباً للكلام وقلة ورع، كما قال الحسن وقد سمع قوما يتجادلون: هؤلاء قوم ملأوا العبادة وخفّ عليهم القول وقلّ ورعهم فتكلموا.

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك وهذا جهل محض^(٢).

ومن المراء ما يجري في المتدييات من المطارحات والمناقشات للتغلب على الخصم وإظهار الحجة من غير قصد الحق وبيانه، ومن ضلّ في زماننا عرفوا بكثرة المراء والجدال على هذا الوجه.

(١) فضل علم السلف على الخلف، ص (٢٠).

(٢) فضل علم السلف على الخلف، ص (٢٣-٢٤).

والمناقضة فالله المستعان).

والعُجْبُ من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وسلم:
«ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه..»
الحديث^(١).

قال بلال بن سعد (ت: ١١٠هـ): (إذا رأيت الرجل لجوجاً ماريّاً يعجب
برأيه فقد تمت خسارته)^(٢).

وقال حجاج بن أرطاة العلامة مفتي الكوفة وكان فيه تيه وكبر
(ت: ١٤٥هـ): (أهلكني حب الشرف)^(٣).

وقال إبراهيم الخواص (ت: ٢٨٤هـ): (ما كانت زندقة ولا كفر ولا بدعة
ولا جرأة في الدين، إلا من قبل الكلام والجدال والمرء والعجب..^(٤)).

وقيل لأحدهم: ما البلاء الذي لا يرحم عليه صاحبه؟ قال: العجب^(٥).

وحذر النبي ﷺ من زمان يعجب فيه كل صاحب رأي برأيه فقال: «إذا
رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه

(١) قال المنذري: (رواه البزار والبيهقي وغيرهما، وهو مروي عن جماعة من الصحابة،
وأسانيده وإن كان لا يسلم منها مقال، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى).
الترغيب والترهيب (١/١٦٢).

(٢) الإبانة (٢/٥١١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/٦٩).

(٤) أحاديث في ذم الكلام، أبو الفضل المقيري (٤/٤٠٠).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٦٧).

رابع عشر

الغرور والإعجاب بالنفس والاعتداد بالذات

لما حاز هؤلاء الضالون شيئاً من العلوم، وأدركوا قدراً من الفهم، اغتروا
بما عندهم من العلم، فتجرؤوا على الخوض في المغيبات، ولم يقفوا عند حدود ما
أنزل الله على رسوله فضلوا.

وقد حكى الله تعالى عن أسلافهم من الضلال ما يبين هذا ويوضحه، قال
تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا
يَدَّيْسْتَهُزُّونَ﴾ [غافر: ٨٣]. قال ابن سعدي: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ من
الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين للهدى من الضلال،
والحق من الباطل ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ المناقض لدين الرسل. ومن
المعلوم أن فرحهم به يدل على شدة رضاهم به وتمسكهم، ومعاداة الحق الذي
جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقاً، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها
ما جاء به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا: علوم الفلسفة، والمنطق
اليوناني، الذي ردت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب،
وجعلت أدلته اليقينية أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين، ويقدم عليها عقول
أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة لها

فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام»^(١).

والإعجاب بالنفس يظهر المعاييب ويغطي المحاسن ويبعث على مقت الخلق وتجايفهم، ولهذا قالوا: (العجب يهدم المحاسن)^(٢). وهو علامة على الجهل وضعف العقل، قال أبو الدرداء: (علامة الجهل ثلاثة: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهي عن شيء ويأتيه)^(٣). وقال غيره: (إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله)^(٤).

والإعجاب بالنفس والاعتداد بالرأي تجده واضحاً عند كثير ممن انحرف وحاد عن الجادة.

ففي برنامج بثته قناة العربية في شهر رمضان من عام (١٤٣١هـ) بعنوان: (وجوه إسلامية) استضافت فيه وجهاً إسلامياً ظهر إعجابه بنفسه وغروره بها بمدحه وإطرائه لنفسه ومما قاله أنه في بداية الطلب درس على شيخ يمني تنبأ بنجابه فقال: إن هذا الشاب سيكون له شأن في المستقبل!!

وفي شهر شعبان من سنة (١٤٣٢هـ) استضافت القناة الثقافية شخصاً تحدث عن جهوده في مواجهة الرأي الواحد السائد في المملكة، وذلك أنه كان يقرأ في صلاته بغير قراءة حفص عن عاصم فلما استنكر الناس، طلب منه سباحة الشيخ عبدالعزيز بن باز الكف عن القراءة بذلك، لكنه رفض هذا ليوافقه

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧٠).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧٠).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧١).

مشكلة الرأي الواحد!!

وفي مقابلة معه في صحيفة (الحياة) ذكر أنه جمع بين جمال الصوت وحسن التجويد، وأن أحد أئمة الحرم عليه ملاحظات كثيرة في التجويد. والآخر يمكن أن يكون أفضل مما هو عليه الآن بكثير. ولذا عليهما تطوير نفسيهما من حيث التلاوة والوقف والابتداء، وذكر أيضاً أن الحرم يضم خامات صوتية مميزة، لكن قراء لا، لأنك إذا جئت للفن التجويدي لا يوجد تجويد، ومخرج الحروف فيها الكثير من الأخطاء، وأشار لو يُحضر لأئمة الحرم شخصيات من كبار القراء في العالم للرفع من مستوى أدائهم!!!.

وهذا الكلام مع خروجه عن دائرة المروءة فيه اعتداد بالنفس وثناء عليها مع الخط من شأن الآخرين.

ومما لا حظته أن أحدهم يلقي دروساً في التفسير ودروساً في الفقه في قناة إقرأ وغيرها وهو متخصص في اللغة العربية، وكثيراً ما يستخدم عبارات: أرجح كذا، أميل إلى كذا، يظهر لي كذا... في الموازنة بين أقوال المفسرين والفقهاء. وهذه جراءة لا تنبغي.

وانظر إلى كتابات حسن المالكي ونواف القديمي ومحمد المحمود ومنصور الهجلة وياسر العمرو ومنصور النقيدان وعبدالله بن بجاد وغيرهم من المتعلمين تجد سمة الإعجاب والغرور والاعتداد بالنفس واضحة في كتاباتهم.

وهؤلاء المعجبون بأنفسهم المغرورون بذواتهم يأتيهم الأمر على خلاف ما يؤملون، فيحال بينهم وبين ما يشتهون: من الرغبة في التصدر والتقدم والذكر.

قال كعب: (إنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ما زادك الله به إلا سفالاً ونقصاً)^(١).

وما كان التعامل والتحذلق جديداً، بل ضاق به الأئمة، واستاء منه الأوائل، قال الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ): (رأيت خلقاً من أهل هذا الزمان ينتسبون إلى الحديث، ويعدون أنفسهم من أهله، المتخصصين بساعه ونقله، وهم أبعد الناس مما يدعون، وأقلهم معرفة بما إليه ينتسبون... وهم مع قلة كتبهم له وعدم معرفتهم به، أعظم الناس كبراً، وأشد الخلق تيهاً وعُجباً، لا يراعون لشيخ حرمة، ولا يوجبون لطالب ذمة...) (٢).

وهؤلاء انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير أو هموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله، لأنهم ما رأوا شيخاً يقتدى به في العلم، فصاروا همجاً رعاعاً، غاية المدرّس منهم أن يحصل كتباً مثمناً يخزنها وينظر فيها يوماً، فيصحف ما يورده ولا يقرره^(٣).

ودخل الشيطان على هؤلاء المعجبين بأنفسهم من باب التسخط على القضاء والقدر، فبعضهم ذكي أو منطلق في لسانه أو قلمه ولديه قدرة ومُكنة في علوم ومعارف فيرى بليداً أو غيباً أو أحقاً ربها كان من أقرانه فحاز مناصب وبلغ مراتب وهو لم ينل من ذلك شيئاً فيتسخط فيحرم التوفيق ويصرف عن الهداية لما كان في قلبه من تسخط على قضاء الله وقدره، واعتراض على علمه وحكمته.

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٦٨).

(٢) الجامع في أخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٧٥).

(٣) السير (٧/ ١٥٣).

ويظهر هذا في آخر الزمان الذي من علاماته تصدر السفلة وتقدم الرعاع، قال (رحمه الله): [لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع]^(١). اللكع: اللثيم الأحمق.

وعلامة الغرور والإعجاب بالنفس النيل من العلماء ولز الكبار، وهذا شأن المنحرفين في القديم كما هو شأنهم في الحديث.

ففي القديم كانوا يسمون أهل السنة حشويةً ظاهريةً مشبهة^(٢)، وفي الحديث يسمونهم جامدين حرفيين نصيين تقليديين.

قال يحيى بن معين (ت: ٢٣٣هـ): (إذا رأيت الرجل يتكلم في حماد بن سلمة وعكرمة مولى ابن عباس فاتهمه على الإسلام)^(٣).

وقال الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ): (إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام، فإنه كان شديداً على المبتدعة)^(٤).

وقال الصابوني (ت: ٤٥٥هـ): (وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلامتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم واحتقارهم لهم واستخفافهم بهم...) (٥).

فالذين يعيبون أهل الحديث ويعدّلون عن مذهبهم جهلة زنادقة منافقون

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٠٩)، وأحمد (٢٣٣٠٣).

(٢) عن هذه المصطلحات، ينظر: منهاج السنة (٢/ ٥٢٠).

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥١٤).

(٤) السير (٧/ ٤٥٠).

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص (١١٧).

بلا ريب، ولهذا لما بلغ الإمام أحمد عن (ابن أبي قتيلة) أنه ذُكِرَ عنده أهل الحديث بمكة، فقال: قوم سوء. فقام الإمام أحمد وهو ينفض ثوبه، ويقول: زنديق، زنديق، زنديق. ودخل بيته، فإنه عرف مغزاه.

وعيب المنافقين للعلماء بما جاء به الرسول قديم، من زمن المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ^(١).

فهكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق ﴿وَيَأْتِيكَ اللَّهُ الْآنَ يُخَيِّرُكَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ويشطون الناس عن اتباع أهل الشريعة، ويدّعونهم، ويزعمون أنهم الأرجاس الأنجاس المكبون على الدنيا، ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا، وذم المكبين عليها^(٢).

والأسوأ في حال هؤلاء المتعلمين أن المنافقين اتخذوهم أبواقاً للنيل من علماء السنة وتحقيرهم.

فكتب أحدهم مقالاً بعنوان: (سنصدع بالحق) قرّر فيه أن علماءنا الكبار يقفون أمام الإصلاح الديني بتحريم الاختلاط، والقول بسد الذرائع...!!^(٣).

ولما أصدر الشيخ (عبد الرحمن البراك) فتوى بشأن الاختلاط، ذكر (منصور الهجلة) في إحدى الصحف أن الشيخ غلط غلطة كبيرة، وأبعد النجعة، ولذا لم يعتد به علماء عصره كفتيّه، وإن كان المقربون منه يبالغون في الدفاع عنه لشهرته بالغيرة وتدينه وزهده، لكن ليس لعبقريته ودقته في العلوم العقدية!!

(١) مجموع الفتاوى (٩٦/٤).

(٢) الاعتصام (٢٠٨-٢١٠).

(٣) منشور على موقع الإسلام اليوم وغيره من المواقع والصحف الإلكترونية.

ولما أنكر الشيخ (سعد الشري) الاختلاط في جامعة (كاوست) كتب (ياسر العمرو) مقالاً في صحيفة عكاظ في لمر الشيخ والخط من شأنه واصفاً إياه بقصور النظر والمشاغبة!!^(١).

وشارك (محمد الجدلاني) في برنامج: (ياها) على قناة: (روتانا خليجية) في برنامج مشبوه وقناة منحرفة ليتنقص أحد علماء أهل السنة (صالح اللحيدان) إثر إيضاحه بشأن تعيين المرأة في مجلس الشورى فيتهم نيته ويستعدي الولاية عليه^(٢). وسوّد أحدهم كتاباً في ثلاثمائة صفحة جمع فيه فتاوى أهل العلم: سخريّة واستهزاءً وعبياً وتنقصاً.

ولم يقف أهل الأهواء عند حد الخط على العلماء وتنقصهم، بل وصلوا إلى مقام الصحابة رضي الله عنهم، فقد كتب السبّاب (محمد المحمود) مقالاً في صحيفة الرياض بعنوان: (الدراما التاريخية.. التاريخ مزيفاً) تعرّض فيه للصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ووصفه بأنه أناني، وطاغية، ومستبد، ومجرم كبير...^(٣).

وهذا السبّاب تعرض لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالذم والتنقص فكان مما قاله في مقال له بعنوان: (التخلف والتطرف... حقيقة العلاقة وبؤس الأتباع): (إن مرجع التقليديين الكبير، الذي يمتحن منه علوم الجاهل أو

(١) مقال بعنوان: (سعد الشري بين التشمير والاشتمال). صحيفة عكاظ، العدد (٣٠٢٨)، التاريخ (١٢/١٠/١٤٣٠ هـ - ١٠/١٠/٢٠٠٩ م).

(٢) تجده على موقع (اليوتيوب).

(٣) صحيفة الرياض، العدد (١٥٧٦٠)، التاريخ (١٨/٩/١٤٣٢ هـ - ١٨/٨/٢٠١١ م).

الجهل المحسوب علماً، ذلك المرجع الرمزي الذي عاش أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن، والذي لم تكن قدراته تتيح له أكثر من (تعقيل الجهل)، أي تقديم الجهل ورؤى التخلف بوصفها علماً، بل بوصفها وحدها العلم الصحيح، يمكن عده نموذجاً للعلاقة العضوية بين التخلف والتطرف، هم ينفون عنه كلتا الصفتين، لكنك وبتأمل تراثه وتأمل ما نتج عن هذا التراث من وقائع فكرية ووقائع عينية، تدرك أنه كان ولا يزال أكبر مصدر للتخلف والتعصب والتطرف بلا منازع...^(١).

وهذا الكلام لا يصدر من نفس سوية، بل نفس معقدة مريضة ملئت بالحق والغيظ على علماء السلف ومنهجهم نعوذ بالله من تلك الحال.

ومسكين آخر يدعى: (رائد السهموري) جمع بين الجهل والغرور كتب كتاباً في خمسمائة صفحة في نقد الخطاب السلفي.

وكلما كان العالم أعظم تأثيراً وأشدّ على المبتدعة زاد حنقهم عليه وسلقوه بالسنة حداد.

فتعرض المبتدع الخبيث: حسن المالكي لشيخ الإسلام ابن تيمية في مداخلة له على قناة (الكوثر) الرافضية ووصفه بالكذاب وأنه لا يكاد يصدق في خمسة أسطر يكتبها^(٢).

وكتب كتابه: (داعية وليس نبيا) يحيط فيه من شأن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٥٣٣)، التاريخ (١٤٣١ هـ / ٧ / ٥ - ١٧ / ٧ / ٢٠١٠ م).

(٢) على موقع اليوتيوب بعنوان: (اتصال الشيخ حسن المالكي على السيد كمال الحيدري).

وهذا الخبيث عنده ما عند الرافضة من الحقد والكذب، والتضليل والتليس.

ولا يعجب المرء من جهالات هذا الحاقد وتضليلاته.. فإن شأنه شأن الرافضة ممن عاصروا الشيخ أو جاؤوا بعده ممن شرقوا بدعوة التوحيد وغازهم ظهورها. ولكن العجب ممن انتسب للسنة فتلقف تلك الدعايات الحاقدة وأخذ يرددها من غير حجة ولا برهان.

ومن العجيب أن المنحرفين اجتمعوا على التعرض لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ودعوته التجديدية خاصة في السنوات الأخيرة هذه في اجتماع مريب واتفاق مشبوه!!!

ومن صور تشويه الحق والتنفير عنه بعث مقالة قديمة واجه بها المبتدعة الدعوة التجديدية التي قامت في نجد، إذ رموا أهلها بالأجلاف والأعراب وعدوهم أهل دين جديد خرجوا به عن إجماع الأمة.

فتمالأ الرافضة والصوفية والمنافقون على إثارة تلك المقالة عبر امتدنيات ومقابلات، وسجلات ومطارات.

فظهر ما يسمى بالإسلام النجدي يعنون به معتقد أهل السنة والجماعة في باب التوحيد والمعتقد في مغالطة للتاريخ والواقع إذ معتقد أهل السنة والجماعة ممتد إلى كل الأمصار والأقطار في كل الأزمان والأعصار، ولم يكن المعتقد الصحيح مختصاً ببلد دون بلد.

ثم أحقوه بمسائل السلوك والعبادة، فقالوا: تغطية الوجه بدعة نجدية،

وجهلوا أو تجاهلوا النصوص من الكتاب والسنة في ذلك واتفاق العلماء على ذلك خاصة في الأزمان المتأخرة^(١).

ثم قالوا: تحريم الاختلاط بدعة نجدية والأمر ليس كذلك بل هو اتفاق من جميع العلماء في جميع الأعصار والله الحمد^(٢).

فبانت سواتهم وانكشفت عورتهم.. جهل مطبق، وهوى غالب، وفئة أعمتهم حتى أصبحوا يتكلمون بما يجهلون.

وكشف ترويج أهل البدعة لتلك المقالة ما تضره قلوبهم: رداً للحق، وطلباً للزعامة، ورغبة في الرياسة، وحسداً لأهل العلم وحملته.

وهنا لا بد من القول أن السلفية وأهل العلم الحاملين لها تعرضوا لمؤامرة قدرة تورط فيها الظلاميون والمنافقون بالوكالة عن الرافضة والصوفية وهؤلاء جميعاً مستفيدون من إسقاط أهل العلم، سيؤكد لك هذه النتيجة أمران:

الأمر الأول: الحملات المركزة - التي تعبر عن توجه أو تنظيم - قام بها

(١) ينظر:

- رسالة الحجاب، محمد بن عثيمين، ص (٣).
- عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم، (٣/ ١٩).
- الاستيعاب فيما قيل في الحجاب، فريح البهلال، ص (٤٤).
- أسماء القائلين بوجوب ستر الوجه من غير النجديين، سليمان الخراشي، ص (٣).

(٢) ينظر:

- تحريم الاختلاط والرد على من أباحه، عبدالعزيز البداح، ص (٥).
- الاختلاط بين الجنسين في الميزان، خالد السبت، ص (١٤).

الظلاميون والمنافقون ضد أهل العلم في الكتب والصحف والمطارات تلميحاً أو تصريحاً.

الثاني: صور التحالف والتحال بين الظلاميين والمنافقين والرافضة والصوفية التي تراها واضحة في: الزيارات المتبادلة، والبيانات المشتركة، ومداينة كل طرف للآخر.

وهدف هؤلاء الوصول إلى السلطة!! وطريقها: إسقاط السلفية وأهل العلم حتى تكون من غير أصل وعارية عن الغطاء الشرعي، وكشفت عن هذا بدلائله في كتابي: (حركة التغريب في السعودية) و (حركة التشيع في الخليج العربي).

وتحالف الظلاميين والمنافقين والرافضة ضد السلفية وأهلها يدركه كل متابع للواقع، فقد طرح مقدم برنامج (عيشو معنا) على: محمد سعيد طيب تساؤلاً عن تجمع التيار الليبرالي واليساري والإسلامي المستنير ضد الخصم: (التيار السلفي). فحار محمد طيب وراوغ في الإجابة!!^(١)

(١) برنامج (عيشو معنا) على قناة (إل بي سي) يوم الخميس الموافق (١٨ / ٥ / ١٤٣٠ هـ).

خامس عشر

مجالسة أهل البدع والتلقي عنهم

لقد كان السلف يحذرون من الاختلاف إلى أهل البدع ومجالستهم فضلاً عن التلقي والأخذ عنهم.

قال الصابوني (ت: ٤٤٩هـ) في بيان معتقد أهل السنة: (ويتجنبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم...) (١).

وذلك أن البدعة هي المرتبة الثانية في الشر بعد الشرك بالله، وهي أحب إلى الشيطان من الفسوق والمعاصي، لأن ضررها في نفس الدين، وهو ضرر متعدد، وهي ذنب لا يتاب منه، وهي مخالفة لدعوة الرسل، ودعاء إلى خلاف ما جاؤوا به، وهي باب الكفر والشرك، فإذا نال الشيطان من العبد البدعة وجعله من أهلها بقي أيضاً نائبه وداعياً من دعائه (٢).

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١١٣-١١٤).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٧٩٩).

ومخالطة أهل البدع الهلاك كله وهو بمنزلة أكل السم فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء.

وما أكثر هذا الضرب في الناس - لا كثرهم الله - وهم أهل البدع والضلالة، والصادون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداعون إلى خلافها، الذين يصدون عن سبيل الله ييغونها عوجاً، فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً (١).

والمبتدعة ليسوا من أهل العلم الذين يتلقى عنهم، بل هم شر وبلاء يتجافى الموفق عنهم. قال ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ): (أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف ولا يعدون الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم) (٢).

فأهل السنة والجماعة هم أهل العلم الشرعي، ومن سواهم من أهل البدع فأهل الجهل، ولو نسب إلى العلم فهي نسبة صورية لا حقيقية (٣).

والعلم الحقيقي هو علم الوحيين وما تفرع عنهما، وما عداهما فلا أجر في تحصيله ولا نفع من ورائه، قال الأوزاعي (ت: ١٥٧هـ): (العلم ما جاء به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فما كان غير ذلك فليس بعلم) (٤).

والتلقي عن أهل البدع من علامات الساعة وأشراتها، قال ﷺ: «من

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٨٢٣).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢).

(٣) فتح الباري، ابن حجر (١٧/ ٢٣٧).

(٤) السير (٧/ ١٢٠).

أشراط الساعة أن يلتبس العلم عند الأصاغر^(١). قال ابن المبارك (ت: ١٨١ هـ): الأصاغر: أهل البدع^(٢).

وكان السلف يقولون: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها.

ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الخوارج المبتدعين مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم، ونهى عن الخروج على أئمة الظلم وأمر بالصبر عليهم^(٣).

قال ميمون بن مهران (ت: ١١٧ هـ): (لا تصغين بسمعك إلى هوى، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه)^(٤).

وقال يحيى بن أبي كثير (ت: ١٢٩ هـ): (إذا رأيت المبتدع في طريق فخذ في غيره)^(٥).

وكان الحافظ عكرمة بن عمار (ت: ١٥٩ هـ) يقول في مجلسه: (أخرج على رجل يرى القدر إلا قام فخرج عني، فإني لا أحدثه)^(٦).

وقال سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ): (من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف. المجموع (١٣٥/١).

(٢) ذم الكلام وأهله، الهروي (٧٦/٥).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١٨٠/٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥، ٧٧).

(٥) الإبانة (٤٧٤/٢).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٣٨/٧).

خرج من عصمة الله ووكل إلى نفسه^(١).

وقال الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ): (لا يؤخذ العلم عن صاحب بدعة يدعو إلى هواه)^(٢).

وقال عبدالله بن المبارك (ت: ١٨١ هـ): (إياك أن تجلس مع صاحب بدعة)^(٣).

وعن عبدالرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨ هـ): (أنه كان يكره الجلوس إلى ذي هوى أو رأي)^(٤).

وقال الإمام أحمد (ت: ٢٤١ هـ): (إياكم أن تكتبوا عن أحد من أصحاب الأهواء قليلاً كان أو كثيراً عليكم بأصحاب الآثار والسنن)^(٥).

وما انتشرت البدع وفشت الأهواء في الأمة إلا بعد أن أخذ أقوام عن المنحرفين والمبتدعة.

فخالط قوم من المعتزلة المأمون فحسنوا له القول بخلق القرآن فقوي عزمه وامتنح الناس^(٦).

وكان ابن الراوندي (ت: ٢٩٨ هـ) في أول أمره حسن السيرة، ثم لازم الرافضة والملاحدة، فإذا عوتب قال: (إنما أريد أن أعرف أقوالهم ثم آل به الأمر

(١) الإبانة، ابن بطة (٤٦١/٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦٧/٨).

(٣) الإبانة (٤٦٣/٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٣١/١١).

(٦) السير (٢٣٧/١١).

إلى الكفر والإلحاد^(١).

وكان الحنابلة يnehون أبا الوفاء بن عقيل شيخ الحنابلة (ت: ٥١٣هـ) عن مجالسة المعتزلة، ويأبى حتى وقع في حبالهم، وتجسّر على تأويل النصوص^(٢).

قال الحافظ بن رجب (ت: ٧٩٥هـ): (إن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد وابن التبان شيخي المعتزلة، وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة وتأول لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله)^(٣).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): (لم يكن يتردد عليه - يعني ابن عقيل على أبي الوليد - إلا ليحيط علماً بمذهبه، ولكن سرقة الهوى، وصارت فيه نزعة منه...)^(٤).

وكان ابن تومرت لقي بالمشرق أئمة الأشعرية وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم وذهب إلى رأيهم في التأويل، وبعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه، بصر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد^(٥).
وتحوّل أبو بكر عمر بن روح بن علي النهرواني (ت: ٤٠٤هـ) من مذهب

(١) السير (٥٩/١٤).

(٢) السير (٤٤٧/١٩).

(٣) ذيل الطبقات (١/١٤٤).

(٤) البداية والنهاية (١٩/١٦).

(٥) مقدمة ابن خلدون، ص (١٥٦).

السلف إلى الاعتزال لما وقع في يده مصنف في الكلام لبعض المعتزلة فنظر فيه واستصوبه وانتقل عن اعتقاده إلى الاعتزال^(١).

وأسلم ابن مرزبه أبو الحسن الديلمي الفارسي (ت: ٤٢٨هـ) على يد الشريف الرضي الرافضي فكان رافضياً. قال ابن برهان: (انتقلت بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية، كنت مجوسياً فصرت تسب الصحابة في شعرك)^(٢).

ونظر أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) في كتاب أبي طالب المكي وكلام المتصوفة القدماء فاجتذبه ذلك^(٣).

وقدم الحافظ أبوذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي المالكي (ت: ٤٠٠هـ) بغداد فتكرر إلى أبي بكر بن الطيب الباقلاني الأشعري (ت: ٤٠٣هـ) وتمذهب بمذهبه^(٤)، وبثه بمكة وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس وكان علماء المغرب قبل ذلك لا يعرفون علم الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية^(٥).

واستتاب أهل السنة في بغداد أبا الوفاء بن عقيل لمخالطته المبتدعة فكتب كتاباً يعلن فيه توبته من ذلك جاء فيه: (إني أبرأ إلى الله من مذاهب المبتدعة والاعتزال وغيره، ومن صحبة أربابه وتعظيم أصحابه، والترحم على أسلافهم

(١) الأنساب، للسماعي (١/١٧٠).

(٢) السير (٤٧٢/١٧).

(٣) المنتظم، لابن الجوزي (١٧/١٢٦).

(٤) نفح الطيب (٢/٧٠).

(٥) درء التعارض (١/٢٧١). السير (١٧/٥٥٧).

والتكثر بأخلافهم... وأتوب إلى الله من مخالطة المبتدعة والمعتزلة وغيرهم، ومكائرتهم، والترحم عليهم، والتعظيم لهم، فإن ذلك كله حرام ولا يحل لمسلم فعله..^(١).

وكان أبو الحسن علي بن محمد الصليحي (ت: ٤٧٣هـ) القائم باليمن، سنياً ووالده سني عمل قاضياً في اليمن، وكان الداعي الباطني: عامر بن عبدالله الرواحي يلاطفه ويركب إليه، ولم يزل كذلك حتى استمال قلبه، وأطلعه على كتب قديمة، ثم مات عامر، وأوصى له بكتبه وعلومه، ورسخ في الذهن ما رسخ من كلامه، فلم يزل مشتغلاً بتلك العلوم الضلالية الأوهامية حتى صار فقيهاً في مذهب الباطنية الإسماعيلية، وأخذ يدعو للمستنصر العبيدي صاحب مصر في الخفية^(٢).

واشتغل نصير الدين الطوسي (ت: ٦٧٢هـ) على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي المشيع، فنزع فيه عروق كثيرة منه، حتى فسد اعتقاده^(٣).

وكان عبدالله البعلبكي (ت: ٦٨٨هـ) مستقيم الحال في أول أمره، ثم سافر إلى حصون الإسماعيلية واجتمع بجماعة من أكابرهم، فمال إلى مذهبهم، وأصبح يتكلم بكفريات^(٤).

وقرأ الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن أبي القاسم

(١) المنتظم، ١٦/١٤٣.

(٢) مرآة الجنان (٣/٨٠).

(٣) البداية والنهاية (١٧/٥١٥).

(٤) تاريخ الإسلام، حوادث وفيات (٦٨١-٦٩٠). ص (٣٢٩-٣٣٠).

الهمداني (ت: ٧٢١هـ) على أبي صالح الحلبي شيخ الشيعة فدخل في التشيع وظهر له بعد موته كتاب فيه انتصار لليهود وأهل الأديان الفاسدة^(١).

وإذا كان هذا حال السلف في النهي عن الأخذ عن أهل البدع والتلقي عنهم فانظر إلى مقدار المخالفة عند النائية في أزممتنا المتأخرة إذ أصبحوا يختلفون إلى أهل البدع ويأخذون عنهم وبعضهم أصبح ينشئ الأسفار لأجل ذلك.

وبعض من زاغ في أزممتنا المتأخرة إنما زاغ لما أخذ عن أهل البدع وتلقى عنهم فكانوا سبباً في هلاكه.

قال ابن بطة (ت: ٣٨٧هـ): (اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة، واضطربهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين: أحدهما: البحث والتنقيب وكثرة السؤال عما لا يعني ولا يضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنه وتفسد القلوب صحبته^(٢).

فدرس أحدهم على بعض الأشاعرة من الشناقطة المقيمين في المدينة النبوية قال الأمر به إلى أن تمسح وأظهر العداوة للدعوة السلفية.

والعجب أن تأثر به عدد من الأغرار في التمسح والإعراض عن منهج السلف، وإن المرء ليتساءل: هل هؤلاء يفهمون ما يقرؤون أم أن الدافع حب

(١) البداية والنهاية (١٨/٢١١-٢١٢).

(٢) الإبانة (١/٣٩٠).

المخالفة وداعي الشهوة الخفية؟! إذ المذهب الأشعري مضطرب متناقض في بعض أبواب الاعتقاد، ومناقض للعقل في مسائل أخرى مع غموض وتعقيد في غالب المسائل. أفيستبدل هذا بمنهج السلف في وضوحه وسهولته وموافقته للعقل والفطرة!! نعوذ بالله من عمى البصيرة^(١).

وتلقى آخر عن (عبد الفتاح أبو غدة) فصار ينتصر لرؤوس المبتدعة ويقيم بدعة المولد ويدعو إليها.

ودرس داعية الغناء والموسيقى على (عبد الله بن بيه) كما ذكره عن نفسه في كتابه: (مذكرات شاب)^(٢) و(محمد الددو) كما في ذكره في كتابه: (النشيد الإسلامي)^(٣).

وتلقى (سلمان العودة) عن يوسف القرضاوي، وشارك في الملتقى الأول لتلاميذ القرضاوي المنعقد في الدوحة في سنة (١٤٣١ هـ).

وزرع (خالص جلبي)^(٤) في القصيم ثلاثين عاماً فخالطه بعض الأغرار فتأثروا وانحرفوا عن الجادة.

ولا يزال جملة من المبتدعة يجهرون ببدعتهم في الصحف أو في الفضائيات أو مواقع الإنترنت وقد أعطي بعضهم قوة في علوم اللغة أو المنطق أو الأصول

(١) أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع من كتبه إلى وقوع أهل الكلام في التناقض ومخالفة العقل الصريح. ينظر: درء التعارض (١/ ١٥٢-١٥٣).

(٢) ص (١١٢).

(٣) ص (١١).

(٤) ينظر: انحرافات خالص جلبي شيخ العصرانيين في القصيم، ضمن (نظرات شرعية في فكر منحرف)، للخرشي.

فاغتر بهم بعض الطلبة فأصبحوا يجالسونهم ويخالطونهم فتأثروا بهم. والأخطر من هذا أن بعضهم يُدرّس في الجامعات فيمكنه نشر بدعته بطريق أقوى وتأثير أكبر بين الطلبة والأساتذة.

فقد درّس الشيخ (عبد الفتاح أبو غدة) وهو صوفي خلفي^(١) ما يزيد على عشرين عاماً في الجامعة، وكان له أثره وتأثيره: دعوة للبدعة، وتشبثاً لها ولأهلها بأساليب خفية وملتوية.

ولا زال (عبد الله بن بيه) يدرّس في الجامعة وهو صوفي أشعري قرر بعض أشعريته وصوفيته في كتابه: (مشاهد من المقاصد)^(٢).

وينسحب الوصف على الدكتور (محمد ملا خاطر)، و(محمد حسن الددو)، و(محمد عوامه)^(٣)، و(محمد الصابوني)^(٤) وغيرهم.

وهناك عشرات الشواهد لمبتدعة جاؤوا إلى هذه البلاد ونعموا بخيراتها ودرّسوا في جامعتها ثم انقلبوا عليها فأصبحوا حرباً عليها: دعوة ودولة، ولن

(١) كشف الشيخ بكر أبو زيد مذهب عبد الفتاح أبو غدة في ثلاثة من كتبه:

- براءة أهل السنة، ص (٣٤).

- تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء، ص (١١٥).

- عقيدة السلف، ص (١١).

(٢) مشاهد من المقاصد، ص (١١٣-١٢٢).

(٣) انظر: تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، للعلامة بكر أبو زيد، ص (١٧٨).

(٤) انظر: تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، للعلامة بكر أبو زيد، ص (١٧٦).

أطيل عليك بذكر الشواهد ولكنني سأكتفي بمثال واحد، يدل على غيره.

فقد درّس: أحمد عبدالرحيم السايح في جامعة أم القرى لسنوات، ثم عاد لبلده ليؤلف كتباً في مهاجمة هذه البلاد ومنهجها^(١). ويشارك بشكل كبير في برامج قناة العالم الإيرانية تعرضاً لهذه البلاد وإساءة إليها^(٢).

والثالثة: أقام مؤتمراً في القاهرة بعنوان: (خطر الوهابية على الإسلام والعالم) انتهى فيه إلى أنها أخطر على العالم الإسلامي من الكيان الصهيوني!!^(٣)

والمذكور له علاقة مشبوهة بإيران: دفاعاً عن التشيع ومساندة لمشروعه^(٤). وإزاء هذا الغزو البدعي يعجب المرء كيف تفتح الجامعات والقنوات والصحف لهؤلاء المبتدعة!! في حين أنه لا يمكن لأي سلفي أن يخترق حصون المبتدعة وقلاعهم!!^(٥)

وقد يعترض معترض بأن بيان أثر المنحرفين والمبتدعة فيه مبالغة ظاهرة إذ إنهم خاملون ليس لهم نشاط... وهذا الكلام - على أحسن الأحوال - ليس

(١) ينظر مثلاً:

- الرد على فكر التكفير عند الوهابية، أحمد السايح، دار الأشراف الصوفية، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.

- ابن تيمية الذي افترى عليه الوهابيون، أحمد السايح، دار الأشراف، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.

(٢) ينظر مثلاً: برنامج تحت الرماد، السعودية وفتاوى التكفير، قناة العالم، أربع حلقات.

(٣) ينظر: مؤتمر خطر الوهابية على الإسلام والعالم على شبكة الإنترنت.

(٤) ينظر: حوار مع السايح على شبكة اليوتيوب.

(٥) مما يستغرب أن دُعي (عبدالله بن بيه) لإقامة محاضرة في كلية الشريعة بالرياض سنة

١٤٣٢هـ بعنوان: (فقه الواقع والمتوقع).

صادراً عن رصد واقعي!! وإلا فإن البحث يثبت أن من نوافذ الانحراف في هذه السنوات الأخيرة: النشاط الوافد في زرع البدعة وتثبيتها.

فقد كان لعبدالفتاح أبو غدة ومحمد الصابوني وملا خاطر وخالص جليبي وغيرهم تأثير كبير ونشاط قوي على حذر وهدوء مع عدم ظهور وسائل الاتصال والإعلام الحديثة.

وإذا كان تأثير المبتدعة في زمن ظهور السنة وتوافر العلماء في زمن مضى قوياً فكيف بزماننا المتأخر؟

ويقوم عبدالله بن بيه ومحمد الددو وغيرهما: بنشاط قوي من خلال منافذ عدة وقنوات متعددة في زرع البدعة وتثبيتها.

وقد ثبت لي من خلال التتبع والاستقراء أن المبتدعة والمنحرفين من هؤلاء كان لهم أثر وتأثير في زرع المناهج الدعوية الوافدة كمنهج الإخوان المسلمين وزرع المذاهب البدعية كالمذهب الأشعري والصوفي^(١).

فإن قُلْتُ: إن بعض هؤلاء المبتدعة متحفظون لا يظهر منهم شيء إلا نادراً.

قُلْتُ: إن هذه هي جادة أهل البدع في حال ظهور السنة وغلبة أهلها، وقد أشار الشاطبي رحمته الله إلى أن المبتدع يستخفي ببدعته في تلك الحال ويعمل بأعمالها على التقية^(٢).

قال البرهاري (ت: ٣٢٩هـ): (مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون

(١) لدي دراسة حول هذا الموضوع: تتبعاً واستقراءً وتحليلاً... يسر الله إتمامها وإخراجها.

(٢) الاعتصام، (١/ ١٦٧).

رؤوسهم وأبدانهم في التراب ويخرجون أذنانهم فإذا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم يختفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون^(١).

وقد أشار الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب في كتاب له إلى ما كان يتظاهر به أحد الأشاعرة الصوفية من المعتقد الصحيح ويروح به من الباطل والضلال عند خاصته^(٢).

وإنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخفى، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة^(٣).

فإن قلت: ولم تقدم قناة دليل وقرأ وفور شباب وغيرها هؤلاء المبتدعة وتصدرهم؟

فالجواب: أن هؤلاء موقف من علماء السنة ومنهجهم لذا ذهبوا يبحثون عن مرجعية لهم من جهة، ونكاية بعلماء السنة من جهة أخرى.

وما علموا أنهم إنما يضرون أنفسهم، والله عز وجل ضمن حفظ دينه وعلو أهله، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ومن المهم هنا القول أن توقير المبتدع وتصديره وتقديمه مخالفة ظاهرة للشرعية، لأن توقيره تعظيم له... وأيضاً فإن توقير صاحب البدعة مظنة

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٤١).

(٢) مجموع الرسائل والمسائل (٣/ ٢١٩-٢٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٤).

لمفسدين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحداهما: التفات الجهال والعامّة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

والثانية: أنه إذا وُقرّر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرّض له على إنشاء الابتداع في كل شيء.

وعلى كل حال فتحيا البدع، وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه^(١).

وأذكر هنا أن داعية قدّم برنامجاً على قناة المجد الفضائية في رمضان قبل سنوات عن علماء المسلمين خصّص منها حلقة عن حسن البناء وأخرى عن عبدالفتاح أبو غدة بالغ في مدحها والثناء عليهما، مع ما عرف عن الأخير من طعون مبطنة في عقيدة السلف وعلماء السنة وإحياء ذكر رأس الجهمية والبدعة في زماننا (زاهد الكوثري)!!

وعرضت قناة المجد لقاء مطولاً مع الشيخ (الددو) يوم الأحد (١٠/١٢/١٤٣٢هـ)، ومقدم برنامجه على قناة (إقرأ) يعرفه بقوله: سماحة الشيخ العلامة!! كما نقلت إذاعة (نداء الإسلام) في يوم الجمعة (١٤/١/١٤٣٣هـ) محاضرة للددو عن الهجرة النبوية في برنامج (محاضرات) وعرفه المقدم بقوله: سماحة الشيخ!!

(١) الاعتصام (١/ ٢٠١-٢٠٢).

ومما يدل على وجوب التباعد عن المنحرفين قوله صلى الله عليه وسلم: «من سمع منكم بخروج الدجال فليأمن عنه ما استطاع فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فما يزال به حتى يتبعه لما يبعث من الشبهات»^(١).

فهذا قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فلا يحملن أحد منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول: أداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال وكلامهم ألصق من الجرب وأحرق للقلوب من اللهب ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم فجالسهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباشطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم^(٢).

ومن جالس من أهل السنة أهل البدع كان تأثيره أعظم من أهل البدع لأنه يلبس على الناس ويروج للبدعة ويهون من شأن التوحيد ويكون باباً من أبواب الانحراف العقدي والفكري.

قال عبد الله بن عون (ت: ١٥١ هـ): (من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع)^(٣).

ويأسف الموحّد عندما يرى عدداً من الدعاة يزورون الرافضة والصوفية والمنافقين ويجالسونهم ويتخذونهم أصحاباً وأخذاناً، ويداهنونهم تقرباً وتودداً،

(١) أحمد (١٩٨٧٥)، وأبو داود (٤٣١٩).

(٢) الإبانة، ابن بطة (٤٧٠ / ٢).

(٣) الإبانة (٤٧٣ / ٢).

فبعضهم زار الرافضة في القطيف، وآخرون زاروا الصوفية في جدة. واتخاذ أهل البدع أصحاباً من صور الانحراف الذي حذر منه السلف وأبانونا خطورته.

قال بعض السلف: (الرجل وإن كتم رأيه لم يخف ذاك في ابنه ولا صديقه ولا جليسه)^(١).

وقال بعضهم أيضاً: (يتكاثم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة)^(٢).

وقال الأوزاعي (ت: ١٥٧ هـ): (يعرف الرجل في ثلاثة مواطن: بألفته، ويعرف في مجلسه، ويعرف في منطقته)^(٣).

وقدم مبتدع إلى بغداد فذكر إلى الإمام أحمد (ت: ٢٤١ هـ)، فقال: انظروا على من نزل وإلى من يأوي^(٤).

وبعض من يدعي الدين إنما يتعبد بما يحسن في العادة ويشئ عليه به، وما فيه مقاطعة ومجاهدة وهجر في ذات الله ومراغمة لأعدائه فذاك ليس منه على شيء بل ربما ثبّط عنه وقدح في فاعله، وهذا كثير في المتسبين إلى العبادة والمتسبين إلى العلم والدين، والشيطان أحرص شيء على ذلك منهم؛ لأنهم يرونه غالباً ديناً وحسن خلق فلا يتاب منه ولا يستغفر، ولأن غيرهم يقتدي بهم،

(١) الإبانة (٤٧٩ / ٢).

(٢) الإبانة (٤٧٩ / ٢).

(٣) الإبانة (٤٨٠ / ٢).

(٤) الإبانة (٤٨٠ / ٢).

ويسلك سبيلهم فيكونون فتنّةً لغيرهم، ولهذا حذّر الشارع من فتنة من فسد من العلماء والعباد وخافه على أمته^(١).

ومما يذكر في هذا المقام أن (سلمان العودة) أشار إلى العلاقة الحميمة التي تربطه (بجميل الفارسي)^(٢) المعروف بدعوته لبدعة المولد ونشره دعوة له في الصحافة المحلية متضمنة التهئة به وقصيدة في دعاء غير الله تعالى^(٣).

وشارك مع فيصل الكاف الصوفي (ضيوف شرف) في حفل تخريج طلاب ثانوية حمزة بن عبدالمطلب بجدة.

كما يُذكر مقاله الذي نشره على موقعه في رثاء شيخه: (عبدالفتاح أبو غدة) وثناؤه وإطرائه له وانتقاد الموغلين في الخصومة ممن طالبوه بالتوبة عن معتقده وإعلان ذلك، فهل يعني بذلك الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ بكر أبو زيد!!! كما في كتاب: (براءة أهل السنة) وتقريره؟!

وقامت مؤسسة الإسلام اليوم المملوكة (للعودة) بطباعة كتاب: (مشاهد من المقاصد) لابن بيّه الذي يقرر فيه صوفيته وأشعريته!!^(٤).

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، عبداللطيف بن عبدالرحمن (٣/ ٥٤).

(٢) مقابلة مع الدكتور سلمان العودة في صحيفة سبق الإلكترونية نشرت بتاريخ (٣/ ٩/ ٢٠١١م).

(٣) صحيفة عكاظ والوطن، التاريخ (١٢/ ٣/ ١٤٣٢هـ - ١٥/ ٢/ ٢٠١١م).

(٤) قال عن الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم ودعائه: (فلو مُنعت سداً للذريعة لما كان ذلك بعيداً حتى لا يقع العوام الذين يخفى عليهم. أما التكفير فهو أمر فيه صعوبة لقيام هذه الاحتمالات فلا يكفر إلا من اعتقد أن للشخص المستغاث به قدرة مستقلة عن قدرة الله تعالى وإرادة مستقلة عن إرادته). ص (١١٩).

واستضافت قناة (دليل) في شهر شعبان سنة (١٤٣٢هـ) في برنامج لها أحد المبتدعة المعروفين بالدعوة لبدعة المولد النبوي ليتحدث عن سد الذرائع: تقويضاً لهذا الأصل. لينفذ المبتدعة إلى بدعهم والمترخصة إلى رخصهم. وخصصت جزءاً من برنامج (الشاهد) للحديث عن الاحتفال بالمولد النبوي، أخذت فيه رأي الناس، واستضافت (زيد الفضيل) وهو زيدي المذهب للحديث عن ذلك!!

وتحدث أحد الدعاة في قناة المجد في يوم الخميس (١٠/ ١/ ١٤٣٢هـ) عن فضل يوم عاشوراء ليقول: إنه يوم شكر ويوم صبر، فيوم شكر لأنه اليوم الذي نجى فيه موسى وقومه، ويوم صبر لأن اليوم الذي قتل فيه الحسين، وأخذ يسرد قصة مقتل الحسين رضي الله عنه مصحوباً ببكائه وخشوعه. وهل هذا إلا موافقة للرافضة - قبحهم الله - في نياحهم؟!^(١)

ويلقي هذا الداعية دروساً في السيرة النبوية في اجتماع صوفي في جدة احتفالاً بالمولد النبوي.

ولحق المبتدع: (حسن المالكي) بالرافضة فهو يزورهم ويجتمع بهم ويشارك

في قناة الكوثر الرافضية.

(١) قال شيخ الإسلام: (وصار الشيطان بسبب قتل الحسين رضي الله عنه يحدث للناس بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء، من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاء المراثي، وما يفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنهم... وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب، وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرمه الله ورسوله). منهاج السنة (٤/ ٥٥٤).

ولحق (سعد الفقيه) بالكفار وأقام في لندن ووجد الدعم المادي والمعنوي من معمر ليبيا ووجد الدعم المعنوي من الاستخبارات البريطانية وإيران!!^(١) وكتب أحدهم رسالة بعث بها إلى الدكتور (غازي القصيبي) نشرتها صحيفة الجزيرة في تاريخ (٢/ ٧/ ١٤٣١هـ)، ملأها بالمدح والثناء عليه ومما قال فيه: (لو كان في استطاعة وطن التوحيد والسنة ومحبيك من أهله أن يُفادوا صحتك بالمال والمتاع بل بالآلاف المؤلفة من السعوديين فضلاً عن غيرهم - لما تأخرت عن العودة إلينا حتى اليوم...) وهذا الممدوح من رؤوس تغريب المرأة، وله مواقف ومقالات لا يمكن أن يعتذر عنه فيها.

ولا بد من التوكيد هنا إلى أن قناة دليل تحمل توجهها يوجب التنبيه والتحذير أخصه في الآتي:

- أصبحت القناة نافذة لبعض أهل الأهواء والبدع: ترويجاً لبدعتهم، وإزالةً للوحشة منهم.

فقد استضافت: محمد السحيمي، وعبدالرحمن الحبيب، وإبراهيم البليهي، وجمال خاشقي، وابن بيه، والددو، والعرفج وغيرهم.

- أفتى الشيخ الددو في أكثر من برنامج له على القناة بجواز الاحتفال بالمولد النبوي، وتفصيله للقول فيه كتفصيل الشيخ (علوي المالكي) في كتابه:

(١) ذكر عبدالعزيز الشنبري المنشق عن سعد الفقيه في مقابلة معه على قناة العربية بتاريخ (٢١/ ٢/ ١٤٢٧هـ) أن سعد الفقيه يجد الدعم المادي والمعنوي من معمر ليبيا ويجد الدعم المعنوي من الاستخبارات البريطانية وإيران. كما ذكر وزير الخارجية الليبي (عبدالرحمن شلقم) في مقابلة معه على قناة العربية بعد مقتل القذافي أن معمر القذافي كان يساند سعد الفقيه وبينهما تعاون وثيق.

(مجموع فتاوى ورسائل)^(١). فهل تتلمذ على كتبه؟ أم هو توافق!!
وللدكتور (عصام البشير) مشاركات واسعة في القناة، وله خطبة على (اليوتيوب) في مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي يرد فيها على القول ببدعيته!!
كما يحق للمتابع أن يتساءل: ما هدف القناة من تقديم المبتدعة وأهل الأهواء وتصديرهم والترويج لأقوالهم في مجتمع قام منهجه على خلاف ذلك؟؟!!
ويلقى الشيخ (الددو) تصديراً وتقديماً ملفتاً على قناة (دليل) على الرغم من كثرة تخليطاته وتحيطاته ومما سجلته لدي ما يلي:

- خرج الشيخ (الددو) في برنامج بعنوان: (البدعة - فقه العصر) على قناة (إقرأ) وهدف البرنامج: تقويض قواعد أهل السنة في التعامل مع أهل الأهواء والبدع.

وكان الملاحظ على البرنامج ما يلي:

- اجتهد مقدم البرنامج على نحو غريب وحاول قسر الضيف على القول بتقسيم البدعة إلى محمودة ومذمومة!!

- حاكم البرنامج أهل السنة في موقفهم من البدع والمبتدعة، وطرح المقدم أقوال الأئمة (التي وصفها بالغريبة جداً) بحق المبتدعة!!

- حمل الشيخ (الددو) كلام السلف في التحذير من البدعة والمبتدعة على المكفرة منها فحسب!!

- قرر الشيخ (الددو) أن الأصل في التعامل مع المبتدعة الرفق واللين ولا

يلجأ إلى الغلظة إلا إذا رجيت منفعتها.

- أن البدع ليست أشد من المعاصي إلا المكفر منها.

- حكى (الددو) الخلاف في البدع الإضافية، وقرر أنه لا يسع تعظيم

النكير فيها!!

- قرّر أن التحذير من المبتدعة خاص بالرواية والجرح والتعديل، وأنه لا

يوجد كتاب لأحد من أهل العلم في الرد على فلان أو فلان!!!

- قرّر أن التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم من المسائل الخلافية التي

يسع فيها النظر.

والأخطر أنه هوّن كثيراً من البدع تحت دعوى وجود الخلاف فيها!! وهذا

هو مقصود البرنامج كما ظهر لي.

وفي برنامج آخر بعنوان: (أهل السنة والجماعة - فقه العصر) على قناة

(اقرأ) قرّر ما يلي:

- أن حصول الافتراق في الأمة ليس عيباً ولا مذمة، وأن تعداد البغدادى

وابن الجوزي للفرق ليس في محله.

- أن العناية بطباعة حديث الافتراق والتعليق عليه والتشجيع على التفرق

خطأ لا ينبغي.

- دعا إلى تعويد طلبة العلم على عدم احتكار الحق (في تعبير صحفي).

- في سياق الكلام عن البدع جاء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في

التعامل مع أهل المعاصي صلاةً وترحماً عليهم في خلطٍ بين حال أهل البدع

والمعاصي.

- دافع عن المذهب الأشعري، زاعماً أن الأشاعرة لديهم أخطاء فقط وهم

من أهل السنة، وقرر أن المذاهب العقدية كالماتريدية والأشاعرة كالمذاهب

الفقهية، وسوّى بين الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث^(١).

وبدا لي في أول الأمر أن الشيخ (الددو) مضطرب في أحكامه وتقريراته

وليس على جادة واحدة لأنه يريد الجمع بين منهج السلف والخلف فوق في

التناقض إلا أنني بعدما رأيت تسجيلاً مرئياً له مع شيخ الطريقة التيجانية يثني فيها

على الشيخ وعلى الطريقة ثناء بالغاً، ويشيد بانتشارها في أنحاء العالم ويعتبر ذلك

علامة الصدق والقبول^(٢) عرفت أن الرجل على غير هدى، لأنه لا يمكن لأحد

أن يثني على الطريقة التيجانية ويمتدحها إلا أن يكون جاهلاً أو ضالاً.

وإذا كان هذا حال (الددو) فإن (ابن بيه) لا يختلف عنه كثيراً، بل أشد،

ومما وقفت عليه ما يلي:

- تقريره للتصوف وعقائده ودفاعه عنه في مقالة له بعنوان: (التأصيل

الشرعي للتصوف) منشور على موقعه على شبكة الإنترنت.

- تقريره لعقائد الأشاعرة في مقالة له بعنوان: (نظرات في منهج الإمام

الأشعري) منشور على موقعه على شبكة الإنترنت.

- تهجمه على السلفية وسخريته بالمتسبين إليها، كما في مقاله: (التأصيل

الشرعي للتصوف) فقد سباهم: (مدعي السلفية). ويقول في معرض رده عليهم

في منع الاستغاثة بغير الله تعالى: (وهذه هي الطامة الكبرى والكارثة الجلى فهي

(١) حقيقة الأشاعرة والصوفية على شبكة اليوتيوب.

(٢) تسجيل مرئي على اليوتيوب بعنوان: (الددو والصوفية).

من نواقض الإسلام عندهم حتى ولو كانت برسول الله ﷺ، وقد بنوا عليها قاعدة الاستغاثة بغيره تعالى في ما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا فجعلوا الاستغاثة بالأصنام كالاستغاثة بسيد الأنعام مرددين: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] إلى غير ذلك من الآيات التي استشهد بها في غير محلها واستدل بها في غير مدلولها).

- تقريره لعقائد القبورية والمشركون كما في مقالته السابقة وهذا من أظهر انحرافه وأشنعه.

- لابن بيه نشاط في الدعوة للتصوف وعقائده، من أوضحها: أنه جناح (مؤسسة طابة الصوفية) في السعودية. وهذه المؤسسة يرأسها داعية الانحراف: علي الجعفري، ومرجعيتها الشرعية ومجلسها الاستشاري رؤوس البدعة في العالم الإسلامي وهم: (محمد البوطي، علي جمعة، عمر بن حفيظ، نوح القضاة) وابن بيه معهم.

ولهذه المؤسسة جهودها وتأثيرها في نشر التصوف وعقائده، كما أن لها أثراً مشبوهاً في جوانب أخرى تجدها في مقالة الباحث: (أسامة شحادة): (الدور المشبوه لمؤسسة طابة الصوفية) منشورة على شبكة الإنترنت.

والذي يظهر لي أن هناك اتجاهاً داخل المجتمع يسعى إلى تقويض الأصول التي قام عليها المجتمع من خلال الآتي^(١):

١- تصدير المبتدعة وتقديمهم وإضفاء الألقاب عليهم ليغتر به الناشئة،

(١) أشار إلى هذا الاتجاه (أنور الخضري) في كتابه: (ظاهرة التدين الجديد)، ص (٢٨).

وطباعة كتبهم وتوزيعها من جهات محلية، فقد أصدر معهد (مكة المكرمة بجدة) كتباً لكل من: عبدالله بيه، محمد الددو، يوسف القرضاوي...^(١).

كما عمل هذا الاتجاه على نشر اجتهادات وتقرير أولئك، فقام أحدهم بنشر اجتهادات وتقريرات (يوسف القرضاوي) في رسالة مستقلة^(٢).

وخصصت قناة (فور شباب) برنامجاً كل خميس بعنوان: (مفاهيم) للشيخ (الددو).

وألقى أحدهم دروساً في الحج في مكة المكرمة، كان يقول عقب كل مسألة: اختار ذلك سماحة الإمام العلامة يوسف القرضاوي.

وحتى أكون منصفاً، فليس تقديم المبتدعة خاصاً بقناة (دليل) ومثيلاتها، بل هو اتجاه عام، يدل عليه (أنموذجاً) المشاركة الواسعة لـ (زيد الفضيل) - وهو زيدي المذهب - على القناة الثقافية والعربية وروتانا الخليجية وإذاعة (إف إم) في أكثر من برنامج.

وكتب (أحدهم) مقالاً بعنوان: (مسألة المبتدع وهجره) تساءل فيه عما ورد عن بعض العلماء من وجوب مقاطعة المبتدعة وهجرهم وترك مكائهم والسلام عليهم...؟ وأجاب: بأن هذه اجتهادات ليست ملزمة، ولا هي صادرة عن من يجب قبول قوله، وبعضها فيه غلو وإسراف!!^(٣).

٢- التشكيك في المسائل الشرعية التي دلت عليها نصوص الشريعة وسار

(١) قضايا دعوية معاصرة، علي العمري، ص (١٢٧).

(٢) الجديد في فقه الجهاد، علي العمري، ص (٥).

(٣) صحيفة عكاظ، هاني فقيه، العدد (٢٥٢٤)، التاريخ (١٠ / ٥ / ١٤٢٩ هـ).

عليها السلف الصالح وذلك برد قاعدة سد الذرائع وبدعوى الخلاف في تلك المسائل، والأمر جاوز المسائل الشرعية إلى قضايا البدع ومسالك المبتدعة ومرر معك شواهد كثيرة، وسأنقل لك شاهداً آخر حيث يقول أحدهم: (وتحرك الإيمان لا يكون بالهجر والترهيب، والتذرع ببعض أقوال العلماء دون جمهورهم وسد الذرائع على كل شيء، بل بتطبيق السنة الصافية قولاً وعملاً... وندع الناس بعدئذ يجمعون على مجالس الذكر، أو زيارة المدينة، أو ساكنها عليه الصلاة والسلام، أو صلاة القيام، أو الإكثار من الأذكار المشروعة، أو خدمة الأرامل واليتامى والأيتام، أو سماع الرقائق والابتهالات والمدائح النقية)^(١).

سادس عشر ظهور أهل البدع

إذا ظهر أهل البدع وجاهروا بدعوتهم وصاحب ذلك تقرب الحاكم لهم وقربهم منهم انتشر الانحراف في الأمة.

ولما استخلف المأمون (ت: ٢١٨هـ) على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى صفحته، وبرز فجر الكلام، وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين، قد كانت الأمة في عافية منه، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة، وحمل المأمون المسلمون على القول بخلق القرآن، ودعاهم إليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة إلا بالله^(١). فكان المأمون بأساً وبلاءً على الإسلام^(٢).

قال الصلاح الصفدي (ت: ٧٦٤هـ): (حدثني من أثق به أن شيخ الإسلام ابن تيمية - روح الله روحه - كان يقول: ما أظن أن الله يغفل عن المأمون، ولا بد أن يقابله على ما اعتمده من هذه الأمة من إدخال هذه العلوم

(١) تذكرة الحفاظ (١/٣٢٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٢٣٤).

(١) رؤية تطويرية للصحة السعودية، علي العمري، ص (٢٥).

الفلسفية بين أهلها^(١).

ولما قامت دولة العبيدية والقرامطة والشيعة ظهرت المقابرية، قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): أول من دس على المسلمين بدع القبور: العبيدية بمصر والقرامطة والشيعة^(٢).

وأعجب المعتصم (ت: ٢٢٧هـ) بأبي جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي الإسكافي المتكلم (ت: ٢٤٠هـ) فأذناه وأجزل له عطاءه، وكان إذا ناظر، أصغى إليه، وسكت الحاضرون، ثم ينظر المعتصم إليهم، ويقول: من يذهب عن هذا الكلام والبيان! ويقول: يا محمد، اعرض هذا المذهب على الموالي، فمن أبى، فعرفني خبره، لأنكَل به^(٣).

وأذن في خلافة المستنجد بالله العباسي (ت: ٥٦٦هـ) لرجل يقال له أبو جعفر بن سعيد بن المشاط (ت: ٥٥٥هـ) فجلس في الجامع فكان يسأل فيقال له ﴿الَّذِي تَكُنَّ تَكُنَّ﴾ كلام الله؟ فيقول: لا. ويقول في سورة القصص هذا كلام موسى وهذا كلام النملة فأفسد عقائد الناس^(٤).

وإذا كان أهل البدع أمراء ووزراء وقضاة.. عظمت فتنتهم وقبح أثرهم وامتد أثرهم في الناس. وهؤلاء هم أئمة الضلال الذي خافهم النبي صلى الله عليه وسلم على أمته فقال: «أخوف ما أخاف عليكم بعدي الأئمة

(١) لوامع الأنوار (٩/١).

(٢) السير (١٦/١٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٥١/١٠).

(٤) المنتظم (١٧٨/١٨).

المضلين^(١).

فقد كان الحسن بن ضافي بن بزذن التركي (ت: ٥٦٨هـ) من كبار الأمراء وتحكم في الدولة العباسية وتجرد للتعصب في المذهب الرافضي فانتشر بسببه الرفض وتأذى أهل السنة به^(٢).

ولما كان هبة الله ابن صاحب الرافضي (ت: ٥٨٣هـ) أستاذاً لدار الخليفة المستضيئ العباسي وترقى حتى صار يولي وي عزل ماج في أيامه الرفض، وشمخت المبتدعة^(٣).

ولما كان الوزير ابن العلقمي الرافضي (ت: ٦٥٦هـ) وزيراً للخليفة العباسي المستعصم أفشى الرفض في البلاد ونصره^(٤).

ولما تملك بنوعيد بمصر في القرن الرابع الهجري لم يكن أحد يكتفى بأبي بكر، وكانت الدنيا تغلي بهم رفضاً وجهلاً^(٥).

ولما غلا الرفض بالشام في القرن الرابع، وفي مصر والمغرب بالدولة العبيدية، وفي العراق وبعض العجم بالدولة البويهية، اشتد البلاء بأهل السنة دهرًا، وشمخت الغلاة بأنفها، أظهر بعض العلماء التشيع تقيّة لا سجيّة، والناس على دين الملك^(٦).

(١) أخرجه أحمد (٢٧٤٨٥)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢٢٩).

(٢) المنتظم (٢٠١/١٨). البداية والنهاية (٤٦٩/١٦).

(٣) تاريخ الإسلام، وفيات (٥٨١-٥٩٠) ص (١٦٧).

(٤) السير (٣٦٢/٢٣).

(٥) السير (٤٥٣/١٧).

(٦) السير (٥٠٧/١٧).

ولما أظهر أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٣١هـ) مقالة خبطت عقائد الناس وأوجبت الفتن المتصلة وما زال منذ أظهر هذا خائفاً على نفسه لخلافه أهل السنة حتى إنه استجار بدار أبي الحسن التميمي حذراً من القتل، ثم تبع أقوام من السلاطين مذهبه فتعصبوا له وكثر أتباعه حتى تركت الشافعية معتقد الشافعي رضي الله عنه ودانوا بقول الأشعري^(١).

ولما أمر الخليفة الواثق (ت: ٢٣٢هـ) بالمحنة في القرآن ورد كتابه إلى القاضي أبي بكر الأصم قاضي مصر، فأخذ الناس بذلك، فلم يبق فقيه ولا مؤذن ولا معلم إلا أخذ بها، فهوى كثير من الناس، ومُليّت السجون ممن أنكرها، وأمر القاضي أن يكتب على أبواب المساجد: القرآن مخلوق^(٢).

وأهل الأهواء يحرصون على القرب من الولاة والسلاطين حتى يتمكنوا من نشر بدعتهم.

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): (فالمبتدع إذا لم ينتهض لإجابة دعوته بمجرد الإعذار والإنذار الذي يعظ به، حاول الانتهاض بأولي الأمر، ليكون ذلك أخرى بالإجابة)^(٣).

ومن طرائقهم: أن يظهر المبتدع الموافقة لهم في مسألة تخالف الشريعة مما يريدونه، وإن كان لا يؤمن بولايتهم أصلاً، ليتمكن من نشر بدعه وآرائه من جهة أخرى.

(١) المنتظم (٢٩/١٤).

(٢) ترتيب المدارك (١/٤٠٤).

(٣) الاعتصام (١/٢٩٣).

سابع عشر نسخ العلم وذهاب العلماء

العلماء بالله وأمره ومكايد عدوه، وأمراض القلوب وأدويتها، الناصحون لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولخلقه، أعز من الكبريت الأحمر^(١).

ثم العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع^(٢).

وهؤلاء هم الراسخون في العلم، العلم: الذي يطمئن إليه القلب، وتسكن عنده النفس، ويزكو به العقل، وتستنير به البصيرة، وتقوى به الحجة.. وأهل هذا العلم لا تكاد الأعصار تسمح منهم إلا بالواحد بعد الواحد^(٣).

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (وأما اليوم: فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، في أناس قليل، ما أقل منهم من يعمل بذلك القليل)^(٤).

(١) بدائع الفوائد (٢/٨٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/٣٢٣).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٤١٠).

(٤) تذكرة الحفاظ (٣/١٠٣١).

وقال في موضع آخر: (وأما اليوم فقد اتسع الخرق، وقَلَّ تحصيل العلم من أفواه الرجال، بل ومن الكتب غير المغلوطة، وبعض النقلة للمسائل قد لا يحسن أن يتهجى)^(١).

ولذا لا بد أن يُعرف الفرق بين العالم وبين الواعظ أو الداعية أو القاص أو الأكاديمي فالأول له أن يفتي وأن يدرس وأن ينبعث للشأن العام وقد يجب عليه في بعض الأحوال والمواطن.. وأما غيره فليس له أن يرتقي تلك المراتب.

وما حصل الخلل والتخليط إلا لما اشتغل هؤلاء بغير فنهم فجاؤوا بالعجائب من جهة ووقعوا في مزالق من جهة أخرى.

وإذا غاب العلماء الربانيون خرج الأعداء وتكاثر المرتزقة فتصدروا وتقدموا، كما قال علي بن أحمد بن علي الفالي (ت: ٤٩٨ هـ):

تصدّر للتدريس كل مهووس بليد تسمى بالفقيه المدرّس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا بيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها كُلاها وحتى سامها كل مفلس^(٢)

والعلم لا ينفع صاحبه ما لم يكن معه عمل وورع ودين، وإلا فهو وبال على صاحبه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَأَقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءِآيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ

(١) السير (١١/٣٧٧).

(٢) الكامل (٦/١٩٤).

فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴿١٧٦﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

ففي هذه الآية دليل على أنه ليس كل من آتاه الله العلم فقد رفعه به، إنما الرفعة بالعلم درجة فوق مجرد إتيانه^(١).

وبعض الخلق يؤتيهم الله علماً فلا يعملون بعلمهم، أو يحرفون الكلم عن مواضعه فيكونون علماء سوء ودعاة ضلال، أو يعرضون أحكام الشرع في سوق (من يزيد) تقريباً للسلطين فيبيعوا دينهم بثمان بخس دراهم معدودة وهم فيه من الزاهدين.

ولا آفة أضر على العلوم وأهلها من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدرّون أنهم يصلحون^(٢).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم ينزعه انتزاعاً من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(٣).

فالناس إنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماءهم أفتى من ليس بعالم فيؤتى الناس من قبله^(٤).

(١) بدائع الفوائد (٢/٢٥١).

(٢) الأخلاق والسير، لابن حزم، ص (٩١).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٤) كتاب الحوادث والبدع، ص (١٧٤).

وأحد سبل ذلك تقديم الجهال على العلماء وتولية المناصب الشرعية لمن ليس بأهل، فيقولوا بالرأي^(١).

ومن كثرة الجهل وقلة العلم: تقديم الأحداث على غيرهم، كان ذلك التقديم في رتب العلم أو غيره؛ لأن الحدث أبداً أو في غالب الأمر غير لم يتحنك، ولم يرتض في صناعته رياضة تبلغه مبالغ الشيوخ راسخي الأقدام في تلك الصناعة^(٢).

وكما قيل:

شيئان عجيبان هما أبرد من ريح شيخ يتصابى وصبي يتمشيخ

وهؤلاء هم السفلة الرعاع الذي يكون بهم فساد الدنيا والدين، قال التابعي الجليل مكحول (ت: ١١٢هـ): تفقه الرعاع فساد الدنيا، وتفقه السفلة فساد الدين^(٣).

وذهاب العلماء الربانيين هلاك للناس، قال سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ): (علامة الساعة وهلاك الناس: ذهاب علمائهم)^(٤).

وبعد وفاة مفتي الدنيا الشيخ عبدالعزيز بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) استنكرنا أشياء كثيرة حتى تمثلنا قول القائل:

(١) الاعتصام (٢/٤٣٢).

(٢) الاعتصام (٢/٤٦٩-٤٧٠).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/١٥٤).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٩٦).

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرف لما توفي رحمه الله تدافع المنتسبون للعلم على الفتيا وأصبحت حقاً مشاعاً لكل أحد فتفحمها من ليس من أهلها^(١).

ولما توفي ظهرت المبتدعة وتجرات على نشر بدعتها، فكتبت عشرات المقالات في صحيفتي المدينة وعكاظ في الدعوة للاحتفال بالمولد النبوي مثلاً^(٢).

(١) ينظر ما سبق من شواهد على فتاوى تعارض النص والإجماع.

(٢) ينظر مثلاً:

- مقال بعنوان: (المولد النبوي الشريف)، لينة آل معينا، صحيفة المدينة، التاريخ (١٨/٢/٢٠١١م).

- مقال بعنوان: (فضل يوم الاثنين والاحتفاء بالمولد)، عبدالله الشريف، صحيفة المدينة، التاريخ (١٤/٢/٢٠١١م).

- مقال بعنوان: (المولد النبوي)، ملوك الشيخ، صحيفة المدينة، التاريخ (١٥/٢/٢٠١١م).

- مقال بعنوان: (حجة الرسول نبع الحب في حياتنا)، نبيلة محبوب، صحيفة المدينة، التاريخ (٢٧/٢/٢٠١٠م).

- مقال بعنوان: (المولد النبوي وذكرى عطرة)، محمد عبده ياني، صحيفة عكاظ، التاريخ (٢٤/٤/٢٠١٠م).

- مقال بعنوان: (النبي ورحمته بالعالمين)، محمد عبده ياني، صحيفة عكاظ، التاريخ (٩/٣/٢٠٠٩م).

- مقال بعنوان: (قبس من سيرة الرسول)، عبد الله خياط، صحيفة عكاظ، التاريخ (٧/٣/٢٠٠٨م).

ولما توفي قويت حركة الزندقة وتجرات على السخرية بالشعائر،
ومعارضة النصوص، والخط على أهل العلم^(١).

ثامن عشر تتبع الرخص^(١)

فتح الشيطان على المنحرفين الأخذ بالرخص شيئاً فشيئاً حتى تركوا الدين
وانسلخوا منه.

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): من تتبع رخص المذاهب وزلات المجتهدين
فقد رقى دينه^(٢).

والناظر في حال هؤلاء المترخصين يجد أنهم يأخذون من الأقوال الشاذة
والآراء المهجورة ما يوافق الأهواء ويهالي رغبات النفوس.

فهم يتبعون الهوى في المسألة أولاً، ثم يطلبون لها المستند من كلام العلماء
وأقوال الفقهاء.

(١) عن هذا الموضوع ينظر:

- زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء، جاسم الدوسري.

- إرسال الشواظ على من تتبع الشواذ، صالح الشهراني.

- تتبع الرخص بين الشرع والواقع، عبد اللطيف التويجري.

(٢) السير (٨/ ٩٠).

- مقال بعنوان: (الاجتماع لسباع السيرة أمر محب)، محمد عبده يمان، صحيفة عكاظ،
التاريخ (٣١/ ٣/ ٢٠٠٧م)، وعبدالله خياط هذا ليس هو الشيخ عبدالله خياط عضو
هيئة كبار العلماء.

(١) راجع كتابي: (حركة التغريب) ص (٧٠٤-٧١٢) ففيها شواهد كثيرة على ذلك.

وهم في هذا شابهوا الإباحين الذي قال قائلهم:

قامر ولط واشرب جهاراً واحتجج في كل مسألة بقول إمام^(١)
ولذا حذر السلف رحمهم الله غاية التحذير من الأخذ بالرخص وتتبع
زلات العلماء.

قال إبراهيم بن أدهم (ت: ٢٦٠هـ): (من حمل شواذ العلماء حمل شراً
كثيراً)^(٢).

وتتبع الرخص والانتقاء من الأقوال ما يوافق الأهواء لا يجوز بالإجماع،
قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): (لا يجوز للمفتي أن يعمل بما يشاء من الأقوال
والوجوه من غير نظر في الترجيح، ولا يعتد به بل يكتفي في العمل بمجرد كون
ذلك قولاً قاله إمام، أو وجهها ذهب إليه جماعة، فيعمل بما يشاء من الوجوه
والأقوال، حيث رأى القول وفق إرادته وغرضه عمل به، فإرادته وغرضه هو
المعيار وبها الترجيح وهذا حرام باتفاق الأمة)^(٣).

ومن يسلك سبيل الترخص والانتقاء من الأقوال على سبيل التشهي، فقد
اتبع هواه، ولم يجعله وسيلة إلى تقواه، وذلك أبعد له من أن يكون ممثلاً لأمر
الشارع، وأقرب إلى أن يكون ممن اتخذ إلهه هواه، ومن هذا أيضاً جعل بعض
الناس الاختلاف رحمة للتوسع في الأقوال وعدم التحجير على رأي واحد...

(١) الأنساب، للسمعاني (١/٥١).

(٢) ذم الكلام وأهله (٤/١٠٤).

(٣) إعلام الموقعين (٤/٢١١).

وهذا القول خطأ كله وجهل بها وضعت له الشريعة^(١).

وفي اتباع رخص المذاهب من المفاصد: الانسلاخ من الدين بترك اتباع
الدليل إلى اتباع الخلاف، والاستهانة بالدين إذ يصير سيالاً لا ينضبط^(٢).

(ولقد زلّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام
خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم
فضلوا عن سواء السبيل. ومن أمثلة ذلك: رأي قوم اتخذوا الرجال ذريعة
لأهوائهم، أو من رغب إليهم في ذلك، فإذا عرفوا غرض بعض هؤلاء، بحثوا
عن أقوال العلماء في المسألة المسئول عنها حتى يجدوا القول الموافق للسائل
فأفتوا به، زاعمين أن الحجة في ذلك قول من قال: اختلاف العلماء رحمة، ثم ما
زال هذا الشر يستطير في الأتباع وأتباعهم، حتى لقد حكى الخطابي عن بعضهم
أنه يقول: كل مسألة ثبت لأحد العلماء فيها القول بالجواز - شذ عن الجماعة أو
لا - فالمسألة جائزة)^(٣).

والذي يريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء ويتعلق بزلاتهم،
والذي يؤم الحق في نفسه يتبع المشهور من قول جماعتهم وينقلب مع جمهورهم،
فهما آيتان بيتان يُستدل بهما على اتباع الرجل من ابتداعه^(٤).

وتعمل قناة دليل على تقرير هذا الأصل من خلال برنامجها: قصة فتوى،

(١) الموافقات (٤/١٤١-١٤٢).

(٢) الموافقات، للشاطبي (٤/١٤٣).

(٣) الاعتصام (٣/٣١٨-٣٢٧).

(٤) الرد على الجهمية، للدارمي ص (١٢٩).

والأجر والأجران.

ولن أكرر نظرك أيها القارئ بما يعرضونه من قذى وأذى ولكني سأكتفي بمثال واحد إذ خصص برنامج (الأجر والأجران) حلقات عن التشبه بغير المسلمين.. فذكر أحد ضيوف البرنامج أن شيخ الإسلام ابن تيمية نقل الإجماع على تحريم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم، فتازعه ضيف آخر في خلط وتخليط إذ زعم أن هذا الإجماع منقوض بأن الأصل في العادات الإباحة، فأكد مقدم البرنامج أن الإجماع في هذه المسألة قد انتقض بمخالفة هذا الضيف - الذي لم يفهم المسألة أصلاً!! -

وذلك الخلاف الذي جعله المترخص دليلاً قد يكون قولاً ضعيفاً، فيتوَلَد من ذلك القول الضعيف الذي هو من خطأ بعض المجتهدين، وهذا الظن الفاسد الذي هو خطأ بعض الجاهلين: تبديل الدين، وطاعة الشيطان، ومعصية رب العالمين، فإذا انضافت الأقوال الباطلة إلى الظنون الكاذبة، وأعانتها الأهواء الغالبة فلا تسأل عن تبديل الدين بعد ذلك، والخروج عن جملة الشرائع بالكلية^(١).

وفي السنوات الأخيرة بدت مسألة الترخيص في الظهور الإعلامي مع المرأة في لقاءات سمجة أحياناً.

فظهر (سلمان العودة، وعائض القرني، عصام البشير) في أمسية في الكويت - حضرها نساء بعضهن سافرات - يتبادلون الطرائف والمضحكات^(٢).

(١) إغائة اللهفان (٢/ ١٦٦).

(٢) نقلتها قناة (الرسالة) أكثر من مرة، آخرها بتاريخ (٨/ ١٠/ ١٤٣١هـ).

وظهر (سلمان العودة) على قناته: (الإسلام اليوم) وهو يهدي أحد كتبه لمجموعة من الفتيات في محاضرة له في المغرب العربي.

وظهر (وزير) في وزارة دينية وهو متوسط في لقاء بين امرأتين ذات اليمين وذات الشمال.

وظهر (داعية) على قناة (الرسالة) في برنامج: (إن هذا القرآن يهدي للتي أقوم) يفسر القرآن وأمامه رجال ونساء وبعضهن سافرات!!

ويظهر بشكل مستمر شخص يدعى: (علي المالكي) على قناة (إم بي سي) في برنامج يقدمه شاب وفتاة سافرة متبرجة.. وفي إحدى حلقات البرنامج اقترح (المالكي) على الشاب والفتاة أن يتزوجا!! فأكدت المذيعة بأنها زملاء وأصدقاء فدعا لهما الشيخ بالبركة!! وفي حلقة أخرى داعبت المذيعة الشيخ مستنكرة عدم ابتسامته المعهودة!! وفي حلقة ثالثة داعب المذيع المذيعة وعبر عن شوقه إليها بمشاركة (المالكي)!!^(١).

وذكر (المالكي) هذا في مقابلة معه على صحيفة (عكاظ) أنه يشاهد بعض حلقات من المسلسل السوري (باب الحارة) لما يستهويه فيه من قيم وأخلاق!!^(٢).
وخرج آخر على قناة الإخبارية مع مذيعة سافرة.. وآخر على قناة

(١) ينظر البوتيوب:

- علا الفارس تغازل علي المالكي.

- علي المالكي وإشاعة بين علا الفارس وعلي الغفيلي.

- علي المالكي يخطب علا الفارس لعلي الغفيلي على الهواء.

(٢) صحيفة عكاظ، العدد (٣٣٥٠)، التاريخ (٩/ ٩/ ١٤٣١هـ - ١٩/ ٨/ ٢٠١٠م).

(أبو ظبي) وفي مكان اللقاء مجموعة من الفتيات والشباب.. وهكذا في مناظر
مخجلة تأبأها المروءة فضلاً عن الدين والأخلاق.
وخطورة هذا المسلك العملي للترخص: المجاهرة به مما يُجرئ الناس
ويهون المنكر ويغيّر الحكم الشرعي.

الفصل الثاني

آثار الانحراف

على الفرد والمجتمع والأمة

آثار الانحراف على الفرد والمجتمع والأمة

يؤدي الانحراف إلى جملة من الآثار على الفرد والمجتمع والأمة سأعرض لها في هذا الفصل.

ولا بد من التنبيه على أن الانحراف كُـل لا يتجزأ فهو سلسلة متصلة الحلقات وعقد منتظم الحَبَّات فإذا انفرط عقده وانقطعت سلسلته تناثرت حَبَّاته وسقطت حلقاته لتكون الفوضى الفكرية والعقدية، فإذا وجد نوع من الانحراف فلا بد أن يتبعه انحراف آخر يليه ثالث وهكذا.. وهذا يؤكد خطأ القراءة المجتزأة للانحراف: صوراً وآثاراً وسبل معالجة.. فنرفض منه نوعاً ونقبل أنواعاً، أو نقر بآثار نوع ونشكك أو نهون من آثار نوع آخر، أو نحشد الطاقات لمواجهة انحراف ونترك انحرافات أخرى تصول وتجول، إن استقراء التاريخ وقراءة الواقع تؤكد أن كل انحراف يولد انحرافاً آخر وهكذا..

وأضرب أمثلة تقرب المعنى وتوضح الصورة.. انتشار الفكر الإرجائي يؤدي إلى وجود الفكر الخارجي.. وفشو الانحراف الأخلاقي يؤدي إلى الانحراف الفكري.. ووجود التغريب الاجتماعي يلزم منه التغريب السياسي..

وظهور العلمانية والليبرالية يدفع إلى ظهور الطوائف الأخرى كالرافضة والصوفية وهكذا... ولذا ما تراه في هذا الفصل من آثار للانحراف ليست عسفاً أو خروجاً عن دائرة الموضوع، بل هي من آثار الانحراف، لكنها تحتاج إلى نظرة شمولية تستقرئ الواقع وتنظر إليه بشكل عام.

أولاً: آثار الانحراف على الفرد:

الأول: التخبيط والقلق:

أكثر العارفين بالكلام والفلسفة بل وبالتصوف الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول تجدهم فيه حيارى^(١).

قال الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ):

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرا إلا واضعاً كفّ حائر على ذقنٍ أو قارعاً سنّ نادم^(٢)

وقال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ):

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا،
ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن .. ومن جرب مثل تجربتي
عرف مثل معرفتي^(٣).

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/١٥٩). منهاج السنة النبوية (٥/٢٧٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/٢٧١). مجموع الفتاوى (٤/٧٣). الطحاوية (١/٢٤٤).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/١٦٠). مجموع الفتاوى (٤/٧٣). السير (٢١/٥٠١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (وقد حكى لي أن بعض الأذكياء - وكان قد قرأ على شخص هو إمام بلده ومن أفضل أهل زمانه في الكلام والفلسفة، وهو ابن واصل الحموي - أنه قال: اضطجع على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجع عندي شيء^(١)).

وكان ابن أبي الحديد البغدادي (ت: ٦٥٥هـ) وهو من الشيعة المعتزلة المتفلسفة يقول:

فيك يا أغلوطة الفكر حار أمري وانقضى عمري^(٢)

وقال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) عن أبي نصر الفارابي (ت: ٣٣٩هـ): (له تصانيف مشهورة من ابتغى منها الهدى ضلّ وحاد)^(٣).

وبعض هؤلاء أظهر الندم والأسف على ما مضى من عمره في غير ما ينفعه.

قال إمام الحرمين أبو المعالي (ت: ٤٧٨هـ): (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام)^(٤).

وقال أيضاً: (لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٦٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٦١).

(٣) السير (١٥/ ٤١٦).

(٤) السير (١٨/ ٤٧٣).

اشتغلت به)^(١).

والسبب في حيرة أهل الأهواء وقلقهم: التناقض الذي وقعوا فيه لإعراضهم عن الوحي.

ففي كلام أرسطو وكلام أتباعه في الإلهيات من الخطأ الكثير والتقصير العظيم ما هو ظاهر لجميع عقلاء بني آدم، بل في كلامهم من التناقض ما لا يكاد يستقصى. وكذلك أتباع رؤوس المقالات التي ذهب إليها من ذهب من أهل القبلة، ففيها أيضاً من مخالفة العقل الصريح ما لا يعلمه إلا الله^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (ومن تدبر كلام أئمة المعتزلة والشيعة والفلاسفة وجدهم في غاية التناقض)^(٣).

وفي زماننا هذا يعيش المنحرفون قلقاً وتخبطاً أظهره تردد بعضهم على المصحات النفسية. وقد أشار (منصور النقيدان) في مقالة له ما كان يعانيه من شكوك وحيرة^(٤).

وذلك أن الله أمر المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، ولما ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم وبراهينهم لم يزددهم هذا الرد إلا

(١) السير (١٨/ ٤٧٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥٢-١٥٣).

(٣) منهاج السنة (٢/ ٢٣١).

(٤) صحيفة الرياض، مقال بعنوان: (ماذا لو كان ابن تيمية في الإسلام مثل لوتر في المسيحية)، العدد (١١٥٢٣)، التاريخ (١/ ٧/ ١٤٢٦هـ - ٥/ ١/ ٢٠٠٥م).

اختلافاً واضطراباً، وشكاً وارتياباً^(١).

أوصى التابعي الجليل معاوية بن قرة (ت: ١١٣ هـ) ابنه إياساً فقال: (يا بني إياك والنظر في الكلام، فإن الناظر في الكلام كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد بصيرةً ازداد تحيراً)^(٢).

وقال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت: ٤٧٨ هـ): (قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً، ثم خلّيت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغضت في الذي نهى عنه أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطف برّه، فأموت على دين العجائز، ويختتم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني)^(٣).

وقال أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ): (أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام)^(٤).

وقال ابن عقيل (ت: ٥١٣ هـ): (وقد أفضى هذا الكلام بأهله إلى الشكوك)^(٥).

وكان يقع لصدقة بن الحسين بن الحداد (ت: ٥٧٣ هـ) أحياناً حيرة وشك

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤٧).

(٢) أحاديث في ذم الكلام، أبو الفضل المقيري، ص (١٠٢).

(٣) السير (١٨/ ٤٧١). طبقات الشافعية، السبكي (٣/ ٢٦٠).

(٤) المنتظم (١٧/ ٢٤٥). الحموية، ص (٢١١).

(٥) المفهم، القرطبي (٦/ ٦٩١).

يذكرها في أشعاره ويقع له من الكلام والاعتراض ما يقع بسبب شبه المتكلمين والمتفلسفة^(١).

وقال ابن الجوزي (ت: ٥٩٢ هـ): (تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك، وبيعضهم إلى الإلحاد...)^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ): (يغلب على سيف الدين الأمدى الحيرة والوقف، حتى إنه أورد على نفسه سؤالاً في تسلسل العلل، وزعم أنه لا يعرف عنه جواباً، وبني إثبات الصانع على ذلك، فلا يقرر في كتبه إثبات الصانع، ولا حدوث العالم، ولا وحدانية الله، والنبوات، ولا شيئاً من الأصول الكبار)^(٣).

ومن علم أن المتكلمين والمتفلسفة وغيرهم هم في الغالب ﴿لَيْ قَوْلِي مُخْتَلَفٍ﴾^(٤) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكُ [الذاريات: ٩] يعلم الذكي منهم العاقل: أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست بيّنة وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج نخالها حقاً وكلّ كاسر مكسور

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم والشیطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم، وأوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا علوماً وما أعطوا فهوماً، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدةً ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (٢/ ٣١٠).

(٢) تلييس إبليس، ص (٨٠). المنتظم (١٧/ ٢٤٥).

(٣) السير (٢٢/ ٣٦٦).

سَمِعْتُهُمْ وَلَا أَبْصَرْتُهُمْ وَلَا أَفْعَدْتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿[الأحقاف: ٢٦]﴾^(١).

الثاني: النكوص على العقبين^(٢):

من آثار الانحراف الفكري والعقدي.. أن تجد كثيراً من هؤلاء لَمَّا لم يتبين له طريق الهدى نكص على عقبيه، فاشتغل باتباع شهوات بطنه وفرجه أو رياسته وماله ونحو ذلك، لعدم اليقين الذي يطمئن له قلبه، وينشرح له صدره^(٣). وسبب ذلك الجهل بعظمة الله وقدره، وما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال.

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسقى لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله، سبحان الله، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه..» الحديث. أخرجه أبو داود^(٤).

(١) الحموية، ص (٥٥٣).

(٢) سَمَّاهُ بعض الباحثين التحول الفكري، ينظر: التحولات الفكرية، حسن الأسمرى، ص (١١).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٦٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦).

فبين صلى الله عليه وسلم أن السبب في وقوع هذا الانحراف الجهل بعظمة الله وقدره.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينُهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. قال محمد بن كعب (ت: ١٠٨ هـ): لو قدروا الله حق قدره ما كذبوه.

قال الجنيد بن محمد (ت: ٢٤١ هـ): (أقل ما في الكلام سقوط هبة الرب من القلب، والقلب إذا عري من الهبة لله عز وجل عري من الإيمان)^(١).

وقال سهل بن محمد (ت: ٦٤٠ هـ): (أقل ما في الكلام من الخسار سقوط هبة الله من القلب)^(٢).

الثالث: الخيبة والحرمان في الدنيا.

جرت عادة الله التي لا تبدل وسنته التي لا تحول، أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه ما هو يحسب إخلاصه ونيتة ومعاملته لربه، ويلبس المرائي اللابس ثوب زور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به، فالمخلص له المهابة والمحبة، والآخر المقت والبغضاء^(٣).

والمنحرفون لا ينالون خيراً في الدنيا وما حصلوه من المتع أو اللذات أو

(١) ذم الكلام وأهله، للهروي (٤/ ٣٧٤).

(٢) ذم الكلام وأهله، للهروي (٣/ ٢٥٧).

(٣) إعلام الموقعين (٦/ ١٦).

الرياسات فإنها هو متعة زائلة تكون لونا من ألوان العقوبة والعذاب، إذ تكون عاقبة أمرهم خسرأ.

فما حصلوه من المتعة أو اللذة أو الشهرة ينقطع عنهم فجأة فيزداد ألمهم وتتضاعف حسرتهم.

وإن حازوا منصبا ورئاسة صار الأمر إلى العزل أو النفي ثم هم قعدة في بيوتهم لا يملكون أمراً ولا نهياً وإن نالوا شهرة ومكانة وشرفاً انتهى بهم الحال إلى خمول الذكر وضمور الأمر لا يلتفت إليهم ولا يعبأ بهم.

وهكذا في عبر ومواعظ لا يعتبر بها إلا من أراد الله به خيراً ووهبه كمال البصيرة وحسن النظر.

خالف أبو علي الثقفى الخراساني (ت: ٣٢٨هـ) أهل السنة في مسائل، فألزم البيت ولم يخرج منه إلى أن مات وأصابه في ذلك محن^(١).

وقدم أبو طالب المكي (ت: ٣٨٦هـ) بغداد فاجتمع عليه الناس في مجلس الوعظ ولما خلط في كلامه بدعوه وهجروه وامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك^(٢).

وحُصِبَ محمد بن الحسن بن فورك الأشعري المتكلم (ت: ٤٠٦هـ) بالحجارة وأخرج من جامع هراة^(٣).

(١) السير، ٢٨٢/١٥.

(٢) تاريخ بغداد (٤/١٥١). المنتظم (١٤/٣٨٥).

(٣) ذم الكلام وأهله (٤/٤١٩).

وأنكر أهل السنة على محمد بن أحمد بن عبدالله الوليد شيخ المعتزلة (ت: ٤٧٨هـ) تدرسه للمعتزلة، فلزم بيته خمسين سنة إلى أن توفي^(١).

وتفرد سيف الدين الأمدى (ت: ٦٣١هـ) بعلم المعقولات والمنطق والكلام وقصده الطلاب من البلاد، ثم انتقل إلى مصر، وتصدر بالجامع الظافري، فأقرأ الفلسفة والمنطق، واشتهر فضله، وانتشرت فضائله، ثم تصدى له أقوام باتهامه بمذهب الأوائل والتعطيل والانحلال، فخرج مستخفياً، فنزل الشام ودرّس بالعزيرية مدة ثم عزله السلطان فأقام بطالاً خاملاً في بيته حتى مات^(٢).

وفي وقتنا هذا قام أحد المخذولين بكتابة المقالات والصحاح في القنوات مساندة للمستغربين في دعوتهم للفساد والانحراف خاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة، وفي النهاية كافأوه بطرده من الكتابة في إحدى صحفهم، وما يتظره أعظم وأنكى إن لم يبادر بالتوبة والرجوع.

وآخر كتب وظهر وهو يدعو إلى الفساد والانحراف بقوله وفعله ورفع المنحرفون وأجروا معه المقابلات وعقدوا اللقاءات وسموه: فضيلة... ثم عَزَلَ وطُردَ من عمله حتى نالته ألسنة الساخرين وشيئة الشامتين.

وآخر ظن أن المكانة عند الخلق بالوراثة فلما لم يجدها ذهب لبحث عنها عند المنافقين فكتب مقالات وخرج في فضائيات قدّم لهم كل كل ما يريدون لعله

(١) الكامل (٦/٢٩٨). البداية والنهاية (١٦/٩٧).

(٢) السير (٢٢/٣٦٤-٣٦٥). البداية والنهاية (١٧/٢١٤-٢١٥).

أن يظفر منهم بنظرة رحمة أو مسحة إشفاق فلم يجد منهم شيئاً فأنكفاً على نفسه.
وفي هذا المقام أذكر من يطلبون المنزلة عند المنافقين والمكانة عند أهل الدنيا بأنهم يطلبون المستحيل وينشدون المحال.. لأن من طبيعة البشر أنهم يمتقنون الشحاذ الكذاب ويغضون السائل المستكثر.. ولو تصور هؤلاء مقدار الاحتقار في نفوس المنافقين ونظرة الازدراء لهم لارتدعوا.

وكما قيل:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظمًا

الرابع: الذل والهوان.

لقد مضى الأمر على من أعرض عن الحق وأخذ بالباطل أن يلازمه الذل والهوان، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].
قال صلى الله عليه وسلم: «وَجُعِلَ الذَّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»^(١).

وهكذا جرت عادة الله في عبادته، فإنه لا ينال من أراد الدنيا بالدين إلا ويالاً وخسرانا، عاجلاً أم آجلاً^(٢).

قال سفيان بن عيينة (ت: ١٩٨ هـ): (ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، قال: وهو في كتاب الله، قالوا: وأين هي من كتاب الله؟ قال:

(١) أخرجه أحمد (٥١١٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣١)، وعلقه البخاري في صحيحه (٢٩١٤).

(٢) أدب الطلب ومتهى الأرب، للشوكاني، ص (٤٩).

أما سمعتم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٢] قالوا: يا أبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا، اتلوا ما بعدها ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة^(١).

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ): (كل من ابتدع في دين الله فهو ذليل حقير بسبب بدعته، وإن ظهر لبادئ الأمر في عزه وجبروته، فهم في أنفسهم أذلاء، ألا ترى أحوال المبتدعة في زمان التابعين، وفيما بعد ذلك؟ حتى تلبسوا بالسلطين ولاذوا بأهل الأرض، ومن لم يقدر على ذلك استخفى ببدعته، وهرب بها عن مخالطة الجمهور)^(٢).

وإذا نظرت إلى أحوال المنحرفين وجدت أنهم عوقبوا بالذل والهوان، فهذا تسلط عليه حكام العدل وولاة السنة فسجن أو نفي أو عزل أو منيع من التدريس والإفتاء، وآخر تسلط عليه علماء الحق فكشفوا أمره وهتكوا ستره بياناً لضلاله وكشفاً لانحرافه، وآخر رفع الله عنه القبول في الأرض فاستوحشت منه النفوس ونفرت منه القلوب فأصبح يتطلع إلى من يلقي عليه السلام أو يبادلته التحية.

أعرض الحفاظ عن أبي جعفر الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) لبدعته، وأحرقت كتبه نوبات في رجة الجامع، ثم استتر^(٣).

(١) حلية الأولياء (٧/ ٢٨٠).

(٢) الاعتصام (١/ ٢٥١).

(٣) السير (١٨/ ٣٣٥).

الخامس: التلون والتنقل:

من آثار الانحراف العقدي كثرة التنقل والتلون، فلا يكون العبد ملتزماً بجادة الحق والمعتقد الصحيح.

قال حذيفة رضي الله عنه (ت: ٣٦هـ): (إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون)^(١).

وقال إبراهيم النخعي (ت: ٩٦هـ): (كانوا يكرهون التلون)^(٢).

وقال عمر بن العزيز (ت: ٩٩هـ): (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)^(٣).

وقال مالك (ت: ١٧٩هـ): (الداء العضال التنقل في الدين)^(٤).

فتجد أمثال هؤلاء يعيشون دهرًا لا يلوون على شيء، لم يحددوا وجهتهم، ولم يتبين منهجهم، يتنقلون بين المناهج والمذاهب.

سئل أحدهم فقيل له: هل أنت داعية؟ أم مفكر؟ أم معارض؟ أم طالب علم؟ فأطرق برأسه، ثم قال: لا أدري.

وآخر كان يكتب مقالات في مناهضة التغريب والإفساد وكشف وسائله وأساليبه، ثم انقلب فأصبح عوناً له وجندياً من جنوده.

(١) شرح اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (٣/ ٢٣٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٢٥).

(٣) الشريعة، الآجري (٢/ ٢٤٤).

(٤) الإبانة (٢/ ٥٠٦).

وثالث هاجم (غازي القصيبي) في محاضرات له وشّنع عليه في القديم، ثم انقلب في الجديد فأصبح يتودد إليه ويشني عليه وذهب إلى البحرين لزيارته فبقي يومين حتى أذن له.

وكان يهاجم النظام الحاكم في تونس في القديم، ثم زاره قبل سقوطه وأخذ يشني عليه ويغالط الواقع في الحال الجديد.

ورابع خطب خطبة في القديم بعنوان: (رسالة إلى محبي الغناء) حشد الأدلة من الكتاب والسنة والآثار في بيان تحريمه.

وقال في واقعه الجديد في برنامج له على قناة اقرأ بعنوان: (ثورة التجديد): لا يوجد نص في تحريم الغناء!!

ومن كانت هذه حاله فقد وقع في الفتنة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: (إذا أحب أحدكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا، فليُنظر، فإن كان رأى حلالاً كان يراه حراماً، فقد أصابته الفتنة، وإن كان يرى حراماً كان يراه حلالاً، فقد أصابته)^(١).

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (إن من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف)^(٢).

وصنّف آخر من المنحرفين كان قومياً أو بعثياً أو شيعياً يعادي الغرب

(١) أخرجه الحاكم (٨٤٤٣)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢٨).

ويعارض مشروعه ثم تحول إلى تغريبي يوالي الغرب ويساند مشروعه.

وقد قال محمد سعيد طيب في مقابلة معه: (الليبراليون مراوغون، ونفعيون، ومنافقون)^(١).

وإذا كان من صفات المنحرفين: التلون والتقلب، فإن من صفات الأنبياء والمؤمنين: الثبات والرسوخ.

وقد جاء ذكر الثبات والتثبيت في سياق المدح والثناء كثيراً في القرآن: منه من الله، وصفة لأوليائه.

وبعض الخلق يغالط نفسه، ويفسر تلونه وتنقله، واضطراب أمره بأنه تطور وتغيير، وأن ذلك من طبيعة البشر، وأن الثبات والركون والركود على شيء يخالف الطبيعة البشرية.. وهكذا في خلط وتلبس كي يخدع نفسه وغيره.

وهذا التلون والتقلب جعل بعضهم يتصرف تصرفاً غير سائغ ولا مقبول البتة، إذ جمع في مؤتمر سباه (النهضة) - وليس له من اسمه نصيب بل هو التردي والسقوط - مجموعة من الرافضة والنصارى والليبراليين والظلاميين ليلتقوا بمجموعة من الشباب من الجنسين ليدربوهم على كيفية النهوض بمجتمعهم - زعموا -.

وفي رأيي أن هذا المؤتمر كشف عن ثلاث عورات لهم، هي:

الأولى: توارى الولاء والبراء عند هؤلاء بمساندتهم للرافضة والنصارى

(١) مقابلة مع محمد طيب في برنامج: (عيشو معنا) على قناة (إل بي سي) يوم الخميس الموافق (١٨/٥/١٤٣٠هـ).

والليبراليين.

الثاني: ما سبق أن أكدته في أكثر من كتابة من أن هناك مشترك يتفق عليه طوائف الضلال: الموقف من العلماء، السلفية، الكيان القائم.

الثالث: مقدار التخبط عند هؤلاء: مسالمة للأعداء، وإثارة للفتن، وتشكيكاً في أحكام الشرع.

ومن صور التلون والتنقل: المنهج التوفيقي الذي يريد أن يوفق بين الإسلام والرؤية الغربية لجوانب من الحياة، وبين المنهج السلفي ومداهنة أهل البدع وملأينة المنافقين.

وهذا المنهج ليس جديداً في حياة المسلمين لكنه يظهر حسب الظروف السياسية والفكرية لكل مرحلة.. وانظر كيف كتب بعض المنتسبين للدعوة كتباً في دعوى أن الاشتراكية من الإسلام تقريباً لجمال عبدالناصر ومن سار في فلكه.

ووجد المنهج التوفيقي في زماننا بسبب تأثيرات المناهج والفرق والاتجاهات سواء أكانت غربية أم إسلامية.

وحتى تتكشف حقيقة هذا الاتجاه سأضرب خمسة أمثلة لتقيس عليها ما تراه من مواقف وتصريحات وشخصيات.

فالمثال الأول: تراه في الدكتور (أحمد زكي بياني) الذي يزعم تبني الفكرة الإسلامية لكنه يتبنى تغريب المرأة كما تراه واضحاً في كتابه: (الإسلام والمرأة).

والثاني: في الدكتور (محمد بن أحمد الرشيد) الذي أصدر كتاباً بعنوان: (المرأة المسلمة بين إنصاف الدين وفهم المغالين) شنع فيه على الحجاب والفصل

بين الجنسين.

والثالث: في الدكتور (أحمد التويمجري) الذي شارك بمدخله على قناة (دليل) استضافت الدكتور (عبدالله النفيسي) فأخذ يكرر مقالة يكذبها الواقع ويردها التاريخ وهي الفرق بين إيران والمذهب الشيعي... حيث إن المشكلة بزعمه في الأولى لا في الثانية.

والرابع: في الدكتورة (ثرثيا عبيد) التي قالت في مقابلة معها: (كوني مسلمة ومسلمة إيماناً وممارسة يساعدي في تفهم المشكلات في المجتمعات الإسلامية.. أنا أسعى إلى تغيير الصورة النمطية عن المرأة المسلمة..)^(١).

وثرثيا عبيد تخرج في وسائل الإعلام بل في نفس المقابلة سافرة عن وجهها كاشفة عن شعرها ولباسها إلى ركبتيها!!

والخامس: في الدكتور (غازي القصيبي) الذي سعى إلى تغريب المرأة وإفسادها وله مقالات ومواقف في ذلك - سيذكرها التاريخ - يحمل تديناً شخصياً يتمثل في أداء الصلاة وابتهالات شعرية نظمها.

وهكذا في أمثلة كثيرة تجدها متمثلة في كتب وشخصيات وتوجهات تستطيع الحكم عليها إذا عرفت أن في الناس من يجمع بين المتناقضات أو يرفع أكثر من راية، وهي من التلون والتقلب.

(١) مقابلة مع ثريا عبيد في برنامج (لقاء اليوم) على قناة الجزيرة في يوم الأحد الموافق (١٦/٥/٢٠٠٠م).

السادس: الإلحاد.

من آثار الانحراف أن يؤول بصاحبه إلى الإلحاد، فينكر المغيبات، أو يسخر من الدين ويهزأ بشعائره، أو يعلن المروق من الإسلام والارتداد عنه.

قال ابن عقيل (ت: ٥١٣هـ): (وقد أفضى هذا الكلام بكثير من أهله إلى الإلحاد)^(١).

وشاهد هذا حال ذلك الرجل الذي خرج على الأشهاد في مقابلة معه على قناة العربية ليقول إنه اتخذ الإنسانية ديناً وأنه يقف موقف المحايد من الأديان^(٢)، لتعرف كيف يؤول الانحراف بأهله.

وتصفح الشبكة الليبرالية لترى خذلان الله لطائفة تعلن إلحادها: جحداً لوجود الله، أو تشكيكاً فيه، أو استهزاءً بقدره العظيم، أو سخريةً بأنبيائه وملائكته.

وتطاول (حمزة كشغري) على موقع التواصل الاجتماعي (تويتر) على مقام النبي ﷺ، وتعرضت (حصة آل الشيخ) لمقام الألوهية على موقعها أيضاً.

ومسكين خدعه المنافقون ونفخ الشيطان فيه فظن نفسه مفكراً وعبقرياً وفيلسوفاً فأخذ يهرف بمقالات توجب استنابته، منها قوله: (المُسلِّمات تلغي عقول كل الأجيال ولا يمكن استعادة هذه العقول المعطلة إلا بنقد المُسلِّمات).

(١) المفهم (٦/٦٩٣).

(٢) مقابلة مع (منصور النقيدان) على قناة (العربية) في برنامج (إضاءات)، التاريخ (١٥/٩/٢٠٠٤م).

فالنقد هو مفتاح قدرات العقل وهو بوابة الازدهار، فإذا كان نقد المُسلّمات هو شرط التقدم فكيف نتخلى عنه؟ إلا إذا كنا نريد استمرار التخلف ونهوى تحمل كل النتائج الفظيعة التي تترتب على ذلك^(١).

وعشعش الشيطان في رأس شخص يدعى نجيب (بماني) فلمّا لم يجد من يضربه عليه أخرج ما فيه من الباطل إذ اعتبر في مقابلة معه في صحيفة (حوار وتجديد) أن عصر الترهيب بالدين انتهى وأن عذاب القبر وشجاع الأقرع، ونار عدن التي تصل الشام، والرجل القحطاني الذي يسوق الناس بعصاه وبين يديه نهران نوع من الخرافات التي لا معنى لها، وقال إنه لا يوجد جنة نعيم دائمة ولا عذاب أبدي في الآخرة. وأنكر هذا المنحرف في مقالة له بعنوان: (ما قيل في الحوض والصراط)^(٢) الحوض والصراط ورؤية الله في الآخرة.

وكتب مقالاً بعنوان: (هل فرعون مات كافراً؟)^(٣) ادعى فيه إيمان فرعون تكذيباً للقرآن والسنة وإجماع المسلمين^(٤).

وكتب من سمى نفسه (عبد العزيز السويد) مقالاً في صحيفة المدينة بعنوان:

(١) البليهي في حوارات الفكر والثقافة، ص (٢٦٩).

(٢) صحيفة عكاظ، العدد (١٦٣٣٤)، التاريخ (١٤٣٢/٦/١٤هـ).

(٣) صحيفة عكاظ، العدد (٣٤٧٤)، التاريخ (١٤٣٢/١/١٥هـ - ٢٠١٠/١١/٢١م).

(٤) قال شيخ الإسلام: (كفر فرعون، وموته كافراً، وكونه من أهل النار هو مما علم بالاضطرار من دين المسلمين، بل ومن دين اليهود والنصارى،...، ولهذا كان المسلمون متفقين على أن من توقف في كفره، وكونه من أهل النار فإنه يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً، فضلاً عما ينقل عنه من مؤمن). جامع الرسائل (١/٢٠٣ - ٢٠٤).

(المفهوم المدني للألوهية) زعم فيه أن ما جاءت به الرسل من صفات الله الذاتية والفعلية هو محض تخيل أو تخيل، لا حقيقة له، وهذا مذهب الفلاسفة الملحدين. وكتب مسكين آخر يدعى: (حمد الراشد) كتاباً بعنوان: (دفاع عن العلمانية). وعنوانه كاف في الدلالة على مضمونه.

وظهرت مجموعات من الجنسين تسمى نفسها: (عبدة الشيطان) لها اجتماعاتها ومراسيمها الشيطانية.

وفي أثر من آثار الابتعاث النكدة الذي جرى التوسع فيه في السنوات الأخيرة انسلخ طائفة من المبتعثين من دينهم وأعلنوا ارتدادهم عن دينهم ودخلهم في النصرانية^(١).

كما عملت الصحافة على الرفع من شأن الملاحدة بمنحهم ألقاب التشريف والتكريم، فجعلت من عبدالله القصيمي مفكراً وفيلسوفاً وعبقرياً. ولذا أصبحت كتبه متداولة وبدأ اسمه يتشر بين الشباب^(٢).

وقبل ذلك انظر إلى ما سطره قلم العالم المجاهد الغيور على دينه وأمته الشيخ عبدالرحمن الدوسري (ت: ١٣٩٩هـ) في كتاب بعثه إلى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله سنة (١٣٨١هـ) جاء فيه: (ولا يفوتني قبل الختام تذكركم بأن القصيم الذي هو ركيزة التوحيد في نجد أصبح الآن فيه شباب

(١) الابتعاث.. تاريخه وآثاره، عبدالعزيز البداح، ص (٣٧).

(٢) انظر تحقيق بعنوان: (عبدالله القصيمي يعود من جديد)، صحيفة الرياض، التاريخ (١/٦/١٤٢٨هـ).

ينكرون الخالق..^(١).

ويدل على وقوع الإلحاد في ذلك الزمن قول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (ت: ١٣٩٨ هـ): (دعاة الإلحاد الآن يخاف على الشباب منهم أكثر مما يخاف من دعاة الوثنية، فإنهم بثوه بأساليب عديدة في الناس فكان ضررهم أكثر، والصولات والجولات الآن معه أكثر)^(٢).

وقد كانت نوافذ الإلحاد المتاحة في ذلك الزمن: رواج المذاهب الإلحادية كالشيوعية والبعثية والقومية في المجتمع.

وفي زماننا استجدت نوافذ أخرى للإلحاد تمثلت في: غلبة العلمانية وانتشار أفكارها، وابتعاث صغار السن إلى بلاد الكفار، وافتتاح المدارس الأجنبية.

وإني أرى أن زماننا هذا ستظهر فيه موجة الانحراف المتمثل في الإلحاد وإنكار المغيبات والتطاول على الشريعة وادعاء النبوة أو الإلهية أو المهدية... إذ جرى الأمر أنه متى ضعف سلطان الشريعة، وظهر أهل الأهواء، وأطلت البدع برأسها أعلن المنحرفون إنحرافهم وجاهروا بأرائهم، والتاريخ يشهد على ذلك.

(١) الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، محمد موسى ومحمد الحمد، ص (١٠١).

(٢) فتاوى محمد بن إبراهيم (١/ ٣١).

ثانياً: آثار الانحراف على المجتمع والأمة.

الأول: التفرق والاختلاف:

من آثار الانحراف وقوع التفرق والاختلاف في الأمة.

وأما أن البدع مظنة إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام، فلأنها تقتضي التفرق شيعاً.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعاً لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَانْقِبُوا وَأَقِمْوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وذم الله أهل التفرق والاختلاف، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

وفي مثل قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وفي مثل قوله: ﴿ذَلِكَ يَأْنِي أَنْ اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

وجميع هذه الشواهد تدل على وقوع الافتراق والعداوة عند وقوع الابتداع^(١).

وعن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها: «يا عائش **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا**» [الروم: ٣٢] هم أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة^(٢).

ولا يحصل اجتماع الناس إلا باجتماعهم على الدين، فالوحدة في التوحيد، وتفرق الناس في الأديان مؤذن بتفرقهم في الأبدان. ولذا قيل:

تغاير الناس فيما ليس ينفعهم وفرق الناس آراء وأهواء^(٣)

ولا بد من التوكيد هنا على أن المقالات والكتابات الصحفية التي يكتبها بعض أنصاف المتعلمين يشجعون فيها على الخلاف ويشيدون به ويعتبرونه تعددية وحرية وصورة من صور النضج المجتمعي والفكري... مجانباً للصواب وأصحابها إما مغالطون أو ينقصهم إدراك الأمور على حقيقتها أو لهم مآرب في نشر الخلاف في المجتمع، إذ في بداهة العقول أن الناس كلهم وقع الخلاف بينهم زاد تفرقهم وعظم شتاتهم، وهذا ما يؤكد التاريخ ويشهد به الواقع.

وتزداد أهمية التنبيه والتحذير من خطورة الخلاف في مجتمعنا خاصة الذي

(١) الاعتصام (١/٢٠٧).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١/٣٣٨)، رقم ٥٦٠، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح،

غير معلل بن نفي وهو ثقة، المجمع (٦/٣٨٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٧٣).

عاش زماناً على كلمة سواء فكان هذا سبباً في اجتماعه وتماسكه، وإذا زادت هوة الخلاف الذي بدأ منذ سنوات بتشجيع التوجهات وتمكين الانحرافات فإن هذا مؤذن ببلاء وشي وفتنة.

الثاني: سقوط الدول وزوال الممالك:

من آثار الانحراف سقوط الدول وزوال الممالك وشواهد هذا في القديم والحديث كثير.

فالإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سبب لخير الدنيا والآخرة، وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة^(١).

أثر الانحراف في زوال دولة بني أمية:

فالجعد بن درهم - مؤسس مذهب الجهمية - كان مؤدب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وإليه نسب، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة، فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتقم لهم^(٢).

أثر الانحراف في زوال دولة بني العباس:

وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم - يعني الباطنية - فاشتغل بالفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر، وهو مبدأ انحلال الدولة

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/١٧٧).

العباسية^(١).

أثر الانحراف في زوال دولة بني عثمان:

لما هيمنت الفلسفة وعلم الكلام، وانتشرت مظاهر الشرك والبدع والخرافات، وقويت الصوفية، وظهرت القبورية، وازداد نشاط الفرق الباطنية، أدى ذلك إلى ضعف الدولة العثمانية ثم اضمحلها^(٢).

الثالث: تسليط الأعداء:

يسلط الله سبحانه وتعالى الأعداء من الكفار على بلاد الإسلام إذا انتشرت البدع والانحرافات.

فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئاً بعد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة.

فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدون والمبتدعون نصرهم الله على الكفار. وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٧٧).

(٢) الانحرافات العقدية والعلمية، علي الزهراني (١/٢٤٣-٥٩٢) (٢/١١١).

والإلحاد والفجور سلط عليهم الكفار.

وكان من أسباب دخول التتار ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع، حتى إن الرازي صنّف كتاباً في عبادة الكواكب والأصنام وعمل السحر سماه: (السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم) ويقال: إنه صنّفه لأمر السلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه، وكان من أعظم ملوك الأرض، وكان للرازي به اتصال قوي. فلما ظهر بأرض المشرق بسبب مثل هذا الملك ونحوه، ومثل هذا العالم ونحوه ما ظهر من الإلحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار فأبادوا هذا الملك، وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر^(١).

وبالجملة فالشرك والبدعة والهوى والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسوله هو أعظم الفساد في الأرض ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شرعه فلا سمع له ولا طاعة، فالله تعالى أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بتوحيده، ونهى عباده عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله.

ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله.

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٧٨-١٨٢).

ومن تدبر حق تدبر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي حق غيره عموماً وخصوصاً^(١).

الرابع: فساد الزمان وتغير الأحوال:

من آثار الانحراف في الأمة فساد الزمان وتغير الأحوال.

ومن أجلى صور فساد الزمان وتغير الأحوال: تصدر الجهلة، وتطاول الأقسام، ونطق الرويضة في شأن العامة، حتى أضحت الشريعة حمى مستباحاً وحقاً مشاعاً ترتع فيه كل دابة.

وشواهد فساد الزمان وتغير الأحوال أكثر من أن تحصى، إذ أطبقت على الواقع فكتمت الأنفاس، حتى حُقَّ أن يقال:

فيا موتُ زُرْ إن الحياة ذميمة ويا نفسُ جِدِّي إن دهرك هازلُ

فهذا (حمزة السالم) يكتب مقالات عدة في صحيفة (الجزيرة) في إباحة ربا القروض، بل وتخرج مضامين مقالاته في إحدى حلقات مسلسل: (طاش ما طاش) في شهر رمضان لعام (١٤٣٢هـ). و(حمزة السالم) هذا لا يحسن قراءة القرآن لما خرج في مقابلة تلفزيونية معه!!

وجاهل آخر مجهول العين والقدر يدعى (أحمد عطيف) طالع معاني آيات الحجاب في كتب التفسير وانتهى إلى أن يصدر كتاباً بعنوان: (بدعة الإلزام بتغطية الوجه)، من اطلع على الكتاب عرف أن كاتبه وقع في جهل عريض، وتخبط

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٨٥٧).

فاحش، وأتى بعجائب تدل على سخف فهمه وضحالة علمه.

وشاهد ثالث: كثيراً ما يتكلم في مسائل التكفير، وفي مداخلة له مع الشيخ: (عبد القادر شيبه الحمد) على إذاعة (أم بي سي) قرأ الآية الرابعة من سورة (الأحقاف) بلحن فاحش، يتحاشاه الطالب الناشئ.

وشاهد رابع: أفتت (فوزية سلامة) وهي امرأة سافرة متبرجة.. في برنامج (كلام نواعم) على قناة (إم بي سي) بجواز الاختلاط بين الجنسين بحجة وجوده في الحرم المكي الشريف^(١).

وشاهد خامس: قدّمت إذاعة (أ أ إف إم) وهي إذاعة فنية خلال أيام الحج لسنة (١٤٣٢هـ) برنامجاً يومياً بعنوان: (الحج خطوة خطوة) استضافت فيه المذيعة امرأة تدعى: (اعتدال إدريس) تتحدث فيه عن أحكام الحج والعمرة.. وفي كلامها جهل وجرأة واستخفاف!!

وشاهد سادس: ذهب (طارق الحبيب) - وهو طبيب نفسي - في برنامج (في أسبوع) يوم الجمعة الموافق (١١/٢/١٤٣٣هـ) على قناة: (إم بي سي) إلى جواز تهنة الكفار بأعيادهم.

وشاهد سابع: خرج شخص يدعى (العلويط) في برنامج (حديث الخليج) على قناة الحرية يوم الجمعة الموافق (٢٨/٣/١٤٣٣هـ) يتحدث عن بدعة إغلاق المحال أوقات الصلاة تحدث فيها بجهل وخلط وخبط وكان مما قاله هذا المسكين: (إغلاق المحلات عمل فاضل لكنه ليس بمشروع)!!

(١) برنامج (كلام نواعم) على قناة (إم بي سي) يوم الأحد الموافق ١٦/٨/١٤٢٩هـ.

وشواهد أخرى تراها عندما تدخل الإنترنت وترى الجراءة على الفتوى والحديث في الشأن العام لكل من أنشأ له موقعاً وسمى نفسه: فضيلة الشيخ!! هذا زماننا.. تحول إلى زمن الأصاغر والصعاليك والأقزام.

والأعظم في ظل الانحراف أن يفسد الدين، وتطمس معالم الشريعة، وتغير رسومها، إذا تصدر أهل الباطل، وارتفعت ألويتهم.

وإذا كانت زلة العالم الصالح تهدم الدين، وتصد عن الحق، وتزين الباطل للعامة، فكيف بتخليطات عالم السوء والباطل.

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): (حذر السلف الصالح من زلة العالم، وجعلوها من الأمور التي تهدم الدين، فإنه ربما ظهرت فتطير في الناس كل مطار، فيعدونها ديناً، وهي ضد الدين، فتكون الزلة حجة في الدين)^(١).

ومن وجوه فساد الزمان وتغير الأحوال أن يكون الدعاة من أسباب نشر الانحراف في الأمة إما بالدعوة إليه وإما بالتنفير من دعوة الحق.

وأذكر لك في هذا المقام شاهدين:

أما الأول: فقد قدّم الدكتور (محمد العريفي) حلقة عن الأضرحة على قناة (إقرأ) مما أغاظ القبورية الذين اتصلوا بأحد الدعاة المنتسبين للسنّة الذي استنكر على العريفي طرحة لمثل هذه الموضوعات!!

وأما الثاني: فهو قيام أحد دعاة السنّة في لندن بتدريس كتاب التوحيد لشيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) وهذا لم يرق لداعية في بلادنا إذ استنكر

(١) الاعتصام (٣/ ٣٢١).

عليه ذلك الحرص على تعليم تفاصيل العقيدة والتوحيد واستحب له الاقتصار على الأمور العامة في الدين!!

وهذا مبني على دعوة الجمع والتخليط التي يتبنّاها المتأثرون بمنهج الإخوان المسلمين، وصرّح بها أحدهم في برنامج (وجوه إسلامية) على قناة العربية إذ قال: (إنه يرفض تصنيف الأشخاص من خلال آرائهم وأفكارهم معتبراً أن المجتمع بجميع أطباقه يعد إسلامياً!!)^(١).

ومثله: آخر جمع مقالات بينها مقالات لمنحرفين عقدياً وفكرياً بل بعضهم عُرف بتهجمه على الإسلام وأحكامه وجعلها في كتاب سمّاه: (النفائس)!!!^(٢).

وصرّح بهذا المنهج التخليطي في موضع آخر حيث قال عن الواجب في هذا العصر: (السعي للإصلاح والاستخلاف في الأرض، بعقيدة السلفي، وحيوية الحركي، وعقلية الفكري، ومنهجية الخططي، وروحانية التبليغي، ليكون الجميع على نفس واحد...)^(٣).

(١) برنامج (وجوه إسلامية)، قناة العربية، التاريخ (١٦/ ٩/ ١٤٣١هـ).

(٢) النفائس، علي العمري.

(٣) رؤية تطويرية للصحة الإسلامية، علي العمري، ص (١٢).



الفصل الثالث

سبل مواجهة الانحراف



أولاً: الرجوع إلى الكتاب والسنة.

عن علي رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله...». الحديث^(١).

وفي رواية: «أتاني جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد إن أمتك مختلفة بعدك. قال: فقلت: فأين المخرج يا جبريل. فقال: كتاب الله...». الحديث^(٢).

ولذا من أراد النجاة في زمن الفتنة، فليلزم الكتاب والسنة، ولا يغتر بكثرة الهالكين، ولا يستوحش من قلة السالكين، فإن مخالفة الجمهور تحتاج إلى مجاهدة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) متحدثاً عن نفسه: فلما أردت الاستقامة على الطريق، وجدت نفسي غريباً في جمهور أهل الوقت، لكون خططهم قد غلبت عليها العوائد، ودخلت على سنتها الأصلية شوائب من المحدثات الزوائد، ولم يكن ذلك بدعاً في الأزمنة المتقدمة، فكيف في زماننا هذا؟ فقد روي عن السلف الصالح من التنبيه على ذلك كثير، فعن أم الدرداء قالت: دخل أبو الدرداء وهو

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦)، وقال: غريب.

(٢) أخرجه أحمد (٧٠٤).

غضبان، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أنهم يصلون جميعاً^(١).
وعن الحسن قال: لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة^(٢)^(٣).

ثانياً: قيام العلماء بالواجب.

أهل السنة مأمورون بعداوة أهل البدع، والتشريد بهم، والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم^(٤).

وسكوت العلماء عن البدع وتفاضيههم عن المبتدعة شرٌّ عريض وعمل مذموم ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَٰهَ وَإِلَهُهُمْ السُّحَرَاءُ لَيَسَّ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣] أي: بسّ الصنيع صنيع الربانيين والأخبار في تركهم النهي^(٥).

ولا يمكن ظهور البدع والأهواء والعلماء يقومون بالواجب في رد البدع وفضح أهلها والتحذير منهم.

فالقاهرة لما كانت مع العبيدين، وكانوا يظهرون التشيع، لم يتمكنوا من

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠).

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، ص (٧٤).

(٣) الاعتصام (١/ ٢٠-٢٢).

(٤) الاعتصام (١/ ٢١٠).

(٥) جامع البيان للطبري (٩/ ٢٥٦).

ذلك، حتى منعوا من فيها من أهل العلم والدين من إظهار علمهم^(١).
ووصف السلف الصالحون والأئمة السابقون بالشدة على أهل البدع والصرامة معهم وهذا تجده ماثلاً في تراجمهم في كتب الأخبار.
كما كان للعلماء والقضاة مواقف عملية في حماية الأمة من الانحراف.

فلما تولى أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي (ت: ٢٤٠هـ) القضاء فرق حلق أهل البدع، وشرّد أهل الأهواء من الصفورية والإباضية المغيرية، وكانوا فيه حلقاً، يتناظرون فيه، ويظهرون زيفهم، وعزلهم أن يكونوا أئمة، أو معلمين لصبيانهم، أو مؤذنين، وأمرهم ألا يجتمعوا، وأدب جماعة منهم بعد هذا، خالفوا أمره، وأطافهم، وتوب جماعة منهم^(٢).

ونصر شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي (ت: ٤٨١هـ) الدين والسنة من غير مداينة ولا مراقبة لسلطان ولا وزير، وقد قاسى بذلك قصد الحساد في كل وقت، وسعوا في روحه مراراً، وعمدوا إلى هلاكه أطواراً فوقاه الله شرهم، وجعل قصدهم أقوى سبب لارتفاع شأنه. وكان جذعاً في أعين المتكلمين، وسيفاً مسلولاً على المخالفين، وطوداً في السنة لا تزعزعه الرياح^(٣).

ولما شهد شاهدان على باطني بأنه دعاهما إلى مذهبه، أفتى الفقهاء بقتله منهم ابن عقيل الحنبلي، وكان من أشدهم عليه، فقال له الباطني: كيف تقتلوني وأنا أقول لا إله إلا الله؟ قال ابن عقيل: أنا أقتلك، قال الباطني: بأي حجة؟ قال بقول

(١) منهاج السنة (٦/ ١٧٩).

(٢) ترتيب المدارك، القاضي عياض (١/ ٣٤٧).

(٣) تاريخ الإسلام، حوادث (٤٨١هـ-٤٩٠هـ) ص (٥٤).

الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤]. فقتل، وذلك في سنة (٤٩٠هـ)^(١).

وكان الشيخ الزاهد العابد (أبو بكر بن قوام بن علي بن معلى) (ت: ٦٥٨هـ) شديد الإنكار على أهل البدع، لا تأخذه في الله لومة لائم، رجع به خلق كثير من الرافضة في بغداد وصحبوه^(٢).

وسعى الشيخ الحافظ (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي) (ت: ٧٠٨هـ) عند أمير غرناطة ووصف له حال الفازازي وكان ساحراً ادعى النبوة وتبعه خلق فحوكم وحكم عليه الشيخ (أبو جعفر) بالقتل فقتل^(٣).

وفي زماننا كان لعلماء الآخرة جهودهم في نصرة السنة والذب عنها والرد على المخالفين من المبتدعة والمنحرفين دعاة التيارات الهدامة، فكان للإمام محمد بن إبراهيم (ت: ١٣٨٩م) جهوده في مواجهة الصوفية والرافضة والقبورية وحماية البلاد من عاديات الإلحاد والتغريب، ثم الشيخ عبد الرحمن الدوسري (ت: ١٣٩٩هـ) والشيخ عبدالله بن حميد (ت: ١٤٠١هـ) والشيخ عبدالعزيز بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) والشيخ محمد بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) والشيخ بكر أبو زيد (ت: ١٤٢٩هـ) والشيخ عبدالله بن جبرين (ت: ١٤٣٠هـ) والشيخ صالح اللحيدان والشيخ عبدالمحسن العباد والشيخ صالح الفوزان والشيخ عبد الرحمن البراك وغيرهم. تجد مواقفهم مبثوثة في فتاواهم وكتبهم وما تركوه من ثراث علمي عظيم.

(١) المتنظم (١٧/٣٩).

(٢) تاريخ الإسلام، وفيات (٦٥١-٦٦٠) ص (٣٧٦).

(٣) الدرر الكامنة (١/٨٩-٩٠).

ثالثاً: جهود الولاة والسلاطين.

المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي من فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا^(١).

وذكر الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) أن الشريعة وعمل الصحابة والتابعين وخلفاء المسلمين دلّ على أنواع من العقوبات يجب القيام بها في حق أهل البدع والأهواء بحسب حال البدعة في نفسها، من كونها عظيمة المفسدة في الدين أو لا، وكون صاحبها مشتهراً بها أو لا، وداعياً إليها أو لا، ومستظهِراً بها أو لا. ومن تلك العقوبات: الإرشاد والتعليم وإقامة الحجة، والهجران وترك الكلام والسلام، والتغريب والضرب والسجن والقتال والقتل، والتكفير، والتجريح في الجملة فلا تقبل شهادتهم، ولا يكونون ولاية ولا قضاة ولا ينصبون في مناصب العدالة من إمامة أو خطابة، وترك عيادة مرضاهم، وترك شهود جنازتهم^(٢).

وإذا قام الولاة والسلاطين بواجبهم في حماية الشريعة والذود عن العقائد: نشراً للسنة، واتباعاً لسلف الأمة، ومنعاً للبدع، وتأديباً للمبتدعة، كان ذلك من أعظم أسباب حماية الأمة من الانحراف.

ولبعض الولاة والسلاطين في القديم والحديث جهود واضحة في حماية الشريعة والمحافظة على عقائد المسلمين.

(١) السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص (٢١).

(٢) الاعتصام (١/٢٩٨-٣٠٤).

أما في القديم:

فقد [أدب عمر رضي الله عنه (صبيغاً) لما قدم المدينة وأخذ يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت. قال: أنا عبدالله صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى دمي رأسه. فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أحد في رأسي] (١).

وثبت أن علياً رضي الله عنه أحرق غالبية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية (٢).

وكان خالد بن عبدالله القسري (ت: ١٢٦هـ) أمير خراسان شديداً على أهل الأهواء فقتل نفراً منهم، فقتل بيان بن سمعان التميمي (ت: ١٢٠هـ) وهو من غلاة الشيعة القائلين بإلهية علي رضي الله عنه (٣). وقتل المغيرة بن سعد العجلي (ت: ١٢٠هـ) لما ادعى النبوة وغلا في حق علي رضي الله عنه (٤).

وكان الخليفة العباسي محمد بن عبدالله بن محمد الهاشمي الملقب بالمهدي (ت: ١٦٩هـ) قصاباً في الزنادقة، باحثاً عنهم، معادياً لأولي الضلالة حنفاً عنهم، وأفنى منهم خلقاً كثيراً، ولما رفع أهل البدع رؤوسهم، وأخذوا في الجدل، أمر بمنع الناس من الكلام، وأن لا يخاض فيه، وكتب إلى الأمصار يزجر أن يتكلم

(١) أخرجه الدارمي (٥٤/١).

(٢) الفتاوى (٤٧٥/٢٨).

(٣) ميزان الاعتدال (٣٥٧/١).

(٤) ميزان الاعتدال (١٦٠/٤).

أحد من أهل الأهواء في شيء منها (١).

ثم جاء بعده ولده موسى الملقب بالهادي (ت: ١٧٠هـ) فعمل على استئصال الزنادقة وتبعضهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وكان والده المهدي أوصاه بقتل الزنادقة (٢).

ثم جاء بعده أخوه هارون الملقب بالرشيد (ت: ١٩٣هـ) فكان يحب العلماء، ويعظم حرمت الدين، ويكره المراء والجدال في الدين ومعارضة النصوص. ويقول: إنه لخليق أن لا ينتج خيراً.

وبلغه عن بشر المريسي القول بخلق القرآن، فقال: لئن ظفرت به لأضربن عنقه.

ولذا قال الفضيل بن عياض لأحد أصحابه: الناس يكرهون هارون، وما في الأرض أعز علي منه، لو مات لرأيت أموراً عظاماً.

وقال أيضاً: ما من نفس تموت أشد علي موتا من هارون أمير المؤمنين، ولوددت أن الله زاد في عمره من عمري، فكبر ذلك على الناس، فلما مات هارون وظهرت تلك الفتن، وجاء المأمون بعده وحمل الناس على القول بخلق القرآن، قلنا: الشيخ كان أعلم بما تكلم به (٣).

(١) السير (٧/٤٠٠-٤٠٣). البداية والنهاية (١٣/٥٥٣). تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص (٣٧٣).

(٢) السير (٧/٤٤٣). البداية والنهاية (١٣/٥٥٣). تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص (٣٨٢).

(٣) تاريخ بغداد (١٦/١١-١٨). تاريخ الخلفاء، ص (٣٨٨).

وفي سنة (٣١٣هـ) بلغ الخليفة العباسي المقتدر بالله أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براءثا، فينالون من الصحابة، ولا يصلون الجمعة، فأمر بالاحتياط عليهم، واستفتى العلماء في المسجد المذكور، فأفتوا بأنه مسجد ضرار يهدم كما هدم مسجد الضرار، فضرب منهم من قدر عليه الضرب المبرح، ونودي عليهم، وأمر بهدم المسجد وجعل مكانه مقبرة^(١).

واشتهر ببغداد أمر رجل يعرف بابن شنبوذ (ت: ٣٢٨هـ) يقرأ الناس ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف، ويتبع الشواذ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس، فوجه السلطان قبض عليه، واستتيب فأبى أن يتوب، فأشار القضاة والفقهاء بعقوبته بما يضطره للرجوع، فأمر بتجريدته وضربه بالدرة على قفاه، فضرب ضربا شديدا فلم يصبر، واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة فخلي عنه، وأعيدت عليه ثيابه واستتيب، وكتب عليه كتاب بتوبته وأخذ فيه خطه بالتوبة^(٢).

ولما أقرأ المقرئ محمد بن الحسن بن يعقوب البغدادي (ت: ٣٥٤هـ) بحروف تخالف الإجماع، أنكر عليه، ورفع أمر إلى الخليفة، واستتيب بحضرة الفقهاء والقراء وكتب عليه محضر بتوبته^(٣).

ولما عظم شأن الباطنية في القرن الرابع والخامس تتبعهم السلطان السلجوقي (بركيا روق) أمير خراسان (ت: ٤٩٨هـ) وقتل خلقاً منهم ممن تحقّق

(١) المنتظم (٤/١٤). البداية والنهاية (١٨/١٥).

(٢) تاريخ بغداد (٢/١٠٤).

(٣) تاريخ الإسلام، حوادث (٣٥١-٣٨٠هـ) ص (١١٤).

مذهبه ومن اتهم به، فبلغت عدتهم ثمانمائة ونيف^(١).

وفي سنة (٤٤٨هـ) أمر الخليفة بإلزام الروافض بترك الأذان بحي على خير العمل، وأمروا أن ينادي المؤذنون في الصباح بعد الحيعلتين: الصلاة خير من النوم، وأزيل ما كان على أبواب مساجدهم ومشاهدهم وأبوابهم من كتابة: محمد وعلي خير البشر، ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوتها^(٢).

ولما رأى سلطان المغرب (علي بن يوسف بن تاشفين) ملك المرابطين (ت: ٥٣٧هـ) - وكان ورعاً صالحاً معظماً للعلماء - تكاسل الناس عن الحديث والآثار، وقد استحکم في ذهنه أن الكلام بدعة ما عرفها السلف كَتَبَ يتهدد ويأمر بإحراق الفلاسفة، وكَتَبَ يأمر بإحراق كتب أبي حامد الغزالي ويتوعد من كتمها^(٣).

وكان ظهير الدين (أبو بكر منصور ابن العطار الحراني) (ت: ٥٧٥هـ) وزير الخليفة العباسي المستضيء بالله نقمةً وعذاباً على الرافضة^(٤).

ولما دخل السلطان (محمود بن سبكتكين) (ت: ٤٢١هـ)^(٥) الري قتل

(١) المنتظم (١٧/٦٢). مرآة الجنان (٢/٢١٩).

(٢) الكامل (٦/١٩٣). البداية (١٥/٧٣٦).

(٣) السير (٢٠/١٢٤).

(٤) السير (٢١/٨٤).

(٥) قال شيخ الإسلام: (ولما كانت مملكة محمود سبكتكين من أحسن ممالك بني جنسه

كان الإسلام والسنة في مملكته أعز، فإنه غزا المشركين من أهل الهند ونشر من العدل

مالم ينشره مثله، فكانت السنة في أيامه ظاهره والبدع في أيامه مقموعة). مجموع

الفتاوى (٤/٢٢).

الباطنية، ومنع سائر الفرق من الكلام على المنابر، غير أبي حاتم بن حاموش وكان مقدّم أهل السنة بالري، وأمر السلطان من دخل الري من سائر الفرق أن يعرض اعتقاده على أبي حاتم، فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا منعه^(١).

وكان (محمود بن سبكتكين) من خيار الملوك وأعداهم، وكان من أشد الناس قياماً على أهل البدع لا سيما الرافضة، فإنه أمر بلعنتهم ولعنة أمثالهم في بلاده، وكان الحاكم العبيدي بمصر كتب إليه يدعوه، فأحرق كتابه على رأس رسوله، ونصر أهل السنة نصراً معروفاً عنه^(٢).

فإن قلت: ولم كان موقف الولاة والخلفاء من الانحراف والمنحرفين صارماً وقوياً؟ فذاك لأن ظهور الانحراف سبب للفرقة والخلاف، وطريق للفتن والقتال، وسبيل لمنازعة السلطة ومنازلة السلطان، والسياسة والحصافة تقضي بالمحافظة على الدولة مما يقوض أركانها أو يهدم بنيانها، ولا يكون ذلك إلا بالحزم والضبط وفرض السلطنة.

وفي زماننا كان للملك عبدالعزيز آل سعود (ت: ١٣٧٣هـ) جهوده في نشر السنة وقمع البدعة ومواجهة الانحراف، فقد قضى على كل مظاهر الشرك والبدع بهدم الأضرحة والقباب المقامة على القبور في زمانه.

فقد أمر بهدم القباب المبنية على القبور في مكة المكرمة بعد دخولها كالقبة المبنية على قبر خديجة في الحجون، وقبة قبر ميمونة في طريق النورية، وغيرها^(٣).

(١) تاريخ الإسلام، حوادث (٤٨١هـ-٤٩٠هـ) ص (٥٨).

(٢) منهاج السنة (٣/ ٤٢٩-٤٣٠).

(٣) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، محمد الخميس، ص (٦٦-٦٧).

ولما دخل جدة أمر بهدم القبة المنسوبة لحواء، وقبة قبر الشيخ العلوية، القريب من باب مكة، وضريح الشيخ أبو سرير في آخر سوق نداء، وقبر الشيخ أبو حنة، ومقام الشيخ أبو عنبة، وقبر الإمام الشهير المعروف بالمظلوم، كما أمر بإغلاق الزوايا المنسوبة للطرق الصوفية^(١).

كما أنه حرص على هدم القباب المبنية على قبور بعض الصحابة وغيرهم في البقيع في المدينة المنورة، وكذا القبة المبنية على قبر عبدالله بن السمار في نجران. كما أمر بهدم صنم ذي الخلصة في منطقة تبالة قرب بيشة، ونكل بسدنتها وتوعدهم بالقتل إذا عادوا لبنائها^(٢).

وأصدر رحمه الله أمره بمنع سب الصحابة في مناطق الرافضة، كما منع الذكر الجماعي بعد الصلوات^(٣).

وبالجملة فإن الملك عبدالعزيز نشر مذهب السلف ليس في الجزيرة العربية وحدها بل في العالم الإسلامي كله وذلك بطباعة الكتب ونشرها وبعث الدعاة وإرسالها.

ومن الولاة الذين كان لهم جهودهم في مواجهة الانحراف الملك فيصل بن عبدالعزيز (ت: ١٣٩٥هـ) رحمه الله، فقد انتشرت في زمانه المذاهب الفكرية المنحرفة كالقوموية والشيوعية والبعثية... فواجهها رحمه الله في بلاده بقوة وحزم وتمكن على الرغم من قوتها من دحرها وهزيمتها.. وتجاوزت جهوده رحمه الله

(١) أعلام الحجاز، محمد المغربي (٣/ ١٨١-١٨٤).

(٢) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، محمد الخميس، ص (٧١-٧٢).

(٣) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، محمد الخميس، ص (٧٣).

إلى مواجهة تلك المذاهب على مستوى العالم الإسلامي إذ تبنى فكرة الدعوة إلى التضامن الإسلامي ورفع لواء الإسلام والدعوة الإسلامية لمواجهة للقومية العربية.. وأقام في سبيل ذلك المؤتمرات وأنشأ الجامعات وبث الإذاعات وبذل جهوداً عظيمة في سبيل ذلك.

ومن الولاة الذين كان لهم جهودهم في مواجهة الانحراف الملك فهد بن عبدالعزيز (ت: ١٤٢٦هـ) رحمه الله فقد كان لحزمه وقوته أثر واضح في قمع البدعة وواد الانحراف ولم يكن أحد في زمانه يجراً على إظهار المخالفة والإعلان بالبدعة. كما كانت له جهوده العظيمة في الدعوة إلى مذهب السلف الصالح في العالم الإسلامي.

رابعاً: ضبط الفتوى ومنع المتلاعبين بها.

ينبغي للإمام المسلمين أن يتصفح أحوال المفتين، فمن كان يصلح للفتوى أقره عليها، ومن لم يكن من أهلها منعه منها وتقدم إليه بأن لا يتعرض لها وأوعده بالعقوبة إن لم ينته عنها، وقد كان الخلفاء من بني أمية ينصبون للفتوى بمكة في أيام الموسم قوماً يعينونهم، ويأمرون بأن لا يستفتى غيرهم.

والطريق للإمام إلى معرفة حال من يريد نصبه للفتوى أن يسأل عنه أهل العلم في وقته، والمشهورين من فقهاء عصره، ويعول على ما يخبرونه من أمره^(١).

قال ربيعة بن عبد الرحمن (ت: ١٣٦هـ) شيخ الإمام مالك: ولبعض من

(١) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي (٢/ ٣٢٤).

يفتي هاهنا أحق بالسجن من السراق^(١).

وفي زماننا: كان العلماء يمنعون من ليس من أهل الفتوى من التصدر لها، ويذكر في هذا المقام ساحة الشيخ محمد بن إبراهيم (ت: ١٣٨٩هـ) الذي كان يمنع المتطاولين ويؤدب المتجاوزين، جاء في كتاب له لأحد المتصدرين للفتيا ممن ليس من أهلها: (الداعي إلى الكتابة لكم أنه تكرر منكم تدخلكم فيما أنتم في غنى عنه فضلاً عما فيه من التنافي مع ما يقتضيه التقى والورع من وجوب استبراء العبد لدينه وعرضه، وذلك رأيكم في التصديق للعامة بإفتائهم في مسائل الطلاق بما هو عليه خلاف ما عليه الفتوى وما اشتهر القول به لدى جمهور العلماء، ومرجوحيته ظاهرة لدى المحققين من أهل العلم).

فنأمل منك بارك الله فيك الكف عن إرباك العامة بفتاوى شاذة أو مرجوحة، ومتى تقدم إليك من يطلب الفتوى فعليك بالإشارة لهم إلى الجهة المختصة بالفتاوى، ونرجو أن يكون لديك من أسباب احترامك لنفسك ما يغنينا عن إجراء ما يوقفك عند حدك^(٢).

ولما أعلن (عادل الكلباني) جواز الغناء رد عليه وأبطل قوله ساحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ صالح الفوزان.

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٢٨٧).

(٢) فتاوى محمد بن إبراهيم (١١/ ٣٦).

خامساً: المحافظة على مراسم العلم الشرعي.

من سبل مواجهة الانحراف المحافظة على مراسم العلم الشرعي، والمحافظة على مراسم العلم الشرعي تكون بالمحافظة على معاهده ومدارسه ومناهجه حتى يكون صافياً لا يكدره الدخلاء ونقياً لا يعكره الأدعياء.

وعندما نتحدث عن القيام بالفضائل ورعاية الواجب وتحمل المسؤولية فإننا سنجد شواهد حاضرة في شخصية الإمام محمد بن إبراهيم (ت: ١٣٨٩هـ) الذي حافظ على مراسم العلم الشرعي في زمانه حتى امتدت بركته إلى زماننا.

حافظ الشيخ محمد بن إبراهيم على مراسم العلم الشرعي لما تصدى للتدريس في مسجده وفق منهجية محددة تخرج على يديه علماء أجلاء، أسندت إلى بعضهم مسؤوليات الجهات الدينية: الإفتاء، الجامعة الإسلامية، القضاء، تعليم البنات، الهيئات وكانت سيرتهم محمودة وطريقتهم مرضية رحم الله الأموات ومتّع بالأحياء متاعاً حسناً.

حافظ الشيخ محمد بن إبراهيم على مراسم العلم الشرعي لما افتتح المعاهد والجامعات وأسند مسئوليتها إلى الأكفاء والأمناء من تلاميذه.

ولما أثار المغرضون في وقته زوبعة عن المعاهد العلمية فطالبوا بضمها إلى وزارة المعارف كان لهذا الإمام موقف حازم في وأد هذه الزوبعة والمحافظة على هذه المعاهد.

وعلى الرغم من انتشار المذاهب المنحرفة والتيارات الإلحادية وضعف الدين في زمانه إلا أنه رحمه الله رحمة واسعة استطاع أن يجاوز بتوفيق الله وفضله

مراسم العلم الشرعي إلى بر الأمان وأن يحافظ عليه من الامتهان.

ولذا فاخترق مراسم العلم الشرعي ومناهجه ومعاهده بوابة الانحراف ونافذة لزلزلة الأمن الفكري والعقدي في المجتمع. ويكون ذلك بأن يقوم على المعاهد والجامعات من غير الأمناء والأكفاء فيسيروا بها سيرة غير مرضية فتفقد هيبتها وتضعف مكانتها وتصبح خاوية من المعاني وإن كانت عظيمة المباني!!

ويكون ذلك بمزاحمة علوم الطب والهندسة وغيرها لعلوم الشريعة بإنشاء كليات لها في الجامعات الشرعية فيكون الاهتمام بها ويقابله ضعف كليات الشريعة شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى ما وصلت إليه في دول سبقت إلى مثل هذا العمل.

لقد دَرَسْتُ في الأزهر ما يقرب من عشر سنوات فعاشت ورأيت تأثير مزاحمة علوم الطب والهندسة لعلوم الشريعة، إذ أضحت كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية ضعيفة في مبانيها ومخرجاتها وطلابها وأساتذتها.

وحذّر الشيخ العلامة (عبد المحسن بن حمد العباد البدر) من إنشاء كليات دنيوية تزاخم الكليات الشرعية في الجامعة الإسلامية مما يؤدي إلى إضعافها، في بيان له بعنوان: (من ذكرياتي عن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بعد مرور نصف قرن على إنشائها)..

كما نشرت الصحافة المحلية بتاريخ (٧/٧/١٤٢٩هـ) مقالاً لمعالي الشيخ (صالح بن فوزان الفوزان) بعنوان: (لماذا يفتح في الجامعات الإسلامية كليات مدنية، ولا يفتح في الجامعات المدنية كليات شرعية) استنكر فيه إنشاء كليات للطب والهندسة في الجامعات الشرعية.

وإني أناشد الغيورين على علوم الشريعة وأطالِب حراس الأمن الفكري أن يبادروا إلى إيقاف هذه الخطوة غير السديدة حمايةً لبناء العلم الشرعي أن يقوّض وسيواجه أن يهدم، فتنفذ حينئذ الأفكار والتيارات والمذاهب المنحرفة.

ويكون اختراق مراسم العلم الشرعي بإضعاف مناهجه ومواده بأن تصبح أوراقاً ومذكرات يحفظها الطالب ثم يرمي بها عند قاعة الامتحان.. ويتعد عن الكتاب التأصيلي والمنهجي فيجهل لغة العلم وطريقة العلماء ويستوحش من القراءة فيها.

أو تقرر عليه مواد الكيمياء والفيزياء... وتخفّض أنصبة العلوم الشرعية أو يستبعد بعضها!! ولعلك تتساءل ما حاجة القاضي الشرعي أو مدرس العلوم الشرعية إلى دراسة الكيمياء والفيزياء!!؟

أو يُتبع طلابها لدراسة علوم الشريعة واللغة العربية في جامعات الغرب ومعاهده!!

إن الأمن الفكري لا يمكن أن يتحقق إلا إذا جرى المحافظة على مراسم العلم الشرعي ومعاهده ومناهجه^(١).

فإن قلت: وهل للمحافظة على مراسم العلم الشرعي ومعاهده ومناهجه علاقة ببلجم الانحراف الفكري والعقدي؟

(١) كتبت عدة مقالات حول تراجع الجامعات والمعاهد الشرعية علمياً ودعواً وإدارياً، منشورة على الشبكة العالمية منها:

- مقال بعنوان: (الآثار السيئة لخلع باب الجامعة الإسلامية بالمدينة في عهدها الجديد)، للشيخ العلامة عبدالمحسن العباد البدر.

فأقول: إن من أعظم أسباب تحقيق الأمن الفكري والعقدي حفظ مراسم العلم الشرعي ومعاهده ومناهجه.

وهل هذا الكلام مرسل من غير حجة، ومطلق من غير برهان؟ كلا بل دلّ عليه واقع العالم الإسلامي، لما أسندت الجهات الشرعية ومعاهدها وجامعاتها إلى غير الأكفاء في تلك البلاد.. زهد الناس فيها وأعرضوا عنها وذهبوا يبحثون عن مرجعيات يثقون بها ويرونها أهلاً فانتشرت المذاهب وفشت التيارات وغلبت التوجهات..

وإذا انتقضت عرى التعليم الشرعي وأضعفت جامعاته ومعاهده تحت دعاوى التطوير أو التحديث... فسيرى الناس بعد زمن لن يكون بعيداً كيف ستكون تلك الجامعات والمعاهد مسرحاً للأفكار والتوجهات المنحرفة.

الخاتمة

النتائج:

- ١- يعظم الانحراف، وتنتشر البدعة، وينتشي المبتدعة، إذا سكّت علماء السنة عن بيان الحق ورد الباطل وتحذير المجتمع منه.
- ٢- إذا ضعف سلطان الشريعة سيظهر الإلحاد والجهل به وسيكون في الأمة من يدعي الألوهية أو النبوة أو المهديّة أو دعوة مخلطة لا عنوان لها.
- ٣- من أعظم أسباب الضلال الإعراض عن الوحي والتولّي عن سبيل المؤمنين.
- ٤- ضلّ من ضلّ في القديم والحديث بسبب الأخذ عن الفلاسفة والاطلاع على كتبهم.
- ٥- إحياء تراث الفلاسفة: درساً وقراءة.. دعوة ضالة تستهدف التشكيك في العقيدة وصرف الناس عن الوحي.
- ٦- نأى السلف الصالح بأنفسهم عن الفتن وتباعدها عن أهلها ومواطنها طلباً للسلامة.
- ٧- من أسباب الانحراف: ترك الصبر المأمور به عند فشو المنكر أو حصول

الاستئثار بالمال.

٨- عرّض أناس أنفسهم للفتنة بالعزل أو الحبس فلم يصبروا فارتدوا على أدبارهم ونكسوا على أعقابهم، ففيهم عبرة بأن السلامة لا يعد لها شيء.

٩- يُفتن الصغار في الغالب إذا تصدوا للتدريس أو الفتيا أو الكلام في الشأن العام.

١٠- ضَعُفَ اليقين عند أقوام فانبهروا بالجديد من الكتب أو الشخصيات أو الأحوال عند السفر والترحال فاستنكروا ما كانوا عليه من العقائد القويمية والسلوك والأحوال السقيمة.

١١- ظهر لي أن هناك توجهاً قوياً يسعى إلى تقويض الأصول التي قامت عليها الدعوة السلفية: تصديراً للمبتدعة، وتهويناً من شأن البدع، وتنقصاً من علماء أهل السنة، مستخدمين دعوى وجود الخلاف، والحرص على جمع كلمة المسلمين.

١٢- لا تغتر بما عليه المبتدعة والمنحرفون من الذكاء أو البلاغة أو التنسك والزهادة فإن رؤوس المبتدعة في القديم كانوا كذلك.

١٣- صارت الأمور في عصرنا أشد تعقيداً، وأكثر التباساً.. فكثرت الرايات وتعددت الشعارات، فانخدع بها المغفلون، وانطلت على السذج، وسار خلفها الدهماء فأوردتهم المهالك ومواطن الفتنة فجنوا على أنفسهم وعلى أديانهم أعظم جناية.

١٤- تكتل مجموعة المتكسبين وسموا أنفسهم بالتنويرين وهم في الحقيقة ظلاميون، وهؤلاء يدورون حول قضايا معينة: دعوة والتزاماً، هي: التحامل على العلماء بوصفهم تقليديين جامدين، البراءة من التيار السلفي،

الحديث عن قضايا المرأة بضعف وانهازامية، ملاينة أهل البدع، الانفتاح على المنافقين، رفع شعارات: (الحرية، احترام الرأي الآخر، الحوار...). وهؤلاء الظلاميون امتداد لمدرسة الإخوان في جوانب كثيرة تجدها واضحة في كتاباتهم ومقالاتهم ومقابلاتهم.

١٥- ظهرت مصطلحات: التعددية، الوصاية، النهضة، الحرية، الإصلاح الديني... وروج لها المنافقون والمبتدعة لأنها تمكنهم من الدعوة لانحرافهم وتحميهم من الاحتساب والانكار... وانجرف في الدعوة لهذه المصطلحات بعض المنتسبين للدعوة جهلاً أو عمداً، فالجاهل لا يدرك حقيقته ومضمونه وآثاره، والعامد يرى فيه نافذة لنشر فكره الجديد الذي يبشّره.

١٦- من صفات طالب العلم المحافظة على الفرائض والتزام العبادة والإقبال على التعبد.. وضعف التعبد علامة سوء وبوابة انحراف وسبيل للخذلان.. وعرف المنحرفون في القديم والحديث بالتساهل في الفرائض وهجر المساجد وتعطيل الجماعات.

١٧- من أسباب الانحراف: فساد النية وسوء القصد، وعلامته: طلب العلم للرياسة والمنصب وقصد العلو في الأرض. وغياب السمات والهدي الصالح وأخلاق النبوة عن أهله.

١٨- يكثر القراء في آخر الزمان لا كثرتهم الله فتعظم فتنتهم: دعوة للباطل، وتلبساً للحق، ومناصرة لأهل الباطل، ونكاية بأهل العلم.

١٩- طالب العلم يكون متواضعاً متطامناً، مخبتاً وجلاً، يبذل علمه وينشر دعوته، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، صاحب عبادة وتأهله، ينفع

الناس ويحب الخير لهم، سليم الصدر مخموم القلب، ورعاً متعافياً.

٢٠- من طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والخيلاء، تحامق، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العجب، ومقتته الأنفس.

٢١- كان السلف يتحرون السلامة وينشدون النجاة ويقفون عند حدود ما علموا، ولم يكن أحدهم يجد غضاضة في قول: لا أعلم، ولا أدري. وتَصَدَّرُ الفتيا والمسارة إليها من صور طلب الشرف في الدنيا ولهذا كره السلف الصالح الجراءة على الفتيا والحرص عليها، والمسارة إليها، والإكثار منها.

٢٢- المتسابقون إلى الفتوى والمسارعون إليها محرمون التوفيق، ولذا صدرت من بعضهم فتاوى تخالف النصوص الصريحة أو الإجماع.

٢٣- من أسباب وقوع بعض المفتين في الغلط دعوى أنهم مجتهدون وأن لهم النظر في الأدلة وال ترجيح بينها ولذا وقعوا في مخالفة المتقدمين. وقلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين إلا ممن أدخل نفسه في أهل الاجتهاد غلطاً أو مغالطة.

٢٤- تقوم الفتوى عند بعض المتصدرين لها على تقديم الاستحسان أو المصلحة المتوهمة أو مسaire الواقع على النص الشرعي. وهؤلاء امتداد للمدرسة المصرية (مدرسة العقل أو الرأي) التي تجد معالمها واضحة في كتب وفتاوى محمد الغزالي ويوسف القرضاوي.

٢٥- من أسباب الانحراف تَطَلُّبُ الرياسات والبحث عن المكانة والعلو في الأرض. وذلك أن الرياسات إن لم تحصل بقي القلب منشغلاً بها، فيندفع صاحبها إلى التملق والتزلف طلباً لها، وربما باع دينه لأجلها، فإن لم

يتحصل عليها مات كمداً وقضى غيظاً وحنقاً، وإن حصل عليها -بعد تطلب واستشراف- لم يعن عليها ووكّل إلى نفسه فكانت سيرته فيها غير مرضية.

٢٦- يشهد التاريخ أن المتعلقين بالرياسات تتغير عليهم الأحوال وتقلب بهم الأيام وتنزل بهم الدوائر خاصة إذا كانوا غير محمودي السيرة.. معهم ظلم وسوء وفساد.

٢٧- يدعي بعض طلاب العلم معرفة الله وطلبه والإعراض عما سواه، وليس غرضهم بذلك إلا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم وإحسان ظنهم بهم وكثرة أتباعهم، والتعاطف بذلك على الناس.. فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد.

٢٨- يشرع للعالم الدخول على السلطان أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر أو واعظاً ومذكراً إن كان قادراً على ذلك مع أمن الفتنة. أما الدخول لغير هذا المقصد فلم يكن من منهج السلف ولا عملهم. بل عظم تحذيرهم واشتد نكيرهم على من فعل ذلك.

٢٩- من علامات أهل البدعة والفرقة والنفاق أنهم يصنفون لأهل المال من الملوك والوزراء وغير ذلك، ويتقربون إليهم بالتصنيف فيما يوافقهم.

٣٠- من المراء المنهي عنه ما يجري في المنتديات والمطارحات من مناقشات للتغلب على الخصم وإظهار الحجة من غير قصد الحق وبيانه، ومن ضلّ في زماننا عُرف بكثرة المراء والجدال على هذا الوجه.

٣١- من أسباب الانحراف الغرور والإعجاب بالنفس، وعلامته النيل من

العلماء ولز الكبار، وهذا شأن المنحرفين في القديم كما هو شأنهم في الحديث.

٣٢- اتفق المنحرفون من المنافقين والظالمين وسائر أهل الأهواء على التعرض لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ودعوته التجديدية خاصة في السنوات الأخيرة في اجتماع مريب واتفاق مشبوه!!!

٣٣- من أسباب الانحراف مصاحبة أهل البدع والتلقي عنهم، وقد اغترت الناشئة ببعض هؤلاء فضلوا عن سواء السبيل.

٣٤- يعجب المرء كيف تفتح الجامعات والقنوات والصحف للمبتدعة وأهل الأهواء!! في حين أنه لا يمكن لأي سلفي أن يخترق حصون المبتدعة وقلاعهم!!

٣٥- يأسف الموحّد عندما يرى عدداً من الدعاة يزرون الرافضة والصوفية والمنافقين ويجالسونهم ويتخذونهم أصحاباً وأخذاناً، ويداهنونهم تقرباً وتودداً.

٣٦- تحمل قناة دليل توجهاً يوجب التنبيه والتحذير يتمثل في أن القناة نافذة لأهل الأهواء والبدع: ترويحاً لبدعتهم، وإزالة للوحشة منهم.

٣٧- يعمل الشيخ الددو من خلال برامجه وفتاواه على تقويض قواعد أهل السنة في التعامل مع أهل الأهواء والبدع.

٣٨- إذا ظهر أهل البدع وجاهروا بدعوتهم وصاحب ذلك تقريب الخلفاء لهم ووقربهم منهم انتشر الانحراف في الأمة وإذا كان أهل البدع أمراء ووزراء وقضاة.. عظمت فتنهم وامتد أثرهم في الناس.

٣٩- ثبت من خلال التبّع والاستقراء أن المبتدعة والمنحرفين لهم أثر وتأثير في

زرع المناهج الدعوية الوافدة كمنهج الإخوان المسلمين وزرع المذاهب البدعية كالمذهب الأشعري الصوفي.

٤٠- فتح الشيطان على المنحرفين الأخذ بالرخص شيئاً فشيئاً حتى تركوا الدين وانسلخوا منه. ولذا حذر السلف رحمهم الله غاية التحذير من الأخذ بالرخص وتتبع زلات العلماء.

٤١- من آثار الانحراف على الفرد: التخبط والقلق، الشك والارتباب، النكوص على العقين، الخيبة والحرمان، الذل والهوان، التلون والتنقل، الإلحاد.

٤٢- من آثار الانحراف على عموم الأمة: وقوع الفتن والقلاقل، التفرق والاختلاف، سقوط الدول وزوال الممالك، تسليط الأعداء، فساد الزمان وتغير الأحوال.

٤٣- الانحراف بأنواعه يهدد الأمن الفكري ويقوض بناء وينشر الفوضى العامة في المجتمع.

٤٤- لا يصح التفريق بين أنواع الانحراف فيقبل منه نوع ويرد منه أنواع، أو يواجه صنف ويترك صنف آخر، لأن الانحراف كل لا يتجزأ وبعضه يتولّد من بعض ولذا لا يمكن تحقيق الأمن الفكري إلا بمواجهة الانحراف بأنواعه كلها.

٤٥- موانع الانحراف عند الناس: الدين والعقل والسلطان. فمن الناس من يمنعه دينه، ومنهم من يمنعه عقله، ومنهم من لا دين ولا عقل، فلا بد من سوط السلطان لمنعه.

التوصيات:

- ١- يجب على من بسط الله يده القيام بالواجب في حماية الشريعة والذب عنها ومنع المنحرفين من الدعوة إلى انحرافهم ونشره في الناس.
- ٢- يجب على الولايات الدينية تتبع نشاطات المنحرفين من المبتدعة وغيرهم والاحتساب عليهم.
- ٣- يجب على الأغيار من حملة الشريعة بيان الحق، والرد على المخالفين، والتشجيع على المبتدعة: حماية للشريعة، وقياماً بالوجب، ونصيحةً للمسلمين.
- ٤- يجب تقرير مادة في آداب طلب العلم وحلية طلابه في الجامعات والمعاهد الشرعية حتى لا يكون العلم عرياً عن الأخلاق مجرداً من الآداب.
- ٥- يجب المحافظة على مراسم العلم الشرعي ومعاهده وجامعاته وإسنادها إلى الأمناء من أهل العلم والدين وحمايتهم من الضعف والإضعاف حتى لا تخترق من أهل الأهواء، أو يكون المتخرجون منها خواء لا يستفاد منهم في تثبيت السنة والذب عنها.
- ٦- يجب على العلماء استشعار مسئوليتهم والقيام بواجبهم ببيان الحق وعدم تأخيرهم عن وقت الحاجة.
- ٧- يجب على أهل العلم التصدي للتدريس والإفتاء وإعداد الطلاب المؤهلين لقطع الطريق على الأعداء.
- ٨- توجيه طلاب الدراسات العليا لدراسة الاتجاهات الفكرية المعاصرة تمثيلها شخصيات في كتبها وبرامجها ومقالاتها.. وكذا دراسة اتجاهات

- بعض القنوات الفضائية ليكون في ذلك مواجهةً للانحراف وتحذيراً منه.
- ٩- توجيه طلاب الدراسات العليا لدراسة تأثير المبتدعة والمنحرفين من الوافدين ونوافذ ذلك ومظاهره.
 - ١٠- يجب على من يتولى التدريس والإفادة أن يكون قدوة لطلابه: تواضعاً وتنسكاً وجمعاً بين العلم والعمل.
 - ١١- يتعين منع وسائل الإعلام من استكتاب المبتدعة أو استضافتهم أو تقديمهم حمايةً للمجتمع من شرهم.
 - ١٢- إذا التبس الحق بالباطل، ولم يتبين الحق والصواب، وماجت الفتن بأهلها فأقبل على نفسك، والزم جادة الراغبين في السلامة: عزلةً وصمتاً.
 - ١٣- إياك أن تتخذ بما يرفع من رايات، والزم الجماعة، واتبع أهل العلم الراسخين فيه، فإنه لا يتورط مع أصحاب تلك الرايات إلا الهمج والرعا.
 - ١٤- احذر من الانتساب للجماعات والأحزاب التي تجعل نفسها محوراً للولاء والبراء وقاعدةً للانطلاق وقبلةً للقصد والتوجه فإن هذا يعارض أصل التكليف ويناقض مقتضيات الإيمان.
 - ١٥- يتعين حماية البلاد من تأثير المبتدعة الوافدين ومنعهم من الدعوة إلى باطلهم والاستغناء عنهم في الجامعات خاصة.
- والنصيحة لمن أراد النجاة أن يقبل على نفسه، فيزكيها بالعبادة، ويحليها بالعلم، ويزينها بالعمل، ويحذر من التعلق بالمال أو الرياسة، ويخلص القصد، ويجرد النية، ويرتقي في كمالات التأله، مع اللهج بسؤال الله الثبات حتى الممات.

ولنعلم أن التاريخ لا يجامل أحداً، فمن الناس من تدركه رحمة ربه فيسدل عليه ستره، ويرفع له ذكره، ويكون له لسان صدق في الآخرين، وآخر يحرم الرحمة فيُهتك ستره، وتُذكر معايبه، وتُشهر مثالبه. فاللهم رحماك.

فهرس المصادر والمراجع

- ١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ابن بطة العكبري، ت: غسان معطي، دار الراية، الرياض، ط ٢، ١٤١٥هـ.
- ٢- ابن تيمية الذي افترى عليه الوهابيون، أحمد السايح، دار الأشراف، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.
- ٣- أحاديث في ذم الكلام وأهله، أبو الفضل المقرئ، ت: ناصر الجديع، دار أطلس، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٤- الاحتساب المدني، الدكتور محمد العبدالكريم، الشبكة العربية للنشر، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- ٥- أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، ت: يوسف البكري وشاكر العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٦- الاختلاط بين الجنسين في الميزان، خالد السبت، دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٣٢هـ.
- ٧- الآداب الشرعية، ابن مفلح، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٢١هـ.

- ٨- آداب طالب العلم، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ٩- أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.
- ١٠- إرسال الشواظ على من تتبع الشواذ، صالح الشهراني، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.
- ١١- الإرهاب في جزيرة العرب، إسحاق يعقوب، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- ١٢- الإرهاب... مفهومه، أشكاله، صورته، عبدالحليم بلال وعبدالله البكري، ط١، ١٤٣٠هـ.
- ١٣- الإستقامة، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الهدي النبوي، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٤- الاستيعاب فيما قيل في الحجاب، فريح البهلال، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ١٥- الأسطورة والتراث، سيد محمود القمني، سينا للنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.
- ١٦- الإسلام والمرأة، أحمد زكي يماني، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ١٧- الإسلاميون سجال الهوية والنهضة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٨م.
- ١٨- أسماء القائلين بوجوب ستر الوجه من غير النجدين، سليمان الخراشي،

- دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ١٩- أشواق الحرية، نواف القديمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٢٠- إصلاح الفكر الديني أولاً، يعقوب محمد إسحاق، من غير ناشر، ط١، ٢٠٠٦م.
- ٢١- الاعتصام، الشاطبي، ت: هشام الصيني، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٩هـ.
- ٢٢- أعلام الحجاز، محمد علي المغربي، مطبعة المدني، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ.
- ٢٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ت: مشهور سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ٢٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ت: مشهور سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ٢٥- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ت: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ٢٦- اغتيال العقل، برهان غليون، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٥، ٢٠٠٩م.
- ٢٧- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، ت: ناصر العقل، دار العاصمة، الرياض، ط٦، ١٤١٩هـ.
- ٢٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن الفراء، ت: محمد الشنقيطي، دار البخاري، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ.

- ٢٩- الانحرافات العقدية والعلمية، علي الزهراني، دار طيبة، مكة المكرمة، ط٢، ١٤١٨هـ.
- ٣٠- الانفتاح الفكري، عبدالرحيم السلمي، مركز التأصيل، جدة، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ٣١- أيام الإرهاب في السعودية، يحيى الأمير، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٣٢- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ت: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ٣٣- البداية والنهاية، ابن كثير، ت: عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٣٤- البدع والنهي عنها، ابن وضاح، عمرو سليم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٣٥- براءة أهل السنة من الوقعة في علماء الأمة، بكر أبو زيد، من غير ناشر، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ٣٦- البليهي في حوارات الفكر والثقافة، عبدالله المطيري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- ٣٧- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، ت: كولان وليفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٣٨- بيان تلبس الجهمية، ابن تيمية، جمع: محمد بن قاسم، دار القاسم، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.
- ٣٩- بيت الخبرة للشباب والبنات، علي العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع،

- ط١، ١٤٣١هـ.
- ٤٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ت: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٤١- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ت: يوسف البكري، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ٢٠١٠م.
- ٤٢- تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ٤٣- تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، ت: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٤٤- تتبع الرخص بين الفقه والواقع، عبد اللطيف التويجري، البيان، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ٤٥- التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه، فتاوى صدرت من اللجنة الدائمة للإفتاء، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٤٦- تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٤٧- تحريم الاختلاط والرد على من أباحه، عبدالعزيز البداح، من غير ناشر، ط٢، ١٤٣٢هـ.
- ٤٨- تحريم النظر في كتب الكلام، ابن قدامة المقدسي، ت: عبدالرحمن دمشقية، عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
- ٤٩- التحولات الفكرية، حسين الأسمر، مركز التأصيل، جدة، ط١، ١٤٣٢هـ.

- ٥٠- تذكرة الحفاظ، الذهبي، ت: عبدالرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥١- التراث والتجديد، حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط ٥، ١٤٢٢هـ.
- ٥٢- التراث والحداثة، محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ١، ١٩٩١م.
- ٥٣- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٥٤- الترغيب والترهيب، المنذري، ت: محيي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٥٥- التعالم وأثره على الفكر والكتاب، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٥٦- التعددية والحرية في الإسلام، حسن الصفار، دار المنهل، بيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ.
- ٥٧- تغطية العالم بدعة الإلزام بتغطية الوجه، أحمد عطيف، مدارك، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- ٥٨- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٥٩- تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام، يعقوب إسحاق، بيسان للنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م.
- ٦٠- تلبيس إبليس، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، دار القلم، بيروت،

- ط ١، ١٤٠٣هـ.
- ٦١- تنبيهات في الحجج على الكتابة المسماة (افعل ولا حرج)، عبدالمحسن البدر، دار التوحيد، الرياض، ط ٢، ١٤٢٩هـ.
- ٦٢- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤٠٦هـ.
- ٦٣- ثقافة التطرف والبديل عنها، حمزة المزيني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ٦٤- جامع الترمذي، الترمذي، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٦٥- جامع الرسائل، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٦٦- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرنؤوط، من غير ناشر، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- ٦٧- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٦٨- الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ.
- ٦٩- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، ت: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- ٧٠- الجديد في فقه الجهاد، علي العمري، الأمة للنشر، ط ١، ١٤٣٢هـ.

- ٧١- الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٧٢- جواز صلاة الرجل في بيته، خالد الغنامي، منشورات الجمل، بغداد، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٧٣- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، قوام السنة الأصهباني، ت: محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٧٤- الحداثة والنص والإصلاح الديني، بدر الراشد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٧٥- حركة التشيع في الخليج العربي، عبدالعزيز البداح، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ.
- ٧٦- حركة التغريب في السعودية.. تغريب المرأة أنموذجا، عبدالعزيز البداح، مصر، ط١، ١٤٣١هـ.
- ٧٧- حصون التخلف، إبراهيم البليهي، الجمل للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- ٧٨- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد، مطابع الدرعية، ١٤١٠هـ.
- ٧٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، ت: مصطفى عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٨٠- الحوادث والبدع، الطرطوشي، ت: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١٠هـ.
- ٨١- خصائص جزيرة العرب، بكر أبو زيد، وزارة الشؤون الإسلامية،

- الرياض، ١٤٢٠هـ.
- ٨٢- داعية وليس نبيا، حسن فرحان المالكي، دار الرازي، مركز الدراسات التاريخية، الأردن.
- ٨٣- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٨٤- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٨٥- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، من غير ناشر، ط٥، ١٤١٣هـ.
- ٨٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد سيد جاد الحق، أم القرى للنشر، القاهرة.
- ٨٧- دنيا الدين في حاضر العرب، عزيز العظمة، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
- ٨٨- ذكريات شاب، علي العمري، الأمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ٨٩- ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل الهروي، ت: عبدالله الأنصاري، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٩٠- الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب، ت: عبدالرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ٩١- رؤية تطويرية للصحة السعودية، علي العمري، الأمة للنشر، ط١، ١٤٢٩هـ.

- ٩٢- الرد الشافي على مفتريات القذافي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.
- ٩٣- الرد على المخالف من أصول الإسلام، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٩٤- الرد على فكر التكفير عند الوهابية، أحمد السايح، دار الأشراف الصوفية، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.
- ٩٥- الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، محمد الموسى و محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.
- ٩٦- رسائل جهيمان العتيبي قائد المقتحمين للمسجد الحرام، رفعت السيد أحمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٤م.
- ٩٧- رسائل ودراسات في الأهواء والفرق والبدع، الدكتور ناصر العقل، دار الوطن للنشر، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- ٩٨- رسالة الحجاب، محمد بن عثيمين، دار المجتمع، جدة، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- ٩٩- رهانات خطاب الاعتدال والواقع المعاصر، علي آل طالب، الطيف، القطيف، ط١، ١٤٢٩هـ.
- ١٠٠- الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ١٠١- الريح القاصف على أهل الغناء والمعازف، ذياب بن سعد الغامدي، مكتبة المزيني، الطائف، ط٢، ١٤٣٠هـ.
- ١٠٢- زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء، جاسم الدوسري، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٩هـ.

- ١٠٣- السنة والإصلاح، عبدالله العروي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٨م.
- ١٠٤- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٠٥- سنن أبي داود، أبي داود، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٠٦- سنن الدارمي، للدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت، من غير تاريخ للنشر.
- ١٠٧- سنن النسائي، النسائي، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٠٨- السياسة الشرعية، ابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ.
- ١٠٩- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ.
- ١١٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ت: أحمد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط٣، ١٤١٥هـ.
- ١١١- شرح السنة، البرهاري، ت: محمد القحطاني، دار ابن قيم، الدمام، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ١١٢- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت: عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ١١٣- شرح وبيان لحديث ما ذُبان جائعان، ابن رجب، ت: محمد حلاق،

مؤسسة الريان، بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ.

١١٤ - الشريعة، الآجري، ت: عبدالله الدميحي، دار الوطن، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ.

١١٥ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.

١١٦ - صحيح البخاري، البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ.

١١٧ - صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ.

١١٨ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية، ت: علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٤١٢هـ.

١١٩ - ضد الحرية أنسنة الخطاب الديني والسياسي، سعود البلوي، طوى للنشر والتوزيع، لندن، ط ١، ٢٠٠٩م.

١٢٠ - طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ت: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، هجر للنشر، مصر، ط ٢، ١٤١٣هـ.

١٢١ - ظاهرة التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب، أنور الخضري، مركز التأصيل، جدة، ط ١، ١٤٢٩هـ.

١٢٢ - عقيدة السلف مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ.

١٢٣ - عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الصابوني، ت: بدر البدر، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط ٢، ١٤١٥هـ.

١٢٤ - عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها، محمد الخميس، الأمانة العامة للاحتفال بالثوية، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ.

١٢٥ - العنف والتنمية السياسية في المملكة العربية السعودية، حمزة الحسن وفؤاد إبراهيم، قضايا الخليج، لندن، ط ١، ٢٠٠٢م.

١٢٦ - عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، البقاعي، ت: حسن حبشي، دار الكتب القومية، مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ.

١٢٧ - عودة الحجاب، محمد المقدم، دار طيبة، الرياض، ط ١٢، ١٤٢٠هـ.

١٢٨ - الغناء الأحوى في لم طرائف وغرائب الفتوى، أحمد العرفج، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ١، ٢٠٠١م.

١٢٩ - فتاوى ابن الصلاح، أبو عمر بن الصلاح، دار الطباعة المنيرية، مصر، ١٣٤٨هـ.

١٣٠ - فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع: محمد بن قاسم، من غير ناشر، ط ٢.

١٣١ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: نظر الفارياي، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ.

١٣٢ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن، ت: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة البيان، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ.

١٣٣ - الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية، ت: حمد التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ.

١٣٤ - الفروق، القرافي، ت: علي جمعة و محمد أحمد، دار السلام، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ.

- ١٣٥- فضل علم السلف على الخلف، ابن الجوزي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- ١٣٦- الفكر الإسلامي... قراءات ومراجعات، زكي الميلاد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- ١٣٧- الفن المعاصر، علي العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٣١هـ.
- ١٣٨- الفوائد، ابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، من غير تاريخ للنشر.
- ١٣٩- قضايا دعوية معاصرة، علي العمري، الأمة للنشر، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- ١٤٠- قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ١٤١- القول التمام بإثبات التفويض مذهباً للسلف الكرام، سيف العصري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٠هـ.
- ١٤٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ.
- ١٤٣- كتاب الأخلاق والسير، ابن حزم، ت: إيفار رياض، دار ابن حزم، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ.
- ١٤٤- كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الخلال، ت: مشهور سلمان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٠هـ.
- ١٤٥- كتاب الأنساب، السمعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

- ١٤٦- كتاب الزهد، عبدالله بن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، من غير تاريخ للنشر.
- ١٤٧- كتاب السنة، ابن أبي عاصم، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ.
- ١٤٨- كتاب العلم، أبو خيثمة النسبي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
- ١٤٩- كتاب الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، ت: عادل عزازي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٧هـ.
- ١٥٠- كيف نفهم التيسير؟ وقفات مع كتاب (افعل ولا حرج)، فهد أبا حسين، دار المحدث، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.
- ١٥١- لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.
- ١٥٢- لمعة الاعتقاد الهادي لسبيل الرشاد، ابن قدامة، ت: بدر البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط١، ١٤١٦هـ.
- ١٥٣- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ.
- ١٥٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو بكر الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- ١٥٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، توزيع شئون الحرمين الشريفين.
- ١٥٦- مجموع فتاوى ورسائل، علوي المالكي الحسني، جمع: محمد بن علوي

المالكي، مطابع الرشيد، المدينة، ط١، ١٤١٣هـ.

١٥٧- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبدالعزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٥٨- المحافظون والإصلاحيون، نواف القديمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠١١م.

١٥٩- المدارس الأجنبية في الخليج، عبدالعزيز البداح، من غير ناشر، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٦٠- مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، أحمد القاضي، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

١٦١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

١٦٢- المرأة المسلمة بين إنصاف الدين وفهم المغالين، محمد الرشيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

١٦٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ت: محمد عبد الحميد، كتاب التحرير، ١٣٨٦هـ.

١٦٤- مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية إسحاق، دار التأصيل، المنصورة، ط٣، ١٤٢٩هـ.

١٦٥- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، من غير تاريخ للنشر.

١٦٦- مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٦٧- مشاهد من المقاصد، عبدالله بن بيه، الإسلام اليوم، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

١٦٨- مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، ت: عبد الرحمن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

١٦٩- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبي العباس القرطبي، ت: محيي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٧٠- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ت: محيي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٧١- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ت: مجموعة من العلماء، مطبعة مصطفى محمد، مصر.

١٧٢- الملل والنحل، الشهرستاني، ت: عبد الأمير مهنا و علي فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

١٧٣- من النقل إلى العقل، حسن حنفي، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٧٤- مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٧٥- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت: محمد عطا وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣١٢هـ.

١٧٦- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

١٧٧- منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، ابن الجوزي، ت: كامل الخراط، دار

التوفيق، سورية، ط ١، ١٤٣٢ هـ.

١٧٨- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان بن حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤١٣ هـ.

١٧٩- الموافقات، الشاطبي، ت: مشهور سلمان، دار ابن عفان، الخبر، ط ١، ١٤١٧ هـ.

١٨٠- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، سليمان الغصن، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٦ هـ.

١٨١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، ت: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

١٨٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابت تغري الأتابكي، ت: فهم شلتوت، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، ١٣٨٩ هـ.

١٨٣- نحن والإرهاب، محمد محمود، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠١٠ م.

١٨٤- النشيد الإسلامي، علي العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣١ هـ.

١٨٥- نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان الخراشي، مكتبة التوحيد، الرياض، من غير تاريخ للنشر.

١٨٦- النفائس، علي العمري، الأمة للنشر، الرياض، ط ١، ١٤٣١ هـ.

١٨٧- نفح الطيب من غصن الأنثلي الرطيب، التلمساني، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

١٨٨- نقد الخطاب السلفي... ابن تيمية نموذجاً، رائد السمهوري، طوى،

لندن، ط ١، ٢٠١٠ م.

١٨٩- نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، دار الطليعة، بيروت، ط ٩، ٢٠٠٣ م.

١٩٠- نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط ٤، ٢٠٠٥ م.

١٩١- وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، جمال باوي، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٢ هـ.

١٩٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ.

الصحف والمجلات

- ١- صحيفة الرياض. ٢- صحيفة الجزيرة. ٣- صحيفة عكاظ.
- ٤- صحيفة المدينة. ٥- الوطن. ٦- مجلة منارات.
- ٧- مجلة نون.

القنوات الفضائية

- ١- إقرأ. ٢- إم بي سي. ٣- دليل.
- ٤- المجد. ٥- العربية. ٦- لايف.
- ٧- بي بي سي. ٨- القناة الأولى. ٩- القناة الثقافية.
- ١٠- الجزيرة. ١١- الرسالة. ١٢- إل بي سي.
- ١٣- العالم. ١٤- فور شباب.

فهرس الموضوعات

٥	مقدمة الطبعة الثانية
٧	المقدمة
١٣	التمهيد: وجوب الاستقامة والتحذير من الانحراف
١٧	الفصل الأول: أسباب الانحراف
١٩	أولاً: الإعراض عن الوحي
٣٠	ثانياً: التولي عن سبيل المؤمنين
٣٣	ثالثاً: الأخذ بالفلسفة وتعظيم الفلاسفة
٤٥	رابعاً: ترك الصبر المأمور به
٥٧	خامساً: الاغترار بالمنحرفين والانبهار بالجديد
٦٧	سادساً: ظهور الشعارات وتعدد الرايات
٧٩	سابعاً: ظهور المصطلحات والألفاظ المجملة
٨٧	ثامناً: ضعف التدين والتعبد
٩٤	تاسعاً: فساد النية وسوء القصد
١٠٣	عاشراً: تقحم المسائل بغير علم

- حادي عشر: حب الرياسة والتطلع إليها..... ١١٧
- ثاني عشر: الدخول على السلاطين لغير غرض شرعي..... ١٣٠
- ثالث عشر: الجدل والخصومة في الدين..... ١٣٩
- رابع عشر: الغرور والإعجاب بالنفس والاعتداد بالذات..... ١٤٤
- خامس عشر: مجالسة أهل البدع والتلقي عنهم..... ١٥٦
- سادس عشر: ظهور أهل البدع..... ١٨١
- سابع عشر: نسخ العلم وذهاب العلماء..... ١٨٥
- ثامن عشر: تتبع الرخص..... ١٩١
- الفصل الثاني: آثار الانحراف على الفرد والمجتمع والأمة..... ١٩٧
- أولاً: أثر الانحراف على الفرد..... ١٩٩
- الأول: التخبط والقلق..... ٢٠١
- الثاني: النكوص على العقين..... ٢٠٦
- الثالث: الخيبة والحрман في الدنيا..... ٢٠٧
- الرابع: الذل والهوان..... ٢١٠
- الخامس: التلون والتقل..... ٢١٢
- السادس: الإلحاد..... ٢١٧
- ثانياً: آثار الانحراف على المجتمع والأمة..... ٢٢١
- الأول: التفرق والاختلاف..... ٢٢١
- الثاني: سقوط الدول وزوال الممالك..... ٢٢٣
- الثالث: تسليط الأعداء..... ٢٢٤
- الرابع: فساد الزمان وتغير الأحوال..... ٢٢٦

- الفصل الثالث: سبل مواجهة الانحراف..... ٢٣١
- أولاً: الرجوع إلى الكتاب والسنة..... ٢٣٣
- ثانياً: قيام العلماء بالواجب..... ٢٣٤
- ثالثاً: جهود الولاة والسلاطين..... ٢٣٧
- رابعاً: ضبط الفتوى ومنع المتلاعبين بها..... ٢٤٤
- خامساً: المحافظة على مراسم العلم الشرعي..... ٢٤٦
- الخاتمة..... ٢٥١
- النتائج..... ٢٥١
- التوصيات..... ٢٥٨
- فهرس المصادر والمراجع..... ٢٦١
- فهرس الموضوعات..... ٢٨١